تجليات الاسطورة

قصة يوسف بين النص الإسطوري والنص الديني

داود سلمان الشويلي

تجليات الاسطورة

قصة يوسف بين النص الإسطوري والنص الديني

٢٠٢٢م

دار ابن النفيس للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٢١/٦/٣٣٦٧)

٨٠٩.٩١٥
الشويلي، داود سلمان
تجليات الاسطورة قصة يوسف بين النص الإسطوري والنص الديني / داود سلمان الشويلي – عمان، دار ابن النفيس للنشر والتوزيع ٢٠٢١.
( ) ص:
ر.إ: ٢٠٢١/٦/٣٣٦٧
الواصفات:/يوسف عليه السلام // قصص الانبياء// النقد الادبي// التحليل الادبي// النص القراني/ الاساطير/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN – ٩٧٨-٩٩٢٣-٢٤-١١٠-٣

+962797135504
+962780080648
Dar ibn alnafees
dar_ibnalnafees@yahoo.com
alnafees2@gmail.com

الأهداء

الى حفيدي حسام الدين صمصام
داود الشويلي

مقدمة

كثيرا ما أعجبتني قصة يوسف -كحكاية - منذ صغري، عندما كنت أستمع إليها بصوت قارئ القرآن، إن كان ذلك في مجالس العزاء الحسينية، أو كان ذلك في مجالس ألفاتحة، حتى بتنا أنا وأترابي وقتذاك نتفكّه على الطريقة التي تَذكر بها: إن كردياً زار مدينتنا الجنوبية في شهر محرم الحرام (عاشوراء) واندهش من كثرة مجالس العزاء (المآتم الحسينية)، إذ كانت أغلب المجالس تلك، وقبل صعود (الملّا = قارئ التعزية) يُتلى فيها القرآن. وكانت السورة القرآنية التي تُتلا عادة (بواسطة آلة التسجيل) هي سورة يوسف، وقيل أن هذا الكردي عندما عاد لمدينته سأله بعض معارفه عما رأى في سفرته لمدينتنا. فقال لهم: إن أهالي المدينة نصبوا مجالس عزاء كثيرة على طفل صغير أكله الذئب.[1]

[1] – لا نريد أن نحمل هذه الطرفة شيئا يجعلها تفسر على أكثر من معنى، سوى أن اختيار الشخص على أنه كردي جاء بسبب كونه غريباً عن منطقة الجنوب (فهو من شمال العراق)، فضلاً عن مذهبيته المغايرة لمذهب أبناء المدينة.

أرى أن قراءة هذه السورة من القرآن في أغلب تلك المجالس الحسينية ما هو إلا اتفاق ضمني غير معلن لأصحاب تلك المجالس الشديدي التعصب لقضية استشهاد الحسين، وربما موصى بها من

ثم بدأ جيلنا يختصر القصة على إنها قصة طفل تاه من عائلته وعثروا عليه بعد سنوات.

وعندما بدأَت في سن متأخر أقرأ القرآن قراءة فهم وتدبر لمعرفة إعجازه اللغوي، وكذلك قراءة الكتب – القديمة والحديثة - التي تبحث في علومه، تشكّلت عندي مجموعة من الأفكار والآراء عن السورة/ القصة تلك، حتى انصبت جميعها في كتابي: (تجليات الأسطورة - قصة يوسف بين النص الاسطوري والنص الديني) الذي انتهيت من كتابته عام ٢٠٠٥. وبعد أربعة أعوام من الانتهاء من كتابته ازدادت معلوماتي كثيراً عن هذه القصة (قصة يوسف) بفضل الشبكة العنكبوتية (الانترنت) التي أتاحت لي الاطلاع على العشرات من المصادر والمراجع التي لم تكن تحت يدي عند كتابة الكتاب عام ٢٠٠٥.

قبل بعض رجال الدين الشيعة من غير العرب، لِما تحمله هذه السورة، وكذلك تأويلاتها وتفاسيرها وشروحها المليئة بالإسرائيليات، من معان يريد أولئك المتعصبين تأكيدها، خدمة لما يؤمنوا به من أفكار لم يذكرها القرآن، في مذهبهم.

في منتصف العام (٢٠٠٩) شاهدت المسلسل الإيراني المدبلج (يوسف الصديق) على إحدى ألفضائيات الممولة من إيران أو أنها فضائية إيرانية ناطقة باللغة العربية.

والحق يقال كان عملا فنياً عظيما، عظيما في فنه، وفي إخراجه، وتمثيله، وإنتاجه، إلا أن الذي أريد أن أؤكد عليه أن هذا العمل لم يعتمد القرآن كمصدر رئيسي له، وإنما راح يبحث في الاسرائيليات التي امتلأت بها كتب التفسير، وكتب قصص القرآن، وكتب قصص الأنبياء، وهي كلها مأخوذة من كعب الأحبار، وابن منبه، وابن سلام، وغيرهما من اليهود الذين دخلوا الإسلام. – وربما أيضاً لأن السورة هي الوحيدة الكاملة قصصياً.

ونسخة عام ٢٠٠٥ لم توضع لها مقدمة، لأني كنت على يقين تام بأنها لا تحتاج لذلك، أما هذه النسخة فأنا على يقين أن القراء يجب أن يعرفوا سبب كتابة هذه النسخة، كونها نسخة مزيدة ومنقحة عن نسخة ٢٠٠٥.[١]

❖❖❖

[١] – في عام ٢٠٢٠ اطلعت على سلسلة فيديوهات للدكتور فاضل الربيعي يتحدث فيها عن "اسرائيل المتخيلة" التي ينقل جغرافية اسرائيل من أرض فلسطين الى أرض اليمن، وقد قال ان قبر يوسف هو في اليمن وفي فلسطين هو لشيخ يوسف. أنا في هذا الكتاب غير معني بما درسة الدكتور وانما أدرس الاسطورة كما سميتها ،كمنتج أدبي، وليس منتجا دينيا، أو تاريخيا، أو جغرافيا.

تمهيد

وحدة الثقافة

هل يمكن اعتبار القصص في القرآن من الأمور التي لا يمكن المساس بها، ولا يمكن دراستها، وفحصها نقدياً، لأنها تحوي مجموعة من التشريعات التي تبين حدود الشرع التي جاءت في القرآن والتي تشمل الحلال والحرام خاصة، وهي كلام سماوي منزّل؟

سؤال حاول الكتّاب - قدامى ومعاصرين - الاقتراب منه للإجابة عنه وبطرق شتى.

ونحن إذ نطرح السؤال ذاته، نستذكر، إن بعض كتاب الرواية والقصة – كتاب السرديات الحديثة والقديمة على السواء – قد استفادوا كثيراً من القصص القرآني بصور شتى، لأنهم وجدوا فيها موضوعات إنسانية تثير مجموعة من الأفكار.

إن النص القرآني، قد أصبح نصاً بشرياً في اللحظة التي تكلم به – لأول مرة – النبي محمد، الذي كان ابن الثقافة العربية، ويعيش في حضنها. حيث كونت ثقافة النبي العربي الذي جاء في القرآن عنه ((وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم))

(إبراهيم: ٤)، فأصبح عند ذاك جزءاً مهما من بنية الثقافة العربية التي كانت تضم مجتمع مكة، والمدينة، والطائف، وقتذاك.

وقد تناول أكثر من كاتب قديم ومعاصر النص القرآني باعتباره نصاً أدبيا وبشرياً - بعيداً عن القدسية السماوية -، كالجرجاني على سبيل المثال عندما درسه على أنه نص لغوي قارنه بالنص الشعري الجاهلي خاصة، وأن قوانين اللغة - النحو خاصة - تنطبق عليه كما في كتابه دلائل الإعجاز عندما صاغ نظرية النظم.

إن النص القرآني عندما تكلم به النبي محمد صار نصاً بشرياً شائع التملك، خاصة أن القرآن قد طلب من النبي بأن يجيب على تساؤلات أبناء ذاك المجتمع، وأن يحتكم - على سبيل المثال – في قضية سأله اليهود عنها، وهم بنو النضير وبنو قريظة – إلى التوراة، والتوراة - هنا بين يهود المدينة - هي جزء من ثقافة أهل المدينة ((وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين❖ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ❖ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والإذن بالإذن

والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)). [مائدة: ٤٣ -٤٥]

ولما كانت ثقافة ذلك المجتمع تعتمد ما هو شفاهي، أي إنها ثقافة شفاهية – وكانت القصص المتداول بين الناس من ضمن مكونات تلك الثقافة، حالها حال الأساطير - ، فيمكن القول أن القصص المذكورة في القرآن قد تداولت هي أيضاً على ألسنة الناس قبل ورودها في القرآن بمئات السنين.

فضلاً عن ذلك، فإن أبناء الديانة اليهودية، وكذلك المسيحية – وهم بنسبة لا بأس بها في مجتمع المدينة، ومكة - كانوا يعرفون أغلب تلك القصص من خلال توراتهم، وكتبهم الدينية الأخرى، التلمود خاصة، وحتما أنهم كانوا ينشرونها بين الناس.

يقول د.جواد علي عن تواجد اليهود على أرض الجزيرة العربية: (ويرى بعض الإخباريين أن ابتداء أمر اليهود في الحجاز ونزولهم وادي القرى وخيبر وتيماء ويثرب إنما كان في أيام "بخت نصر"، فلما جاء "بخت نصر" إلى فلسطين، هرب قسم منهم إلى هذه المواضع واستقروا بها إلى مجيء الإسلام. وليس في هذا الخبر ما يحملنا على استعباده، فهروب اليهود إلى أعالي الحجاز ودخولهم الحجاز أمر سهل يسير، فالأرض واحدة وهي متصلة والطرق

مفتوحة مطروقة، ولا يوجد أي مانع بمنع اليهود أو غير اليهود من دخول الحجاز).([1])

أما عن وجود المسيحيين على أرض الجزيرة العربية، فيقول د. جواد علي: (ولم تكن اليهودية، الديانة السماوية الوحيدة التي وجدت لها سبيلاً إلى جزيرة العرب، بل وجدت ديانة سماوية أخرى طريقاً لها إلى العرب، هي الديانة النصرانية، وهي ديانة أحدث عهداً من الديانة الأولى، لأنها قامت بعدها، ونشأت على أسسها ومبادئها، ولكنها كانت أوسع أفقاً وتفكيراً من الأولى، فبينما حبست اليهودية نفسها في بني إسرائيل، وجعلت إلهها إلَه بني إسرائيل شعب اللّه المختار، جعلت النصرانية ديانتها ديانة عالمية جاءت لجميع البشر). ([2])

ولو راجعنا شعر ألفترة الجاهلية، لوجدنا أن الكثير منه قد استفاد من هذه القصص، أي أنها كانت متداولة قبل الإسلام.

يقول الشاعر السمؤل - وهو يهودي من خيبر - المتوفى عام٦٤ ق. هـ :

وَسُلَيمانَ وَالحَوارِيُّ يَحيى وَمَنَسّى يوسُف كَأَنّي وَليتُ

ويقول أيضاً:

---

[1] – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – د. جواد علي – الجزء الثالث – ألفصل ٧٦.

[2] – المصدر السابق – ألفصل ٧٩.

وَهَذا رَئيسٌ مُجتَبىً ثُمَّ صَـــــفوُهُ وَسَمّاهُ إسرائيل بَــكرَ الأَوائِلِ
وَمِن نَسلِهِ السامي أَبو ألفضلِ يوسُفُ ال ذي أَشبَعَ الأَسباطَ قَمحَ السَنابِلِ
وَصارَ بِمِصرٍ بَعدَ فِرعَـــــونَ أمرهُ بِتَعبيرِ أَحـــلامٍ لِحَلِّ المَشاكل

ويذكر مرة ثالثة، فيقول:

وَبَقايا الأَسباطِ أَسباطِ يَعقو بَ دارِسِ التَوراةِ وَالتابوت

ويقول الشاعر بشر بن أبي حازم المتوفى سنة ٣٢ ق. هـ:

فَقُل كَالَّذي قالَ اِبنَ يَعقوبَ يوسُفٌ لِإخوته وَالحُكمُ في ذاكَ راسِبُ
فَإِنّي سَأَمحو بِالَّذي أَنا قـــائلٌ بِهِ صادِقاً ما قُلتُ إِذ أَنا كاذبُ

وليس يوسف، أو يعقوب، كانا الوحيدين المعروفين عند العرب، بل نجد أشعارهم تذكر نوح، وداود، وسليمان، وأقوام عاد، وثمود، التي بادت. فهذا نوح يُذكر في أشعارهم. فيقول الشاعر زبان بن سيار ألفزاري:

أَلَم تَرَ حَوشَباً يَبني قُصوراً يُرَجّي نَفعَها لِبَني بُقَيلَه
يُؤَمِّلُ أَن يُعَمَّرَ عُمرَ نـوحٍ وَأَمر اللَهِ يَحدُثُ كُلَّ لَيلَه

فيما يقول الشاعر عدي بن زيد:

أَينَ أهل الديارِ مَن قَومِ نوحٍ ثُمَّ عادٍ مِن بَعدِهِـــم وَثَمودُ
بَينَما هُم عَلى الأَسِرَّةِ وَالأَنما ط أَفضَت إِلى التُرابِ الجُلود

ويقول الشاعر عمرو بن كلثوم:

إِذا بـــلَغَ ألفطامَ لَنا وَليدٌ تَخِرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِدينا
عُقاراً عُتِّقَت مِن عَهدِ نوحٍ بِبَطنِ الدَنِّ تَبتَذِلُ السِنينا

ويقول الشاعر عنترة بن شداد:

عَجوزٌ مِن بَني حامِ بنِ نوحٍ كَأَنَّ جَبينَها حَجَرُ المَقامِ

أما الشاعر أفنون فيذكر عاد، وارم، وجدن، ولقمان. فيقول:

لَو أَنَّني كُنتُ مِن عادٍ وَمِن أرم رَبيتُ فيهِم وَمِن لُقمانَ أَو جَدَنِ

فيما يقول الشاعر:

لَو دامَ لِتُبَّعٍ وَذَوي ال أَصناعِ مِن عادٍ وَمِن إِرَمِ

ويقول الشاعر النابغة الذبياني:

إِلّا سُلَيمانُ إِذ قالَ الإِلَـــهُ لَهُ قُم في البَرِيَّةِ فَاِحدُدها عَنِ ألفنَدِ
وَشَيِّسِ الجِنَّ إِنّي قَد إِذنتُ لَهُم يَبنونَ تَدمــُرَ بِالصُفّاحِ وَالعَمَدِ

أما الشاعر زهير بن جناب الكلبي فيقول:

أَصَبنَ سُلَيمانَ الَّذي سُخِّرَت لَهُ شَياطينُ يَحمِلنَ الجِبالَ الرَواسِيا

والشاعر احيحة بن الجلاح فيقول:

تَجِنُّهُمُ مِن نَسجِ داوُدَ في الوَغى سَرابيلُ حيصَت بِالقَتيرِ المُسَمَّرِ

أما الشاعر الأسود بن يعفر النهشلي فيتمثل بقوة نسج دروع النبي داود، فيقول:

ودعا بمُحكمةٍ أمين سكها من نسج داودٍ أبي سلامِ

وبتأثير اختلاطه بالنصارى العرب. يقول الأعشى:

جزى الإله إياساً خير نعمته كما جزى المرء نوحا بعدما شابا
في فلكه إذ تبداها ليصنعها وظل يجمع ألواحا و أبوابـــا

ويقول الأفوه الأودي" وهو صلاءة بن عمرو:

ولما يعصها سام وحام ويافث حيثما حلت ولام

وأن الكثير من عادات، وتقاليد – جزء من ثقافة - ذلك المجتمع قد أقرها الإسلام، أو صاغها صياغة جديدة، أما بواسطة القرآن، أو من خلال سنة النبي. وترى هذه الدراسة:

١ – إن المجتمع العربي، القريشي خاصة - ومن ضمنهم مجتمع المدينة على اعتبار أن قسماً من المخاطبين كانوا من مهاجرة قريش الذين جاء القرآن ليخاطبهم - كانت ثقافته واحدة.

٢ – إن جزءاً من الثقافة هذه، هي ثقافة حنيفية / توراتية / انجيلية / وثنية - على المستوى الديني - وإن النصوص ذات البنية السردية معروفة للقسم الأكبر من المجتمع العربي وقتذاك لذكرها في التوراة، أو الإنجيل، وإن القرآن جاء ليؤكد وجودها في الواقع كمرويات تراثية، وفي الكتب وإن بصيغ أخرى.

وخير دليل على ذلك كتب التفسير التي أضافت للنص القرآني الكثير من الوحدات الحكائية (موتيفات) ذات الصبغة الأسطورية، التي كانت متداولة بين العرب، وقد تركها القرآن بعد تشذيبه لها.

٣ – إن أكثر الأحاديث النبوية جاءت لتبين وتوضح النص القرآني للمسلمين((لتبين للناس ما نزل إليهم))(النحل:٤٤)،أي لتساعد النص الإلهي على أن يكون نصاً بشرياً، أي أنها كانت إضافة للنص.

٤ – اختلاف قراءة القرآن بين المسلمين الذين كانوا من أصل غير قريشي، أو غير عربي، أي من ثقافة ليست ثقافة المجتمع القريشي، على اعتبار أن اللغة - حسب المفهوم السوسيري – هي نظام من العلامات (راجع محاضرات في علم اللغة) و هي وسيلة الاتصال التي تمثل المعرفة في الثقافة. وما رسالة عمر بن الخطاب – كما يذكر ابن داود في كتاب المصاحف (ص ١٢ - ١٤) ([1])

- إلى عبد الله بن مسعود الذي كان يقرأ القرآن في الكوفة بلغة هذيل (قبيلته)، خير دليل على ذلك.

يقول فيها: (أما بعد، فان الله تعإلى انزل القرآن بلغة قريش، فإذا أتاك كتابي هذا فأقرأ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل).

وقضية نسخ عثمان بن عفان للقرآن، ما هي إلّا عملية جيّرت قضية قريشية لغة القرآن. وكانت وصية عثمان بن عفان للناسخين أن يكتبوا – إذا اختلفوا في شيء من القرآن – بلغة قريش. ([2])

نستنتج من كل ذلك، أن الثقافة التي كانت سائدة وقتذاك – في مجتمعات مكة، والمدينة، والطائف، بصورة عامة - هي

[1] – علوم القرآن الكريم – د. غانم قدوري حمد – ط٣ – المطابع المركزية- ١٩٩٩.

[2] – المصدر السابق – ٦٠.

الثقافة القريشية – إذا صحت التسمية – كون اللغة التي كانت حاضنة لها هي لغة قريش، التي (ساعدت ظروف دينية وعوامل سياسية واقتصادية على أن تسود لهجة قريش خلال القرن السادس الميلادي وأن تصبح لغة الشعر مهما اختلفت لهجات الشعراء).([1])

❖❖❖

إن المقاربات النقدية الحديثة قد اعتمدت على النص من الداخل، وقللت من هيمنة المؤلف - اللّه في النص القرآني، وأحبار اليهود في النص التوراتي، وطبقة القصاصين في المجتمع العربي - وألغت كل المقاربات والرؤى الخارجية عنه، مهما كان توجه هذه المقاربات، والرؤى: فكرية، أو اجتماعية، أو تاريخية، أو دينية، لأنها وجدت فيها وثائق ذات صبغة تاريخية – دينية – ايدولوجية، لا تصلح إلّا للمهتمين بالتاريخ، والدين، والسياسة. وقد استفدنا نحن هنا من تلك المقاربات دون أن ننسى أن بعض ما يحيط بتلك النصوص سيضيء النص كثيراً، وعلينا أن لا نتركه.

إن هذه الدراسة استطاعت أن تفصل النص المدروس (قصة يوسف) عن منتجه، وهو الوحي – حسب المفهوم الإسلامي -، أي أن النص القرآني أصبح نصاً بعيداً عن مقاصده التي كان

[1] – الشعر الجاهلي – د. سيد حنفي حسنين – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١.

من أحد أسباب نزوله لتبيانها في ذلك الوقت، إنه نص لا ديني، وأن ما أراد النص أن يبينه دينياً - أهدافه ومراميه - استطاع العشرات من الكتاب أن يفسروه، ويؤلوه، ويشرحوه، للملايين من المسلمين، حتى بات المسلمون – وكذلك أتباع الديانات السماوية الأخرى - في مشارق الأرض ومغاربها يفهمونه على أنه قصة (نبي الله) يوسف الذي تأمر عليه إخوته من أبيه – حسداً له - فألقوه في الجب، وبعد أن أُخرج منه، وبيع على عزيز مصر، ([1]) راودته امرأة العزيز عن نفسه - لجماله – ومن ثم استطاعته – بمساعدة من الله - التخلص من الغواية هذه.

إذن كان الهدف الديني من ورود القصة هو التأكيد على أن الحسد الذي يؤدي إلى التهلكة، والمراودة عن النفس، هما من عمل الشيطان، وأن من يتبع سبيل الله معصوم من الله. إنه نص يقدم مجموعة من أمراض النفس البشرية، وعلاجها الميتافيزيقي.

[1] – عن مصر ومصرايم اليمنية راجع كتب: اليمن وأنبياء التوراة – فرج الله صالح ديب – ص٧٧. وكتاب: خفايا التوراة –كمال الصليبي – ص١٥٢. وأيضا كتاب: فلسطين المتخيلة – فاضل الربيعي – المجلد الاول – ص٣٩٣.

هذا ما أوصله لنا من تناول القصة تناولاً دينياً. أما هدف هذه الدراسة هو الخروج من هذا التناول، واعتبار النص - على مستوى هذه الدراسة - نصاً أسطوريا. ([1])

وقد تناول الكاتب د. نصر حامد أبو زيد قضية تناص أغلب القصص في القرآن مع ما جاء في الكتب السماوية الأخرى، ومن

---

[1] – تناولنا هنا هو الذي فرض هذا التصنيف لها، خاصة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار، الأخبار التي أكمل بها الشراح والمفسرون القصة والتي عد بعض الدارسين من الشراح والمفسرين الكثير منها على أنها أساطير، واعدوها من الإسرائيليات التي ما انزل بها من سلطان.

فضلا عن ذلك فان رأي المفكر النهضوي محمد عبده وغيره من القائلين برأيه في القصص القرآني، رأي جدير بأن يكون هو الرأي الصحيح عند النظر لهذه القضية.

يقول د. نصر حامد أبو زيد اعتمادا على أفكار الشيخ محمد عبده: (ذكر القصة في القرآن لا يقتضي أن يكون كلُّ ما يُحكى فيها عن الناس صحيحًا. فذكر السحر في هذه الآيات [البقرة: ١٠٢] لا يستلزم إثبات ما يعتقد الناس منه... إن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار، لا لبيان التاريخ ولا للحَمْل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين. وإنه ليحكي من عقائدهم الحقَّ والباطل، ومن تقاليدهم الصادق والكاذب، ومن عاداتهم النافع والضار، لأجل الموعظة والاعتبار. فحكاية القرآن لا تعدو موضع العِبرة، ولا تتجاوز موطن الهداية، ولا بدَّ أن يأتي في العبارة أو السياق وأسلوب النظم ما يدل على استحسان الحَسَن واستهجان القبيح. وقد يأتي في الحكاية بالتعبيرات المستعمَلة عند المخاطَبين أو المحكيِّ عنهم، وإن لم تكن صحيحةً في نفسها، كقوله: "كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطانُ من المس" [البقرة: ٢٧٥]، وكقوله: "بلغ مطلع الشمس" [الكهف: ٩٠]. وهذا الأسلوب مألوف. فإننا نرى كثيرًا من كتَّاب العربية وكتَّاب الإفرنج يذكرون آلهة الخير والشرِّ في خطبهم ومقالاتهم، ولاسيما في سياق كلامهم عن اليونان والمصريين القدماء، ولا يعتقد واحدٌ منهم شيئًا من تلك الخرافات الوثنية). (إشكاليَّة تأويل القرآن– قديمًا وحديثًا). وانظر كذلك: ألفن القصصي في القرآن الكريم– ص٢٠٠.

ويرى كمال الصليبي انها خرافة، راجع كتابه خفايا التوراة ص١٨٢ – ص١٨٣ .

ثم مع الثقافة السائدة بين قسم من أبناء المجتمع العربي وقتذاك. قال: (وفيما يتعلق بالنصوص القصصية الشفاهية يمكن القول أن التناص معها اعتمد على آلية الاستيعاب وإعادة التوظيف من خلال سياق يعيد تأويلها تأويلاً ناطقاً بإيديولوجية النص. أما الموقف من النصوص الدينية فقد اعتمد آلية الانتقائية التي تقبل الأجزاء وتعيد توظيفها وتأويلها، أما الأجزاء المرفوضة فتم تصنيفها في خانة الانحراف، أو التحريف، الناتج عن الضلال. ومن السهل على النص أن يقوم بالتأويل والتصنيف اعتماداً على أنه نص نابع من المصدر نفسه، وأن إحدى مهامه من ثم تصويب الانحرافات التي أحدثها البشر في أصوله السابقة).([1])

إن الكلمات الأخيرة للكاتب تبين مدى انتشار مثل هذه القصص في الثقافة العربية – وقتذاك – قبل القرآن، أي تحولها في الذاكرة الجمعية طيلة ألفترة التي سبقت البعثة إلى حكايات، وأساطير، فرفضها القرآن، ومن ثم صاغها صياغة جديدة، شذبها – ايدولوجياً - من خلال طرح ما هو زائد عن حاجة المجتمع الجديد الذي يريد أن يبنيه، لكن - هذه الزوائد - عادت مرة أخرى على أيدي مفسري القرآن، وكتاب السيرة النبوية إلى النص.

[1] – النص، السلطة، الحقيقة – د. نصر حامد أبو زيد – ١٠١.

من المفيد أن نذكر خلو نتائج الحفريات الآثارية – ولحد يومنا هذا - من شواهد واقعية لأغلب القصص التي أوردها القرآن.

إن الحفريات في أور الكلدانية لم تهدنا إلى إبراهيم وتدميره لتماثيل مدينته. وكذلك الحفريات في مصر ألفرعونية هي الأخرى لم تزودنا بشواهد عن يوسف،خاصة أنه كان له شأناً فيها لسنوات، كما تذكر بعض المصادر ذات الأساس التوراتي.[1]

يذكر القمني وهو يشير إلى حقيقة وجود يوسف في مصر: (برغم أنه لم يوجد نص مصري واحد فيما اكتشف حتى الآن يشير إلى هذا المعنى). ([2])

وإذا كان السبب – كما يرى البعض – يعود إلى الحفريات، فأن الدراسة ترى أن الأساطير – مهما كان نوعها – ذات أساس واقعي (فالاسطورة تعبير أدبي عن أنشطة الإنسان القديم الذي لم يكن قد طور بعد أسلوبا للكتابة التاريخية يعينه على تسجيل

[1] – راجع كتب الدكتور كمال الصليبي، والدكتور فاضل الربيعي، والاستاذ فرج الله صالح ديب عن ذلك.

[2] – مدخل إلى فهم دور الميثولوجيا التوراتية – سيد محمود القمني – شبكة اللادينيين العرب– ص٧.

أحداث يومه، فكانت الأسطورة هي الوعاء الذي وضع فيه خلاصة فكره). ([1])

إذن فالاسطورة، هي التاريخ غير المدون، وبتقادم الزمن لبست - بفضفاضية - الكثير من أحداث التاريخ تحت تأثير القدرة الإلهية التي تصنع كل شيء، كما يرى البعض، فأصبحت أية إضافة خارج الواقع مندرجة تحت هذه القدرة، فتحول الواقع إلى لا واقع، وأضيف إلى ما في التاريخ من كرامات لبعض الناس – وصفوا في القرآن على أنهم أنبياء – أفعالا أدرجت تحت مفهوم القدرة الإلهية.

وما الشروحات، والإضافات المختلفة في كتب التفاسير، وكتب السيرة، إلا إضافات تقع تحت مفهوم الاسطورة.

لقد فهم البعض النص القصصي القرآني على أنه تاريخ، أو جزء من التاريخ الماضي ((إن هذا لهو القصص الحق)) [آل عمران: ٦٢]، و((تلك القرى نقص عليك من أنبائها))[الأعراف:١٠١]. ((نحن نقص عليك نبأهم بالحق))[كهف: ١٣].((كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق))[طه: ٩٩]. إلا أن أكثر الدراسات الحديثة – دراسات محمد عبده عن القصص القرآني خاصة،

[1] – الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم – د. محمد خليفه حسن احمد – دار الشؤون الثقافية العامة – ١٩٨٨ – ص ٢٣.

وخلف الله، وأبو زيد، وغيرها على سبيل المثال – تؤكد عدم تاريخية تلك القصص، حتى بات التمثيل – واحد من فنون البيان العربي - هو الخانة التي تندرج ضمنه. وقد صرّح الشيخ عبده قائلا: (ليس القرآن كتابًا في التاريخ، وإنما المراد بها – القصة القرآنية - الاعتبار والعظة من السياق) كما يذكر أبو زيد.

فقد جاء في سورة يوسف: ((نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين)) (يوسف:٣)، لكنه – النص القصصي الإلهي - تحول على أيدي الشراح، والمفسرين، إلى أسطورة اعتماداً على تلك الإضافات.

وهكذا وصلنا الواقع بغياب التدوين (التاريخ) على شكل أسطورة قبل الإسلام:

الواقع+ إضافات متخيلة = التاريخ.

يقول د. جواد علي: (وفي قصصهم قصص له أصل تأريخي، لكنه لم يحافظ على نقاوته وأصله، وإنما غلب عليه عنصر الخيال فحوّله إلى أسطورة، رصعت بالشعر في الغالب، وبالجنس، لتثير الغرائز، فتقبل الأنفس على سماعها، ومن هذا القبيل قصص طسم وجديس، وقصص الزباء والتبابعة، والأقوام الغابرة، حيث تجد قصصهم في كتب الأخبار والأدب). ([1])

[1] – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – د. جواد علي – الجزء الثالث – ألفصل ١٢٨.

وكما يستنتج أبو نصر من كلام الشيخ عبده (تفسير المنار) والدكتور طه حسين (في الشعر الجاهلي) من إن ورود اغلب الحوادث التاريخية، وأيضاً القصص القرآني، ليس معناه (دليل على صحتها التاريخية بقدر ما هو دليل على وجودها في وعي المخاطَبين بالقرآن وفي ضمائرهم). ([1])

يقول كمال الصليبي: ((... وفي ذلك ما يفسر عدم وجود أي ذكر ليوسف، أو لأي شخص يتصف بصفاته، في المدونات المصرية القديمة التي وجدت هناك حتى اليوم. وهذا أمر معروف عند جميع أهل الاختصاص. وعندما لم يجد هؤلاء ما يثبت تاريخية شخص يوسف في هذه المدونات، ولم يكن لهم علم بإمكانية وجود "مصر" أخرى في أرض غير وادي النيل، اعتبر بعضهم أن القصة التي ترويها التوراة عن يوسف هذا فيها كثير من المبالغة، ومنهم من أعتبر أن هذه القصة ما هي إلّا من نسج الخيال.)). [2]

جاءنا النص القرآني مليئا بالفجوات– التي تصاحب كل عملية سرد - التي تحتاج إلى من يملأها، من مثل: هل إن أم يوسف كانت ميتة أم لا. وماذا فعل يوسف في الجب قبل أن تخرجه

[1] – إشكاليَّة تأويل القرآن– قديمًا وحديثًا– ص٣٦.

[2] – خفايا التوراة واسرار شعب اسرائيل– كمال الصليبي – دار الساقي – طبعة ٢٠٠٦ – ص١٦٥ .

السيارة؟ وهل تزوج امرأة العزيز أم لا. ومن هو الشاهد في تبرئة يوسف من المراودة؟ ولماذا أوصى يعقوب أبناءه بأن يدخلوا مصراً من عدة أبواب في السفرة الثانية؟ ([1])

أسئلة كثيرة لم يجب عنها النص القرآني لأنه لم يكن معنياً بها بقدر عنايته بالجانب الأخلاقي، ولكن مجموعة المفسرين، والشراح، وكتاب الحديث، والسيرة النبويتين، أكملوها من خارج الثقافة الإسلامية ألحقه.

ومن هذا الطريق، لعب بعض اليهود الذين اسلموا مؤخراً - مثل كعب الأحبار، وابن منبه، وابن سلام، وغيرهم - في ما كتبه الشراح، والمفسرون لنصوص القرآن القصصية. ([2])

---

[1] – جاء في التلمود: ((وأوصى يعقوب بنيه أن يدخلوا المدينة من مداخل عدة، حتى لا يقابلوا بالرفض بكمية الشراء التي يرومونها، ففعلوا ما أمرهم به)) – ص١٣٥

فيما يرى كاتب المسلسل التلفزيوني الصديق يوسف – وبالتأكيد قد فحص النص من قبل رجال الدين الإيرانيين – إن السبب هو كي لا يقبض عليهم يوسف فيما لو كان يضمر لهم شرا.

فيما يعلق اغلب المفسرين على أن الأمر هذا متروك لله، فهو الذي يعرف السبب، وكذلك إلى يعقوب ((إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون)).

[2] – لا ننسى تأثيرات كعب الأحبار في تفسير ابن عباس للقرآن، وكذلك تلمذة – إن صحت التسمية – أبو هريرة لكعب ذاته.

إن النص الاسطوري ([1]) الذي تتناوله الدراسة بالتحليل هنا، هو نص أخرس، لا ينطق إلّا بقارئه، مليء بكل النداءات المكبوتة التي من شأنها أن تجعل قارئه - أي قارئ، وفي أي زمان ومكان - يتوصل إلى الدلالات التي يرغب، والتي – ما برحت - تكمن في لا وعيه.

ولكي أكون أكثر صراحة مع القاري، أقول لمن لا يعنيه مثل هذه الدراسة - المقاربات النقدية – أن يترك قراءة هذا الكتاب، ويتناول غيره.

[1] – اعتبارا من هذه السطور سأدعو نص الدراسة بالنص الأسطوري، وإلى هذا استرعي انتباه القارئ اللبيب.

يقول خلف الله: (نعم نحن لا ننكر أن بعض المفسرين من أصحاب اللمحات قد فتح الباب وأجاز القول بوجود القصة الأسطورية واصّل لذلك أصولا مهمة لهذه ألفكرة (...) وهو ما ذهب له الأقدمون كالأمام الرازي وهو ما قرره الأستاذ الأمام الشيخ محمد عبده في صراحة ووضوح حين تحدث عن التعبيرات البيانية وأنها قد تقوم على شيء من الخرافات الوثنية). (ألفن القصصي في القرآن الكريم – ص ١٩٩).

فيما ينفي كاتب معاصر أن يكون الله سبحانه وتعإلى قد نفى وجود الأساطير في القرآن الكريم في الآيتين الخامسة والسادسة من سورة ألفرقان: ((وَقَالُوا أساطير الأولينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي ا لسَّمَاوَاتِ وَالأرض إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً)). فيقول: ((لم ينْفِ القرآن عن نفسه وجود الأساطير فيه، وإنما حرص على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد وليس من عند الله)). راجع مقال " الأسطورة في القرآن الكريم" دون ذكر اسم الكاتب، موقع الذاكرة الالكتروني.

هل يوسف نبي؟

سؤال طالما طرحته على ذائقتي المعرفية، وعلى ما طالعته في بعض كتب الأولين والآخرين: هل يوسف نبي؟

إن قراءة متأنية لما جاء في القرآن لسورة يوسف، نجد أن فتى الملك يدعوه بـ (الصديق)، يقول تعالى:

((يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون)). [يوسف: ٤٦]

ويذكره النبي محمد بـ (الكريم): ((الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)).

ولو عدنا إلى كتب اليهود نفسها لوجدنا أن التلمود يصفه بالملك على لسان أبيه يعقوب عندما أوصى أبنائه لحمل تابوته عند وفاته، يقول: ((ويوسف لا يشارك في الحمل، لأنه ملك)). (ص١٥١)

إذن من أين جاءت نبوة يوسف؟!!

إن سورة يوسف وهي تتابعه من صباه إلى أن التقى بوالديه، لم تذكر إنه قد بشّر بأية ديانة، أو تعاليم سماوية، وإنما السورة تذكر المؤامرات التي حيكت ضده والتي نجى منها. وبعض

التصرفات التي قام بها والتي تخرجه من وصفه نبيا، وقد ذكرها ألفخر الرازي في كتابه عصمة الأنبياء.

أما الآية التي ذكرت في سورة غافر، فهي لا تدل دلالة كاملة على نبوته، لان البينات التي ذكرت في الآية غير معروفة، إلا أننا يمكن أن نقول عنها إنها لا تعدوا أن تكون كأفعال الولي الصالح [1] مع موسى، والذي يقول عنه بعض المفسرين إنه الخضر.

---

[1] – حول نبوة الخضر وعدم نبوته راجع كتاب حسن بن علي السقاف في هذه المسألة. انظر (القول العطر في نبوة سيدنا الخضر). القرص المدمج:برنامج المعجم – الإصدار الثالث.

– ويقول الشيخ الصدوق عن الخضر في (كمال الدين وتمام النعمة– الشيخ الصدوق ص ٣٨٥): (...عن عبد الله بن سليمان قال: قرأت في بعض كتب الله عز وجل أن ذا القرنين كان عبدا صالحا جعله الله حجة على عباده ولم يجعله نبيا، فمكن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سببا، فوصفت له عين الحياة وقيل له: من شرب منها لم يمت حتى يسمع الصيحة وإنه خرج في طلبها حتى انتهى إلى موضع فيه ثلاثمائة وستون عينا وكان الخضر على مقدمته، وكان من أحب الناس إليه فأعطاه حوتا مالحا، وأعطى كل واحد من أصحابه حوتا مالحا، وقال لهم: ليغسل كل رجل منكم حوته عند كل عين، فانطلق الخضر عليه السلام إلى عين من تلك العيون فلما غمس الحوت في الماء حيي وانساب في الماء، فلما رأى الخضر عليه السلام ذلك علم أنه قد ظفر بماء الحياة فرمى بثيابه وسقط في الماء فجعل يرتمس فيه ويشرب منه فرجع كل واحد منهم إلى ذي القرنين و معه حوته، ورجع الخضر وليس معه الحوت فسأله عن قصته فأخبره فقال له: أشربت من ذلك الماء؟ قال: نعم، قال: أنت صاحبها وأنت الذي خلقت لهذا العين فأبشر بطول البقاء في هذه الدنيا مع الغيبة عن الأبصار إلى النفخ في الصور).

((ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب)). [غافر: ٣٤]

إضافة لذلك فأن معنى الآية لا ينصرف إلى أن يوسف كان نبياً، لان الآية تقول: ((حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب)).[غافر: ٣٤]

ولم يبين القرآن، ولا العلماء والكتّاب القدامى، هل كان يوسف رسولا حمل رسالة من ربه إلى البشر؟ فقد أرسل جميع الرسل والأنبياء الذين ذكرهم القرآن إلى أقوامهم، ولم يشر القرآن إلى انه كان مرسلا إلى أهل مصر.

قال القرآن:

❖ ((ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد)). [هود: ٨٩]

❖ ((وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ❖ وقوم إبراهيم وقوم لوط)).[حج:٤٢ - ٤٣]

❖ ((كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ❖ وعاد وفرعون وإخوان لوط ❖ وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد)). [ق: ١٢ - ١٤]

فقد أرسل الله كما تذكر المصادر:

١ - نوح إلى قومه:

❖ ((ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ❖فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين)).[العنكبوت: ١٤]

❖ ((وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ❖ وقوم إبراهيم وقوم لوط)). [حج: ٤٢ - ٤٣]

❖ ((كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ❖ وعاد وفرعون وإخوان لوط ❖ وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد)). [ق: ١٢ - ١٤]

❖ ((ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم❖ ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين)).[أنبياء: ٧٦ - ٧٧]

❖ ((إِنَّا أرسلنَا نُوحًا إلى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)). [نوح:١]

٢ - هود إلى قوم عاد:

❖ ((كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ❖ وعاد وفرعون وإخوان لوط ❖ وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد)). [ق: ١٢ - ١٤]

❖ ((وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ❖ وقوم إبراهيم وقوم لوط)). [حج: ٤٢ - ٤٣]

❖ ((كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ❖ إذ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ ❖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ❖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ❖ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)). [الشعراء: ١٢٣ -١٢٧]

٣ - صالح إلى قوم ثمود:

❖ ((إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون)). [الشعراء: ١٤٢]

❖ ((وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ❖ إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب)). [ص: ١٣ - ١٤]

❖ ((كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ❖ وعاد وفرعون وإخوان لوط ❖ وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد)). [ق: ١٢ - ١٤]

❖ ((فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين)). [اعراف: ٧٧]

❖ ((قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب)). [هود: ٦٢]

❖ ((فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز)). [هود: ٦٦]

٤ - إبراهيم إلى قومه:

❖ ((وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ❖ وقوم إبراهيم وقوم لوط)). [حج: ٤٢ -٤٣]

❖ ((وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون))[العنكبوت: ١٤ - ١٦]

❖ ((إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا)).[نساء: ١٦٣]

٥ - لوط إلى قومه (أهل سدوم):

❖ ((كذبت قوم لوط المرسلين ❖ إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون)). [الشعراء: ١٦٢ - ١٦١]

❖ ((قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين ❖ قال إني لعملكم من القالين)).[الشعراء:١٦٧ - ١٦٨]

❖ ((فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون)). [النمل: ٥٦]

❖ ((ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون ألفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين)). [العنكبوت: ٢٨]

❖ ((وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ❖ إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب)). [ص:١٣ - ١٤]

❖ ((كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ❖ وعاد وفرعون وإخوان لوط ❖ وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد)). [ق:١٢ - ١٤]

❖ ((كذبت قوم لوط بالنذر)).[قمر: ٣٣]

❖ ((وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)). [الأنعام: ٨٦].

❖ ((ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب)). [هود: ٧٧]

❖ ((قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب)). [هود: ٨١]

❖ ((ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين ❖ وأدخلناه في رحمتنا انه من الصالحين)).[أنبياء:٧٤]

٦ - شعيب إلى أصحاب الأيكة:

❖ ((إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ❖ إني لكم رسول أمين ❖ فاتقوا الله وأطيعون ❖ وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين)).[الشعراء: ١٧٧ - ١٨٠]

❖ ((وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ❖ إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب)).[ص: ١٣ - ١٤]

❖ ((وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد)). [ق: ١٤]

❖ ((قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين)).[اعراف: ٨٨]

❖ ((وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط)).[هود: ٨٤]

❖ ((قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لانت الحليم الرشيد)).[هود: ٨٧]

❖ ((قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز)).[هود: ٩١]

❖ ((ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين)).[هود: ٨٤]

٧ - إلياس إلى قومه:

❖ ((وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ❖ إذ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ ❖ أَتَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ❖ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأولينَ ❖ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ❖ إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ❖

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخرين ❖ سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ ❖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❖ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)). [الصافات: ١٢٣ - ١٣٢].

❖ ((وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنْ الصَّالِحِين)). [الأنعام: ٨٥].

٨ – إبراهيم إلى قومه:

❖ ((وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبراهيم عَلَى قَوْمِهِ)). [الأنعام: ٨٣]

❖ ((وَاذكُرْ عِبَادَنَا إبراهيم وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأبصَارِ ❖ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ❖ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنْ الْمُصْطَفَيْنَ الأخيَارِ)). [ص: ٤٥ -٤٧].

❖ ((فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا ❖ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا)).[مريم: ٤٩ -٥٠].

❖ ((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إلى إبراهيم وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)).[النساء: ١٦٣].

((وَاذكُرْ عِبَادَنَا إبراهيم وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأبصَارِ ❖ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ❖ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنْ الْمُصْطَفَيْنَ الأخيَارِ)).[ص: ٤٥ -٤٧].

❖ ((ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الأخرة لمن الصالحين)).[العنكبوت: ٢٧]

((ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين)).[الأنبياء: ٥١]

٩ – موسى إلى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ:

❖ ((وَلَقَدْ أرسلنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ❖ إلى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ❖ فَلَمَّا جَاءهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ)). [غافر: ٢٣ -٢٥]

❖❖❖

وهناك أنبياء لم يذكر القرآن إلى أي قوم هم مرسلون، ولكنه كان يذكرهم مع أنبياء آخرين معروفين بالنبوة والرسالة:

١ - يونس:

❖ ((وان يونس من المرسلين)). [الصافات: ١٣٩]

❖ ((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إلى إبراهيم وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)).[النساء: ١٦٣]

❖ ((وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)). [الأنعام: ٨٦]

٢ – اسماعيل:

❖ ((وَإذكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا ❖ وَكَانَ يَأمر أهله بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا)). [مريم: ٥٤ -٥٥]

❖ ((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إلى إبراهيم وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)). [النساء: ١٦٣]

❖ ((وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)). [الأنعام: ٨٦]

٣ – ادريس:

❖ ((وَاذكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ❖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا)). [مريم: ٥٦ -٥٧]

٤ –اليسع:

❖ ((وَإِذكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنْ الأخيَارِ)). [ص: ٤٨]

❖ ((وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)). [الأنعام: ٨٦]

٥ – الياس:

❖ ((وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ❖إذ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ❖ أَتَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ❖ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأولينَ ❖ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ❖ إلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ❖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الأخرِينَ ❖ سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ ❖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❖ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)). [الصافات: ٣٧].

٦ - ذو الكفل:

❖ ((وَإِذكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنْ الأخيَارِ)). [ص: ٤٨]

٧ – اسحاق ويعقوب:

❖ ((فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا)).[مريم: ٤٩ -٥٠].

❖ ((وَاذكُرْ عِبَادَنَا إبراهيم وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأبصَارِ ❖ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ❖ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنْ الْمُصْطَفَيْنَ الأخيَارِ)). [ص: ٤٥ -٤٧]

❖ ((ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين.[مريم:٤٩]

٨ – زكريا ويحيى:

❖ ((وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنْ الصَّالِحِين)). [الأنعام: ٨٥]

❖ ((فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين)).[آل عمران:٣٩]

٩ – ايوب:

❖ ((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إلى إبراهيم وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ

وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)). [النساء: ١٦٣].

❖❖❖

ومن الأنبياء من كان عندهم كتاب، من مثل:

١ – داود:

❖ ((وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)).[الإسراء: ٥٥].

❖ ((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إلى إبراهيم وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)). [النساء: ١٦٣]

❖ ((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأرض فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)). [ص: ٢٦]

❖ ((وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ ألفضْلُ الْمُبِينُ)). [النمل: ١٦]

❖ ((وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ❖ ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا

فاعلين ❖ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون)).[انياء: ٧٨ -٨٠]

وقد جمع القرآن في أية واحدة اغلب الأنبياء والرسل، فقال: ((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إلى إبراهيم وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)). [النساء: ١٦٣]

فأين يوسف من بين هؤلاء؟([1])

❖❖❖

أما أصحاب الرسالات الثلاثة فمعروفين للقاصي والداني.

وفي هذه الآيات لم يذكر يوسف كنبي أو مرسل، خاصة إن القرآن قال: ((كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)) (البقرة: ٢١٣). وكذلك: ((رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما))(النساء: ١٦٥). فأين هو كتاب يوسف، أو تعاليمه، أو تأكيد لما جاء من قبله؟

[1] – وربَّ من يقول أن هناك أنبياء لم يذكرهم القرآن، فنرد عليه: بأن القرآن ذكر الأنبياء الذين تحدث عنهم، ولم يذكر نبيا لم يتناوله في سورة أو جزء من سورة، وأن يوسف قد سرد قصته في سورة كاملة.

قال الجاحظ في الحيوان: (ونحن نزعمُ أنَّ يَعْقوبَ بنَ إسحاقَ بنِ إبراهيم كَانَ أنبَهَ أهل زمانِه؛ لأنّه نبيٌّ ابنُ نبيٍّ، وكان يوسُف وزير مَلِكِ مصر من النَّباهة بالموضع الذي لا يُدفَع، وله البُرُدُ، وإليهِ يرجع جوابُ الأخبار، ثمَّ لم يعرِفْ يَعقوبُ مكانَ يوسُفَ، ولا يوسفُ مكانَ يَعقوبَ عَليهما السلام - دهراً من الدُّهور، مع النَّباهةِ، والقُدْرةِ، واتِّصال الدار).([1]) نراه قال عن يعقوب: انه نبي وعن يوسف قال:وزير، ولم يقل عنه نبياً، مما يدل على أن أكثر العلماء والكتاب لا يعدوه نبياً.

❖❖❖

[1] – الحيوان – الجاحظ – قرض الشعر.

الفصل الأوّل
القصة بين النص القرآني والنص الاسطوري

في كتابه (ألفن القصصي في القرآن الكريم) يؤكد محمد احمد خلف الله على أن القصة في القرآن هي: (ذلك العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تخيل القاص لحوادث وقعت من بطل لا وجود له أو لبطل له وجود ولكن الأحداث التي دارت حوله في القصة لم تقع أو وقعت للبطل ولكنها نظمت في القصة على أساس فني بلاغي فقدم بعضها وآخر آخر وذكر بعضها وحذف آخر أو أضيف إلى الواقع بعض لم يقع أو بولغ في التصوير إلى الحد الذي يخرج بالشخصية التاريخية عن أن تكون من الحقائق العادية والمألوفة ويجعلها من الأشخاص الخياليين). [1]

وان القراءة المتأنية لقصة يوسف - بعيداً عن القرآن- تؤكد على أنها قد حدثت في غابر الزمان، ولهذا فهي حكاية عما مضى، شأنها – على مستوى ألفن السردي – شأن حكايات الليالي، وغيرها، التي تتحدث عن الماضي، والماضي السحيق جداً. إنها حكاية تهدف للتسلية بالنسبة للناس، إذ إن الليالي الطوال – وقتذاك - تحتاج إلى من يزجيها بمثل هذه الحكايات. وقد كانت هي كذلك قبل نزولها في القرآن: ((إن

[1] – ألفن القصصي في القرآن الكريم- محمد احمد خلف الله – ص ١٥٢.

الله تبارك وتعالى إنما أنزل هذه السورة على نبيه يعلمه فيها ما لقي يوسف من إخوته وملكوته من الحسد مع تكرمة الله إياه تسلية له بذلك مما يلقى من أذيته وأقاربه من مشركي قريش)).[1]

وهي للعبرة: ((لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)) (يوسف: ٧)، لأنها تحمل بين سطورها الكثير مما يندرج في هذا الباب.

جاء في سبب نزول هذه السورة: ((أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمساءلة أصحابه إياه أن يقص عليهم، ذكر الرواية بذلك حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي قال حدثنا حكام الرازي عن أيوب عن عمرو الملائي عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا قال فنزلت نحن نقص عليك أحسن القصص (...) فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص)).[2]

وهذا يدل دلالة تامة على أن ليالي العرب، وقتذاك، كانت تزجى بالحكايات [3]، وعندما جاء الإسلام أصبحت هذه الحكات ذات مغزى ديني، أي إنها تحولت وظيفتها تحت ضغط

---

[1] – الطبري: ج١٢:١٥٤.

[2] – كما يقول الطبري في التفسير:ج١٢ ص١٥٠ – قرص المكتبة الألفية.

[3] – مما يدل على عدم افتقار ليالي العرب من المسامرة هو هذا الكم الهائل من الحكايات والأساطير والتي ضمتها أمهات الكتب والقسم الكبير من حكايات ألف ليلة وليلة.

الايدولوجية الجديدة إلى وظيفة أخرى، وأن الخطاب – أصلا – كان موجهاً إلى النبي:((نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين)) (يوسف: ٣) لأنه، لو كان عرب المدينة - حيث نزلت فيها، والمسلمون خاصة – غافلين عن هذه القصص لخاطبهم هم، كما خاطبهم في الكثير من الآيات .

وهي تعيد نفسها بإطراد وبغنى كلما قرأناها، إذ أنها تكتسب إضافات متخيلة جديدة، ستشوش بناءها، وستفتقد إلى أن تكون نصاً أدبيا، فضلاً على أنها نصاً قرآنياً – والدارس يرفض أي إضافات جاء بها المفسرون تحت ما سمي بالإسرائيليات، ويعدها من الإضافات الدخيلة على النص الإلهي، وغير حقيقية، ولا منطقية – (وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضي الله عنه فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده).[1]

[1] – تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ١٩. يذكر ابن كثير في مقدمة كتابه البداية والنهاية – دار الكتب العلمية – لبنان – ط٤ – ١٩٨٨ – مج١- ص٥، الحديث المنسوب إلى النبي الذي يقول: (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج).فيبني عليه موضوعة كتابه وما ملأه بالإسرائيليات.

ويمكن قراءة النص على عدة مستويات:

❖ فالنص يقرأ على المستوى المعرفي. إذ يعتبر نصاً معرفياً ليس في وقت نزوله فقط بل يمتد إلى ما لانهاية من الزمان.

❖ ويمكن قراءته على المستوى الاجتماعي. من خلال دراسة ظاهرة الحسد بين الأخوة. والعلاقة بين المرأة والرجل.

❖ ويمكن قراءته على المستوى الأخلاقي. لما يحمله النص من قيم أخلاقية عالية.

❖ ويمكن أن يقرأ على المستوى الأدبي فتحصل معه تناصات كثيرة كما فعل الروائي ثروت أباضة في روايته "الغفران".([1])

ويمكن قراءته على المستوى الاقتصادي. توزيع الناتج القومي بين أزمان الرخاء والجدب.

وهكذا تتعدد صيغ القراءة، دون الاعتماد على القراءة الدينية التاريخية التي امتلأت بها الكتب الدينية منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام.

والنص هذا لو اختصرناه، ووضعناه في جملة واحدة لقلنا أنه يحكي عن طفل ضاع عن أهله ووجدوه. ولكن هذه الجملة تحمل بين ثناياها – لو فككناها – الكثير مما يقال، وهذا هو غاية هذه الدراسة.

[1] – الغفران – ثروت أباضة – دار مصر للطباعة – نشر مكتبة مصر – ١٩٨٨ . إذ حول الأجواء من أجواء مصر الفرعونية الى أجواء مصر الحديثة.

❖❖❖

ومن الجدير بالذكر إن سورة يوسف في القرآن تفتتح بآية فيها لفظ يحمل أشكالا جعل الكثير من المفسرين، ورجال الدين،[1] يختلفون في تأويله، وهو لفظ (أحسن) الذي يصف به القرآن القصة التي ذكرت في سورة يوسف: ((نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين))، فهل لفظ "أحسن" أريد به إن هذه القصة هي الأحسن مضموناً – كالعبر والحكم التي فيها - عما رويت به هذه القصة عند العامة في ذلك الوقت أو الذي قبله؟ أم كانت الأحسن في طريقة الإسلوب الذي اتبعته (سردياً)؟ أم كان ذلك يعني أنها الأحسن من بين قصص القرآن الأخرى، كونها جاءت كاملة، على خلاف غيرها من القصص الأخرى التي تناولت حياة الرسل والأنبياء؟

على الرغم من هذه الأسئلة وما ورد من أجوبة عنها طيلة ألف وأربعمائة سنة من تاريخ الدعوة المحمدية، يمكن القول ان هذا اللفظ جاء ليؤكد إن القرآن ميّز هذه القصة من بين قصصه.

وأخيرا فأن ما يؤكد ما ذهبنا إليه هو:

آ - كثرة الشبهات التي أحاطت بيوسف في النص القرآني، خاصة إذا اعتبرنا يوسف نبيا معصوما. فالآية لا تدل على ذلك مما

[1] – استخدم هنا مصطلح "رجل الدين" كما هو متعارف عليه في أدبياتنا المتداولة وليس فيه تفرقة بين الرجل والمرأة.

دعا العلماء إلى دفع هذه الشبهات عن يوسف بشتى التمحلات القولية، والتأويلية، والتفسيرية. إلا أننا نرى العالم ألفخر الرازي في كتابه عصمة الأنبياء[1] يعدد أحد عشر شبهة أخلاقية تخرجه عن كونه نبياً نلخصها هنا، من مثل:

١ – همّه بامرأة العزيز.

٢ - صبره على الرق. وذلك معصية.

٣ - قوله: ((وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء)).

٤ – سجنه، وذلك معصية بالاتفاق. إذ قال: ((رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه)). فيدل ذلك على محبته لتلك المعصية.

٥ - كيف يجوز على يوسف مع نبوته أن يعول على غير الله في الخلاص من السجن في قوله للذي كان معه ((إذكرني عند ربك)) حتى وردت الروايات أنه إنما طال مقامه في الحبس لأنه عول على غير الله؟

٦ - ما الحكمة في طلب أخيه من إخوته، ثم حبسه عن الرجوع إلى أبيه، مع علمه بما يلحق أباه من الحزن؟ وهل هذا إلّا ضرر بأبيه؟

---

[1] – عصمة الأنبياء – ألفخر الرازي – انظر: قرص المعجم العقائدي – الإصدار الأول.

– ينظر كذلك إلى دراسة د. نصر حامد أبو زيد (إشكاليَّة تأويل القرآن – قديمًا وحديثًا) – الشبكة العنكبوتية – عن تساؤله بعد شرحه لمعاني مصطلحات من مثل: التفسير، التأويل، الشرح: (ولكن ألا يفضي هذا الشرح الذي قدَّمناه إلى إبراز أن ثمة إشكالية في المصطلحات ذاتها، فضلاً عن عملية التأويل في الممارسة العملية؟).

٧ - ما معنى جعل السقاية في رحل أخيه؟

٨ - ما بال يوسف لم يعلم أباه خبره حتى تسكن نفسه ويزول حزنه؟

٩ - قال القرآن: ((ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا))، وكيف رضى بأن يسجدوا له، والسجود لا يكون إلا لله. وكيف رضى باستخدام الأبوين؟

١٠ - ما معنى قول القرآن حكاية عنه: ((من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي))؟

١١ - ما معنى قوله: ((اجعلني على خزائن الأرض)). وكيف يجوز أن يطلب الولاية من قبل؟

ب – إضافة لذلك، فمما يدفعنا إلى الاعتقاد بأنها أسطورة، وكان يتداولها العامة قبل وبعد النبوة، هو أن القصة كانت متداولة بين اليهود. فقد روى عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه ج ٦ ص ١١٣: (عن الزهري أن حفصة زوج النبي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب من قصص يوسف في كتف فجعلت تقرؤه عليه والنبي يتلون وجهه فقال: والذي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتموني لضللتم).[1]

فضلا عن أن التوراة عند ظهور الإسلام كانت توراة منحولة، وهذا القول ليس فقط في القرآن، بل أن تاريخ تدوينها يذكر أن

[1] – القرص المدمج: المعجم العقائدي – الإصدار الأول.

مدونها كان واحدا من أبناء السبي البابلي وهو الكاهن أو الحاخام عزرا.

ولو قارنا بين النص المذكور في التوراة و بين النص التلمودي لوجدنا اختلافا كبيرا بين النصين.

ج – وكذلك ما جاء في (مذاهب التفسير الإسلامي) لجولد تسهر ص ٢٥٥ : (وقصة يوسف وإخوته.. تأخذ عند ابن عربي صورة من التمثيل بالقوى الروحانية عن طريق التأويل.. فيوسف هو القلب.. العقل المحسود من إخوته من العلات أي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والغضب والشهوة). [١]

فيما ترد قصة يوسف في التلمود - التراث الشفوي لحاخامات اليهود - مختلفة عن المصدر التوراتي والنص القرآني في الكثير من الموتيفات الحكائية، إن كان ذلك بالزيادة، أو النقصان، أو تغير في المواقف، أو الشخوص، لموتيفة واحدة ترد في النص القرآني أو النص التوراتي، وعلى سبيل المثال: في النص القرآني ترد موتيفة مجلس النساء كما في الآية: [٢]

---

[١] – أضواء على الإسرائيليات في مصادر السنة والشيعة – المصدر السابق.

[٢] – انظر كذلك: موتيفة القميص الذي قُد من دبر واختلافها عن النص القرآني. وعدم ذكر رؤيا السجينين، والتأكيد على صدق يوسف في تعبير الأحلام بموت ابن فرعون البكر، إذ أنها لا تذكر في النص التوراتي ولا القرآني، وفي النص القرآني يطلب يوسف من فرعون أن يجعله مسؤولا عن خزائنه (ألفخر الرازي يعد هذا الطلب نافيا لنبوة يوسف) (* قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم [يوسف: ٥٥]) فيما في التلمود إن الذين أشاروا على فرعون هم علية القوم والأمراء والقواد، بأن يولي يوسف حكم البلاد.

((❖ وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين ❖ فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ❖ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ❖ قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين)).(يوسف: ٣٠ - ٣٣)

فيما تتجاوز التوراة هذه الموتيفة ولا تذكرها.

أما التلمود – التراث الشفوي اليهودي – فيذكر هذه الموتيفة كما يلي:

((وكانت صاحباتها اللواتي يزرنها يأخذهن الإعجاب أيضاً بيوسيف، ويطرين حسنه. وفي إحدى المرات لما وُضعت ألفواكه أمام الزائرات، راحت إحداهن تقشر فاكهة فجرحت إصبعها دون أن تشعر بما جرى، إلى أن لفت نظرها تقاطر الدم على ثوبها، إذ كانت عيناها زائغتين بيوسيف، وخيالها مأخوذا برونق حسنه وبهائه)).

من خلال هذا المثال وغيره يمكن السؤال: من أين عرف مدونو التلمود – مدونو التراث الشفوي اليهودي – هذه الموتيفة دون أن ترد في توراتهم؟ هل أوحي لهم بها؟

يقول مترجم التلمود على الصفحة ٣٤: ((وتعود الآراء وألفتاوي التي وردت في التلمود إلى القرن الخامس قبل الميلاد. وبدأت عملية جمعها وتدوينها مع القرن الثاني الميلادي، واستمرت عملية التفسير والتدوين حتى القرن السادس)). [١]هذا يعني أنه قد اكتمل قبل ظهور الإسلام.

نستنتج من ذلك: إن قصة يوسف، والكثير من القصص التي احتواها التلمود هي قصص وأساطير كانت متداولة بين عامة الناس، ولا يمكن أن تكون في التوراة قصة موحى بها، وإلا لتطابق النص التوراتي مع النص التلمودي الذي كتبه حاخامات اليهود.

❖❖❖

[١] – التلمود –كتاب اليهود المقدس – ت: احمد ايبيش– دار قتيبة– ب. ت.

النص الأدبي

كما جاء في النص القرآني والنصوص الأخرى، يمكن بناء نصاً أدبيا وبعيداً عن التزويقات الأدبية ألفنية، خاصة الوصف، وسيكون عماد هذه الدراسة.

يوسف صبي يعيش مع عائلته، أبيه وإخوته من والده، وذات ليلة رأى في المنام رؤيا قصها لوالده:

قال يوسف لأبيه: يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين .

فحذره الأب قائلا: يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا.

❖❖❖

لما رأى إخوة يوسف من أبيهم محبة ليوسف أكثر من محبته لهم، حسدوا يوسف، واتفقوا على أن يقتلوه، إلا أن أحد الأخوة طلب منهم، إذا كانوا عازمين التخلص منه،عليهم أن يرموه في البئر، علّ بعض القوافل السيارة تلتقطه.

ذهبوا إلى أبيهم لإقناعه بالموافقة على ذهاب يوسف معهم، قالوا له: يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون، أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون.

توجس الأب خيفة من طلبهم، فرد عليهم قائلا:

- إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون.

قالوا: لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون.

ذهبوا به وألقوه في البئر، ثم عادوا إلى أبيهم عشاء وهم يبكون، وبيدهم قميصه ملطخا بدم كذب.

قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين.

قال الأب غير مصدق: بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

❖❖❖

في الوقت نفسه،جاءت قافلة متجهة إلى مصر، فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه، والتقط يوسف من البئر.

أخذوه معهم إلى مصر، وباعوه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين.

وقال الذي اشتراه من مصر - وهو وزير فرعون - لامرأته: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا.

❖❖❖

ومرت الأيام بيوسف وهو في بيت العزيز، ولما بلغ أشده أعجبت زوجة العزيز بجماله، فهامت به عشقا (همت به) أما هو فقد قاسمها هذا الهم (وهم بها)، (وراودته التي هو في بيتها) عن نفسه، وغلّقت الأبواب بعد أن هيّأت له مضجعا، وقالت: هيت لك.

رفض يوسف إغواءها له، بعد أن تنبه إلى ما تريده زوجة العزيز من فاحشة، متذكرا اهتمام سيده له، فقال لها: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي.

هرب منها ناحية باب الدار، فجذبته من قميصه من الخلف، (وقدت قميصه من دبر)، وبينما هما كذلك فاجأهم العزيز عند الباب.

أسرعت الزوجة بالقول مدارية فعلتها الشنعاء: ما جزاء من أراد بأهلك سوء؟

قال الزوج: يسجن أو يعذب عذابا أليما.

إلا أن يوسف ردَّ مدافعا عن نفسه: هي راودتني عن نفسي.

وبينما هما في جدالهم، (شهد شاهد من أهلها) وقال: ((إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين)).

تفحصوا القميص، فلما رأى زوجها قميصه قد من دبر، قال:((إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم)).

ثم قال العزيز ليوسف ناصحا: ((يوسف أعرض عن هذا)).

والتفت إلى زوجته ناصحا، قال: ((استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين)).

❖❖❖

وشاع أمر الواقعة بين نساء المدينة، فقلن: ((امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه،و قد شغفها حبا))،ثم أكدن: ((إنا لنراها في ضلال مبين)).

فلما سمعت زوجة العزيز كلامهن، وكيف إنهن رمينها بالضلال، أرسلت إليهن، وأعدت لهن مجلسا، وآتت كل واحدة منهن سكينا وفاكهة، وقالت ليوسف: ((اخرج عليهن)).

خرج يوسف أمامهن شابا جميلا مكتمل الرجولة، ((فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن))، وقلن: ((حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم)).

قالت معاتبة: ((فذلكن الذي لمتنني فيه)). ثم تابعت قولها إليهن: ((لقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكون من الصاغرين)).

عندما عرف يوسف تصميمها على ذلك، قال مناجيا نفسه: ((رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه، وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين)).

فاستجاب له ربه وسجنه العزيز.

❖❖❖

ودخل معه في السجن شابان، احدهما ساقي الملك والأخر خبازه، وفي المنام رأيا رؤيا:

قص الساقي رؤياه على يوسف قائلا: ((إني أراني أعصر خمرا)).

وقال الخباز ليوسف قاصا له ما رآه في المنام: ((إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه)).

وسألاه تأويل رؤياهم.

قال يوسف معبرا رؤياهم: ((يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الأخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه)).

ثم قال للذي ظن أنه ناج - الساقي -: ((أذكرني عند الملك)).

إلّا أن الساقي نسي طلب يوسف. فلبث يوسف في السجن بضع سنين.

❖❖❖

وفي أحد الأيام، رأى الملك رؤيا في المنام، فطلب من المنجمين تأويلها.

قال الملك يقص رؤياه: ((إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات)).

قال المنجمون: ((أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين)).

وبحث الملك وأعوانه عن من يفسر الرؤيا، عند ذاك تذكر الساقي يوسف، فقال:

: أنا أنبئكم بتأويله. واخبر الملك بخبر يوسف. فأرسله الملك ليسأل يوسف.

قال يوسف معبرا رؤيا الملك: ((تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)).

عاد ألفتى إلى الملك واخبره بما قاله يوسف، فقال الملك: ائتوني به.

ذهب ألفتى ليخرجه من السجن، إلا أن يوسف رفض أن يخرج من السجن ما لم يبرئه الملك من حادثة المراودة.

قال يوسف لساقي الملك: ارجع إلى الملك فاسأله: (ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟)).

وعندما سمع الملك بذلك أرسل بطلبهن، وسألهن: ((ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه)).

قلن: ((حاش لله ما علمنا عليه من سوء)).

وقالت امرأة العزيز مقرّة بخطئها: ((الآن حصحص الحق،أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين)).

وقال الملك: ((ائتوني به أستخلصه لنفسي)).

عندما سمع يوسف بإجاباتهن قال: ((ذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين، ولكن ما أبرئ نفسي، إن النفس لامارة بالسوء،إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم)).

خرج يوسف من السجن بعد أن أصبح بريئا.

قال له الملك: ((إنك اليوم لدينا مكين أمين)).

فطلب منه يوسف قائلا: ((اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم)).

فجعله الملك مسؤولا عن خزائنه.

❖❖❖

مرت في البلاد مجاعة كما قال يوسف عندما عبر الرؤيا، وأصابت أهله، فجاء إخوته، ودخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون.

ولما جهزهم بجهازهم، قال: ((ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين، فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون)).

قالوا: سنقنع أبانا ليرسله معنا.

وقال يوسف لمن يعمل معه: ((اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون)).

❖❖❖

رجع الأخوة إلى أبيهم، قالوا له: ((يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون)).

قال أبوهم يعقوب: ((هل آمنكم عليه كما أمنتكم على أخيه من قبل؟ فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين)).

((ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم)).

قالوا: ((يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير)).

قال الأب: ((لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني)).

((فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل)).

ثم أوصاهم قائلا: ((يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنك من الله من شئ إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون)).

❖❖❖

ذهب الأخوة إلى مصر، ولما دخلوا على يوسف اختلى بأخيه واعلمه بأنه أخيه.

فلما جهزهم بجهازهم جعل المكيال في رحل أخيه، بعد أن اتفق مع فتيانه أن يفعلوا ذلك، ((ثم إذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون)).

قال فتيان يوسف: ((نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير)).

أنكر الأخوة ذلك وقالوا: ((تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين)).

بحثوا في الأوعية ابتداء من أوعية الأخوة، فوجدوه في وعاء أخيه.

قال الأخوة مبرئين ذمتهم من السرقة: ((إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)).

((فأسرها يوسف – هذه التهمة - في نفسه ولم يبدها لهم)).

وقع ذلك بيد الأخوة، وراحوا يتوسلون إلى يوسف أن يترك أخاهم معهم. قالوا: ((يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين)).

ردَّ يوسف عليهم: ((معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون)).

فلما استيأسوا منه عادوا إلى أهلهم.

قال كبيرهم: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين، ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين.

❖❖❖

عاد الأخوة إلى قريتهم، واخبروا أباهم بذلك، ولما عرفوا أنه لا يصدّق قولهم، قالوا له: اسأل أهل القرية التي كنا فيها، والقافلة التي أقبلنا فيها، وإنا لصادقون.

قال الأب: بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم، ثم قال: يا أسفى على يوسف، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم.

قال الأخوة لأبيهم: تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين.

قال الأب: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، يا بني أذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

❖❖❖

عاد الأخوة مرة أخرى، فلما دخلوا على يوسف، قالوا له: يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين.

قال يوسف: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جأهلون.

عندها عرفوا أنه يوسف أخاهم. قالوا: أئنك لانت يوسف؟

قال يوسف: أنا يوسف وهذا أخي قد مَنَّ الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

قالوا: تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين.

قال: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، أذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين.

❖❖❖

وعادوا إلى أبيهم بقميص يوسف وألقوه على وجهه فعاد بصره.

❖❖❖

ذهب الجميع إلى يوسف، وقال لوالده: هذا تفسير رؤياي.

❖❖❖

تفكيك النص

لأجل الدراسة، يمكن إجراء عملية تفكيك للنص، حسب الانتقال في المكان، أو تغيّر الموضوعة الرئيسية لذلك القسم. بتحويله إلى مجموعة من الأقسام لتسهل عملية دراسته، ومعرفة كيفية تعامل النص مع الزمن، وكيف قدمت موضوعاته، والأحداث التي صاغت الشخصية الرئيسية للنص.

القسم الأول:

المقطع الأول:

يبدأ النص من اللحظة التي اخبر بها يوسف والده يعقوب ما رآه في الرؤيا. أي أن القصة تبدأ بالحوار الذي يجري بين الابن وأبيه.([1])

فسمع إخوته بذلك، وسموه بـ (صاحب الأحلام - التوراة)، وتآمروا عليه.

---

[1] – تذكر التوراة أن يوسف رأى رؤيا أخرى سبقت هذه الرؤيا:

((وَحَلُمَ يُوسُفُ حُلْماً قَصَّهُ عَلَى إخوته، فَازْدَادُوا لَهُ بُغْضاً. قَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا هَذَا الْحُلْمَ الَّذِي حَلُمْتُهُ.رَأَيْتُ وَكَأَنَّنَا نَحْزِمُ حُزَماً فِي الْحَقْلِ، فَإِذا بِحُزْمَتِي وَقَفَتْ ثُمَّ انْتَصَبَتْ، فَأَحَاطَتْ بِهَا حُزَمُكُمْ وَانْحَنَتْ لَهَا».فقَالَ لَهُ إخوته: «أَلَعَلَّكَ تَمْلِكُ عَلَيْنَا أَوْ تَحْكُمُنَا؟» وَزَادَ بُغْضُهُمْ لَهُ بِسَبَبِ أَحْلاَمِهِ وَكَلاَمِهِ)).

المقطع الثاني:

ينتقل النص في هذا المقطع إلى إخوة يوسف، وهم يتآمرون عليه، والانتقال هذا يتم على مستوى الزمان والمكان، ويأتي الخطاب على شكل حوار يدور بين الأخوة.

قالوا فيما بينهم: إن يوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة، وأكدوا قائلين: إن أبانا لفي ضلال مبين.

وتأمروا فيما بينهم: اقتلوا يوسف، أو اطرحوه أرضا، يخلُ لكم وجه أبيكم، وتكونوا من بعده قوما صالحين.

قال قائل منهم: لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين.

المقطع الثالث:

ينتقل النص في هذا المقطع – في الزمان والمكان – لينقل لنا الحوار الذي يدور بين إخوة يوسف وأبيهم، وهم يقنعونه بأن يوافق على مرافقة يوسف لهم في خروجهم للرعي.

قالوا لأبيهم: يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون، أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون.

قال لهم: إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون.

فقالوا له: لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون.([1])

المقطع الرابع:

خروجهم إلى المرعى، وتنفيذ الذي قرروه، فالقوه في الجب.

المقطع الخامس:

يرجعون إلى والدهم ويخبروه بأن الذئب قد أكل يوسف، وأروه قميصه وقد اصطبغ بدم كذب.

المقطع السادس:

يعود النص إلى مكان البئر ويوسف، إذ تخرجه من البئر قافلة جاءت تستقي منه.

❖❖❖

القسم الثاني:

هذا الجزء فقير جدا بالمعلومات، وتبقى هناك أسئلة كثيرة سكت عنها النص، من مثل كم بقي في البئر؟ وكيف تم إخراجه؟ وكيف عومل من قبل القافلة؟ وكيف بيع على العزيز؟

[1] – فيما تذكر التوراة إن يعقوب هو نفسه يطلب من يوسف أن يخرج ليلحق بإخوته ((إِذْهَبْ وَاطْمَئِنَّ عَلَى إِخْوَتِكَ وَعَلَى الْمَوَاشِي، ثُمَّ عُدْ وَأَخْبِرْنِي عَنْ أَحْوَالِهِمْ)).

تدور أحداث هذا القسم في مصر، وقد كبر يوسف في بيت الشخص الذي اشتراه.

المقطع الأول:

ينتقل النص - في المكان والزمان - ليخبرنا أن القافلة قد باعت يوسف إلى العزيز بثمن بخس. والذي بدوره يطلب من زوجته إن تكرمه عسى أن ينفعهم، أو أن يتخذوه ولدا لهم.

المقطع الثاني:

يخبرنا النص إن يوسف قد كبر، وقد أتاه الله الحكمة والعلم.

المقطع الثالث:

راودته التي هو في بيتها عن نفسه، بعد أن همت به وهم بها، وغلّقت الأبواب، وقالت له: هيت لك. فقال لها: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي.[1]

واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر.

---

[1] – قال صاحب الكشكول: (وهكذا حكي عن زليخا: أنها فصدت يوماً فارتسم من دمها على الأرض: يوسف يوسف. قال صاحب الكشاف: ولا تعجب من هذا، فإن عجائب بحر المحبة كثير). (الكشكول – بهاء الدين العاملي) قرص الشعر.

وألفيا سيدها لدى الباب.

قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوء.

فقال لها زوجها: إلا أن يسجن أو عذاب أليم.

قال يوسف مدافعا عن نفسه: هي راودتني عن نفسي.

وشهد شاهد من أهلها فقال: إن كان قميصه قد قُدَّ من قُبل صدقت هي، وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد قُدَّ من دُبر كذبت هي، وكان هو من الصادقين.

فلما رأى العزيز قميصه قد قُدَّ من دبر، قال: إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم، عندها أوصى العزيز يوسف أن يعرض عن هذا ألفعل، فيما أوصى زوجته أن تستغفر لذنبها إن كانت من الخاطئين.

المقطع الرابع:

شاع خبر مراودتها ليوسف بين نساء طبقتها. ((وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين)).

فلما سمعت بالشائعة، أرسلت إليهن، بعد أن أعدّت لهن مجلساً. وآتت كل واحدة منهن سكيناً - وقيل مع التفاح - وقالت اخرج عليهن، فلما رأينه أكبرنه لجماله فقطعن أيديهن وقلن: حاش لله ما هذا بشرا، إن هذا إلا ملك كريم.

قالت لهن: ذلك الذي لمتنني فيه، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكون من الصاغرين.

فسمع يوسف ما دبرت له، فقال مع نفسه: رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإن لا تصرف عني كيدها أصب إليها وأكن من الجاهلين.

فاستجاب له ربه، فصرف عنه كيدها.

و أمر سيده بسجنه بعد أن أصرت زوجة العزيز.

المقطع الخامس:

وبعد فترة من الزمن دخل شابان السجن. ورأيا ليلا رؤى، ورويا رؤياهما إلى يوسف.

قال أحدهما: إني أراني أعصر خمرا.

وقال الأخر: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه.

ثم طلبا منه: نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين.

قال لهما بعد أن وعظهم: يا صاحبيَ السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الأخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه.

وبعد أيام خرجا من السجن.

فقال للذي ظن أنه ناج منهما: إذكرني عند سيدك.

إلا أن الشيطان أنساه ما أوصاه يوسف، ولم يخبر للملك بذلك، فلبث في السجن بضع سنين.

المقطع السادس:

في ليلة ما رأى ملك المدينة رؤيا، فأرسل إلى المفسرين وطلب منهم تفسيرا لها، وقال لهم: يا أيها الملا أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون.

سألوه عما رأى، فقال لهم: إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات.

فأجابوه قائلين: أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين.

تذكر الشاب الذي خرج من السجن يوسف وما أوصاه به، فقال للملك: أنا أنبئكم بتأويله. وطلب من الملك أن يرسله إلى السجن ليسأل يوسف.

عندما التقى بيوسف سأله: يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون.

قال يوسف مفسرا رؤيا الملك: تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون.

عاد الشاب - خادم الملك - بتفسير يوسف للرؤيا واخبر الملك، فأعجب بالتفسير وطلب أن يؤتى به.

إلا أن يوسف رفض الذهاب إلى الملك ما لم يبرأه. قال يوسف: ارجع إلى سيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟

أرسل الملك في طلب النسوة وامرأة العزيز وسألهن عن ذلك. فقلن: حاش لله ما علمنا عليه من سوء.

وأقرت امرأة العزيز بذنبها وقالت: الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين.

فتأكد للملك وللعزيز بأن يوسف بريئاً.

قال يوسف: ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. وأكد مع نفسه: وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم.

وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي.

وطلب يوسف من الملك أن يجعله على خزائن الأرض. فكان له ذلك.

❖❖❖

القسم الثالث:

المقطع الأول:

أصاب المملكة جدب ومجاعة، كما اخبر يوسف بذلك، بعد أن مرت سنوات سبع، كان فيها يوسف يجمع المحاصيل الزراعية.

وعندما أمحلت الأرض، وانتشرت المجاعة، جاء إخوة يوسف ليمتروا منه، فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون.

قال لهم: ائتوني بأخ لكم من أبيكم، ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين، فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون.

قالوا له: سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون.

ثم أمر يوسف فتيانه قائلا: اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون.

المقطع الثاني:

فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا له: يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون. [1]

[1] – ومن ضمن الإضافات على النص الإلهي كما ذكر في الكشاف، إن يعقوب أرسل رسالة إلى يوسف، وهذه صورة كتاب يعقوب إلى يوسف بعد إمساكه أخيه الصغير باتهامه بالسرقة نقلتها من الكشاف: (من يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر: أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت عليه النار برداً وسلاماً، وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم آتوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه، ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه، وكنت أتسلى به فذهبوا به، ثم رجعوا وقالوا: إنه سرق وأنك حبسته لذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام).

قال صاحب الكشاف: فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وبكى وكتب في الجواب: (إصبر كما صبروا، تظفر كما ظفروا). (الكشكول – بهاء الدين العاملي) قرص الشعر

قال أبوهم: هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين.

ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير.

قال: لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم.

فلما آتوه موثقهم قال: الله على ما نقول وكيل.

ثم أوصاهم قائلا: يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة.

المقطع الثالث:

فذهب الأولاد ومعهم أخيهم الصغير - شقيق يوسف - ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم - ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها - على يوسف آوى إليه أخاه.

قال لأخيه: إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون.

فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه لكي يبقيه معه دون أن يعلموا ، ثم إذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون.

وقال أعوان يوسف: نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم.

قال الأخوة: تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين.

قال الأعوان: فما جزاؤه إن كنتم كاذبين.

قال الأخوة: جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين.

وبحثوا عنه في أوعية الأخوة ووجدوه في أوعية شقيق يوسف.

خاف الأخوة وقالوا: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل.

فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم، وقال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون قالوا: يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين. قال يوسف: معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون.

فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين، ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين.

المقطع الرابع:

عاد الأخوة إلى أهلهم واخبروا والدهم بذلك، ولكي يصدق قولهم قالوا له: اسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون.

قال أبوهم: بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم.

تولى عنهم، وقال: يا أسفى على يوسف.

ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم.

قال الأخوة لأبيهم: تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين.

قال أبوهم: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون. وطلب منهم أن يذهبوا أو يسألوا عن يوسف وأخيه وطلب منهم أن لا ييأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

المقطع الخامس:

عادوا إلى مصر مرة أخرى، وذهبوا إلى حيث يوسف، فلما دخلوا عليه قالوا: يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين.

قال لهم يوسف: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جأهلون.

قالوا بعد أن عرفوه: أئنك لأنت يوسف.

قال: أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

عندها اقروا بخطئهم، ثم قالوا: تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين.

قال يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، إذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين.

❖❖❖

القسم الرابع:

عادوا إلى أبيهم، ورموا قميص يوسف عليه فعاد بصره إليه، واخبروه بذلك.

❖❖❖

القسم الخامس:

اخذوا أبيهم وأم يوسف إليه [1].

[1] – تذكر المصادر إن أم يوسف قد توفيت عندما كان طفلاً، وأن الذي تكفلت به خالته وقيل عمته.

وفي هذا القسم اكتملت دورة سردية النص: ((ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم)).

❖❖❖

موضوعات النص

هناك عدة موضوعات تناولها النص، من خلالها يمكن أن نصل إلى الدلالات الرئيسية له، من مثل: الحسد، الجنس، تفسير الأحلام، المكيدة، الحيلة...الخ.

١ - المحن التي مر بها يوسف :

آ - حسد الأخوة:[١]

[١] – يقول الجاحظ في فصل من صدر كتابه في الحاسد والمحسود: ((تسألني عن الحسد ما هو؟ ومن أين هو؟ وما دليله و أفعاله؟ وكيف تعرف أموره وأحواله، وبم يعرف ظاهره ومكتومه، وكيف يعلم مجهوله ومعلومه، ولم صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء؟ ولم كثر في الأقرباء وقل في البعداء؟ وكيف دب في الصالحين أكثر منه في ألفاسقين؟ وكيف خص به الجيران من بين أهل جميع الأوطان.

والحسد – أبقاك الله – داء ينهك الجسد، ويفسد الود، علاجه عسر، وصاحبه ضجر. وهو باب غامض وأمر متعذر، وما ظهر منه فلا يداوى، وما بطن منه فمداويه في عناء. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "دب إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء". وقال بعض الناس لجلسائه: أي الناس أقل غفلة؟ فقال بعضهم: صاحب ليل، إنما همه أن يصبح. فقال: إنه لكذا وليس كذا. وقال بعضهم: المسافر، إنما همه أن يقطع سفره. فقال: إنه لكذا وليس كذا. فقالوا له: فأخبرنا بأقل الناس غفلة. فقال: الحاسد، إنما همه أن ينزع الله منك النعمة التي أعطاكها، فلا يغفل أبداً (...) والحسد عقيد الكفر، وحليف الباطل، وضد الحق، وحرب البيان. فقد ذم الله أهل الكتاب به فقال: "ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم". منه تتولد العداوة، وهو سبب كل قطيعة، ومنتج كل وحشة، ومفرق كل جماعة، وقاطع كل رحم بين الأقرباء، ومحدث التفرق بين القرناء، وملقح الشر بين الخلطاء، يكمن في الصدر كمون النار في الحجر. ولو لم يدخل على الحاسد بعد تراكم الغموم على قلبه، واستمكان الحزن في جوفه، وكثرة مضضه ووسواس ضميره، وتنغص عمره وكدر نفسه ونكد عيشه، إلا استصغاره نعمة الله عليه، وسخطه على سيده بما أفاد غيره. وتمنيه عليه أن يرجع في هبته إياه، وأن لا يرزق أحداً سواه، لكان عند ذوي العقول مرحوماً، وكان لديهم في القياس مظلوماً. وقد قال بعض

الأعراب: "ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد: نفس دائم، وقلب هائم، وحزن لازم". والحاسد مخذول وموزور، والمحسود محبوب ومنصور. والحاسد مغموم ومهجور، والمحسود مغشي ومزور.

والحسد – رحمك الله – أول خطيئة ظهرت في السموات، وأول معصية حدثت في الأرض، خص به أفضل الملائكة فعصى ربه، وقايسه في خلقه، واستكبر عليه فقال: "خلقتني من نار وخلقته من طين"، فلعنه وجعله إبليساً، وأنزله من جواره بعد أن كان أنيساً، وشوه خلقه تشويهاً، وموه على نبيه تمويهاً نسي به عزم ربه، فواقع الخطيئة، فارتدع المحسود وتاب عليه وهدى، ومضى اللعين الحاسد في حسده فشقي وغوى.

وأما في الأرض فابنا آدم حيث قتل أحدهما أخاه، فعصى ربه وأثكل أباه. وبالحسد طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين. لقد حمله الحسد على غاية القسوة، وبلغ به أقصى حدود العقوق، فأنساه من رحمه جميع الحقوق، إذ ألقى الحجر عليه شادخاً وأصبح عليه نادماً صارخاً. ومن شأن الحاسد إن كان المحسود غنياً أن يوبخه على المال فيقول: جمعه حراماً ومنعه أثاماً. وألب عليه محاويج أقاربه فتركهم له خصماء، وأعانهم في الباطن وحمل المحسود على"خلقتني من نار وخلقته من طين"، فلعنه وجعله إبليساً، وأنزله من جواره بعد أن كان أنيساً، وشوه خلقه تشويهاً، وموه على نبيه تمويهاً نسي به عزم ربه، فواقع الخطيئة، فارتدع المحسود وتاب عليه وهدى، ومضى اللعين الحاسد في حسده فشقي وغوى. وأما في الأرض فابنا آدم حيث قتل أحدهما أخاه، فعصى ربه وأثكل أباه. وبالحسد طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين. لقد حمله الحسد على غاية القسوة، وبلغ به أقصى حدود العقوق، فأنساه من رحمه جميع الحقوق، إذ ألقى الحجر عليه شادخاً وأصبح عليه نادماً صارخاً. ومن شأن الحاسد إن كان المحسود غنياً أن يوبخه على المال فيقول: جمعه حراماً ومنعه أثاماً. وألب عليه محاويج أقاربه فتركهم له خصماء، وأعانهم في الباطن وحمل المحسود على قطيعتهم في الظاهر وقال له: لقد كفروا معروفك، وأظهروا في الناس ذمك، فليس أمثالهم يوصلون، فإنهم لا يشكرون. وإن وجد له خصماً أعانه عليه ظلماً، وإن كان ممن يعاشره فاستشاره غشه، أو تفضل عليه بمعروف كفره، أو دعاه إلى نصر خذله، وإن حضر مدحه ذمه وإن سئل عنه همزه، وإن كانت عنده شهادة كتمها، وإن كانت منه إليه زلة عظمها، وقال: إنه يحب أن يعاد ولا يعود، ويرى عليه العقود. وإن كان المحسود عالماً قال: مبتدع، ولرأيه متبع، حاطب ليل ومبتغي نيل، لا يدري ما حمل، قد ترك العمل، وأقبل على الحيل. قد أقبل

بوجوه الناس إليه، وما أحمقهم إذ انثالوا عليه. فقبحه الله من عالم ما أعظم بليته، وأقل رعته، وأسوأ طعمته)). انظر: الرسائل- الجاحظ قرص الشعر.

فيما أعد د. خمساوي أحمد الخمساوي الأستاذ بجامعة الأزهر بحثا بعنوان 'الحسد بين القرآن والعلم الحديث'.. والذي يقول فيه : (إن الحسد يطلق على ثلاثة معان مختلفة: المعنى الأول هو الغبطة أو المنافسة وهي تعظيم الأمر عند صاحبه وتمنى أن يكون لصاحبه هذه النعمة، والحسد بهذا المعنى ورد في الحديث الشريف [لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق "وبالتالي فهذا النوع من الحسد مطلوب ففي ذلك فليتنافس المتنافسون.

والمعنى الثاني هو الحسد البغيض وهو تمني زوال النعمة من المحسود وهو مسألة نفسية لا ينجو منها أحد إلا بتدريب نفسه وتعويدها على الأخلاق الكريمة لأن النعمة تأتي من الله وحسب حكمته وتمنى زوالها إنما هو اعتراض على حكمة الله. وبهذا المعنى ورد في الحديث الشريف [لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا "وورد أيضاً [إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب "وورد كذلك [ثلاثة لا ينجو منهم أحد وقل من ينجو منهم الظن والطيرة والحسد ." والمعنى الثالث يقصد به التأثير المادي الملموس الذي يحدث للمحسود بتأثير من الحاسد وهو ما نطلق عليه النظرة أو العين .والحسد بالمعنى الأول الطيب لن نتحدث عنه.

ألفرق بين الحسد السيئ والعين:

الحسد شعور نفسي يتمنى فيه الحاسد زوال النعمة من المحسود كراهة فيه، أما العين فهي شعور نفسي يتمنى فيه الناظر زوال النعمة من المنظور لاستكثارها عليه وهذا الاستكثار قد يكون مصحوبا بالكراهية أو لا، ولذلك قد يحسد الحاسد ولده. والحسد أيضاً شعور داخلي يمكن أن يوجد في جميع الأشخاص، أما العين أو النظرة فهي حالة توجد عند البعض فقط.

والحسد أيضاً شعور أخلاقي يمكن مقاومته بالإرادة وحسن الخلق، أما النظرة فهي حالة شبه حيوية لا يمكن للشخص منعها. والحسد يتم بمجرد علم الحاسد بنعمة المحسود، فيمكن لشخص هنا أن يحسد شخصا آخر في فرنسا أو الصين إذا علم أن عنده نعمة وتمنى زوالها، لكن النظرة لا تتم إلا برؤية الناظر للمنظور. ولا يتفاوت مقدار الحسد من شخص لآخر لكن يتفاوت مقدار النظرة. والحسد الذي ورد في القرآن الكريم هو الحسد بمعنى تمني زوال النعمة عن المحسود كراهية فيه، وقد ورد في أربعة مواضع. الموضع الأول في سورة ألفلق في قوله تعالى [ومن شر حاسد إذا حسد" ،

والموضع الثاني في قوله تعالى من سورة البقرة [ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم"، والموضع الثالث في قوله تعالى من سورة النساء [أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله"، والموضع الرابع في قوله تعالى من سورة ألفتح]فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا."

أما الحسد بمعنى النظرة أو العين فلم يرد في القرآن ولكنه ورد في السنة الشريفة في قوله صلى الله عليه وسلم [العين حق"، وقوله [العين حق تستنزل الحالق "والحالق هو الموت.

وقوله [العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقت العين وإذا استغسلتم فاغتسلوا] "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر العائن أن يتوضأ ثم يغتسل منه المعين."

الحسد نوع من الطاقة:

وقال د. خمساوي إن الوجود من حولنا عبارة عن أربعة نطاقات متداخلة وهي نطاق الطاقة ونطاق المادة ونطاق الحياة ونطاق النفس. ونطاق الطاقة يدرسه علم ألفيزياء، ونطاق المادة يدرسه علم الكيمياء، ونطاق الحياة يدرسه علم البيولوجي، ونطاق النفس يدرسه علم النفس. وهناك مناطق عبور بين كل نطاق من هذه النطاقات. فهناك منطقة بين نطاق الطاقة والمادة يدرسها علم الكيمياء ألفيزيائية، وهناك منطقة عبور بين المادة والحياة يدرسها علم الكيمياء الحيوية، وهناك منطقة عبور بين الحياة والنفس يدرسها علم الأعصاب، ثم هناك منطقة عبور بين النفس والطاقة يدرسها علم جديد يسمى السيكوترونيك.

والطاقة التي تم اكتشافها حتى الآن وجد أنها عبارة عن موجات كهرومغناطيسية، وكل التأثيرات التي تحدث منها تحدث نتيجة للاختلاف في طول الموجة. وهذه الطاقة تصل لنا من الشمس والنجوم وتصل إلينا بين أطوال موجية [١٠-١٤ — ١٠- ٨ "وفي هذه المنطقة كل اختلاف له تأثير. فمثلا الاختلاف في طول الموجة من — ١٤ حتى — ١٠ هو ما نعرفه باسم أشعة جاما ومن — ١٠ حتى — ٦ هو ما نعرفه باسم أشعة أكس، والأشعة الأطول منها هي فوق البنفسجية، ثم الضوء العادي، ثم الأشعة الحمراء، ثم الحرارة، ثم أشعة الراديو واللاسلكي.. الخ.

والذي تراه العين يمثل شريحة ضيقة فقط من الطاقة الموجودة في الكون وهو الذي يحدث فينا كل التأثيرات الحيوية التي نعرفها.. فهل يعقل أن كل الأطوال الموجية الأخرى التي تسقط على الجسم البشري ولا يراها لا تؤثر فيه؟..إذن الطاقة تؤثر على الجسم البشري بصور مختلفة .ومن الأمور التي تم اكتشافها حديثا أن الجهاز العصبي ما هو إلا نظام طاقة مضبوط عند مستوى معين ومنتظم،

وهذه الطاقة تؤثر فيها مراكز موجودة في المخ. وقد أمكن حل كثير من شفرات هذه الطاقة.. ووجد العلماء أن الاستجابة التي يستجيب لها الجسم نتيجة لمرور هذه النبضة العصبية التي أمكن معرفة شفرة الكود الطاقي لها وليكن تؤدي إلى رفع اليد مثلا. وقد ركبوا هذه الشفرة على جهاز يصدرها بنفس الشفرة وسلطوها على عضو ثم قطع الجهاز العصبي بينه وبين المخ ثم سلطوا عليه نفس الشفرة فأحدث نفس التأثير .وهذه الشفرة إذا ما تم الشوشرة عليها فإن الأوامر التي تذهب إلى الأعضاء تكون خاطئة وتستجيب الأعضاء استجابات متعاكسة ويحدث الضرر، كما أن شفرة الطاقة يمكن ضبطها إذا كانت مشوشرة.

العلم يؤكد أن العين حق:

قام مدير معهد النفس الديني بطوكيو بإجراء عدة بحوث حاول فيها أن يوجد علاقة بين الطاقة والنفس فاستخدم بعض الناس الذين وجد نتيجة ملاحظته لهم أنه يمكن أن تخرج منهم أنواع من الطاقة فوجد أن هناك مجموعة من الناس تزداد فيهم هذه الطاقة ولاحظ أن لهم خصائص معينة ولذلك سماهم [أناسا لهم قدرة على أمور نفسية .<"وتبين له أنهم دائما يكونون من نوعية ذات تدريبات خاصة فهم منطوون على أنفسهم وكثيرو التأمل العقلي وهذه التأملات تساعدهم على تنمية بعض البؤرات الموجودة في أجسامهم وهذه البؤرات عندما تنشط بالتدريج تستطيع أن تخرج الطاقة فتنفذ وتصل إلى الآخرين. وفي أبحاثه وجد بؤرا موجودة على امتداد العمود ألفقري في المحور المتماثل للإنسان، وأن البؤرة التي توجد بين العينين هي أقوى أنواع البؤرات وهي البؤرة التي تخرج منها الطاقة، أما البؤرات الأخرى فهي ضعيفة. ونحن نستطيع أن نستنتج أن الرجل العائن غالبا ما يكون منطويا على نفسه وهو دائما حاقد يتمنى زوال النعمة من الآخرين، وهو مصاب بالقلق النفسي ونتيجة لذلك فهو في تأملات عقلية كثيرة يحسب فيها ما في أيدي الناس، وهذه التأملات تنمي عنده نشاط البؤرات فتنطلق منه الأشعة دون رغبته ودون إذنه وهذه الطاقة تكون مرتبطة بالشكل الذي يفكر به، وتكون على نفس الشفرات الموجودة في الجهاز العصبي للمعين [المحسود " وبالتالي يحدث التأثير الضار والخلل في جسم المنظور.

لماذا طلب رسول الله من العائن أن يتوضأ أو يغتسل؟

قال العلماء في شرح الحديث إن الأفضل أن يغتسل العائن [الناظر <"فإذا لم يتمكن فيتوضأ، فإذا لم يستطع فليغسل وجهه. ونحن نعرف أن البؤرة موجودة في الجبهة فتتعرض للماء.

لكن هل هذا الماء ينقل طاقة ويوصلها إلى المكان الأخر المصاب ويصلح بها ما تم إفساده؟

((إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين)). [يوسف: ٨]

يؤكد أكثر علماء النفس والاجتماع، أن الحسد مرض نفسي لا يمكن معالجته إلا من داخل نفسية الحاسد، والمحسود. وقد وصلتنا مئات الأساطير والحكايات عن الحسد وما يفعله في الشخص المحسود، حتى شاع بين العامة المثل القائل: (عين الحسود لا تسود) أو (الحسود لا يسود)، أي أن الشخص الحاسد لا يكون في يوم ما سيدا على غيره.

إن المعروف أن الماء يتكون من الهيدروجين والأكسجين وهو قطبي أي تكون إحدى الذراة عليها شحنة سالبة والأخرى تكون عليها شحنة موجبة مثل القضيب المغناطيسي. وهذه الجزئيات الموجودة في الماء تكون موزعة توزيعا عشوائيا في الماء الطبيعي، ولو مررنا مجالا مغناطيسيا ذا قوة محددة في هذا الماء فسوف تنسجم هذه الجزئيات بحيث تكون الأقطاب الموجبة في اتجاه والسالبة في اتجاه وتصبح منتظمة في خطوط. وقال العلماء إن الماء لما خلق أول مرة كان على هذه الصورة الصحيحة ثم حدث له عدم الانتظام. والعلماء يسمون الماء عديم الانتظام بالماء الميت، والماء المنتظم الأقطاب بالماء الحي. وعلى هذا فالماء الحي هو الماء الذي تم إعادة ضبط رقمه بتسليط طاقة مغناطيسية محددة القوة عليه. وقد وجد العلماء أن الماء الحي له تأثيرات طيبة وتأثيرات في زيادة النمو وزيادة الإزهار في النبات.

وبتطبيق ذلك في حالة اغتسال العائن نجد أن العائن إذا ذكر بخطئه وتذكر وطلب منه أن يغتسل فإن نيته تتغير وتصدر عنه موجة غير الأولى فلما مر ماء الوضوء على وجهه حمل هذه الطاقة بهذه الشفرة الجديدة فيصلح الجزء المصاب من الإنسان المحسود.

والعجيب أن الحديث طلب من العائن أن يغتسل أو يتوضأ بينما طلب من المعين أن يغتسل وذلك لأن البؤرة في العائن محددة ومعروفة بينما الجزء المصاب في المعين غير معلوم). نقلا عن موقع دهشة الالكتروني.

وقد كانت الثيمة الرئيسية للقسم الأول من قصة يوسف هو الحسد، حسد إخوة يوسف له، عندما وجدوا أن أباهم كان يفضله وأخاه الصغير عليهم، أو انه يحبه أكثر منهم. إضافة – كما يذكر النص التوراتي – إلى أن يوسف كانت كل رؤاه في المنام تدل دلالة كاملة على إن مستقبله سيكون أفضل منهم، فسموه صاحب الأحلام.

والحسد يؤدي إلى التأثير بالمحسود، وكان هذا التأثير قد جاء بصورة مباشرة من خلال التآمر على يوسف ورميه في الجب، علما أن القرآن قد وصف موضوعة الحسد في مكان آخر، وهو قصة أبناء ادم.

((واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الأخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ❖ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ❖ إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ❖ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)). [مائدة: ٢٧ - ٣٠]

إذن، بني القسم الأول من النص على ثيمة الحسد التي بنيت أساسا على سلوك الأب يعقوب في تفضيله ليوسف وأخيه على بقية الأخوة. فضلا على الرؤيا التي كان يراها يوسف في المنام والتي تنبئ عن مستقبله الزاهر.

❖❖❖

ب رميه في الجب:

إن حسد الأخوة لأخيهم يوسف أدى إلى التآمر عليه، فكان أن اختلفوا في كيفية التخلص منه، فقر رأيهم على رميه في الجب بعد أن أشار عليهم قائل منهم (الأخ الكبير في أكثر التفاسير المتأثرة بالنص التوراتي).

((اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ❖ قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين)). [يوسف: ٩ -١٠]

فتفضيل الأب ليوسف أدى إلى حصول الحسد في نفسية الأخوة، والحسد هذا أدى إلى التآمر على يوسف، والتآمر هو للخلاص منه بقتله كما رغب الأخوة كلهم عدا الأخ الكبير الذي رأى أن يرموه في الجب دون قتله على أمل – كما تذكر بعض المصادر – أن يعود هذا الأخ إلى البئر ليخرجه منه.

***

ج - عبوديته:

من المحن التي مر بها يوسف هي بيعه في سوق النخاسة عبداً، بعد أن كان في كنف عائلة وأب حنون.

(وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين)). [يوسف: ٢٠]

وبهذا الشأن تختلف المصادر التي تتحدث عن يوسف، فمنها من تزعم أن الأخوة قد باعوا يوسف على أصحاب القافلة الذين باعوه إلى العزيز. ومنها من تزعم أن الأخوة لم يفعلوا ذلك، لأن وارد القافلة هو الذي أخرجه من البئر ومن ثم باعه إلى العزيز، وهذا هو الرأي الموافق لمضمون النص. ومهما يكن، فقد صار يوسف سلعة تباع وتشترى، أي، أصبح رقاً حسب مفهوم ذلك الزمان. ولنتساءل مع ألفخر الرازي هل يمكن لنبي أن يكون رقا يباع في السوق؟

صحيح إن العزيز قد أوصى زوجته أن تكرم مثواه، و هذا الاهتمام إذا أخذناه بالمفهوم القرآني وكما يقول المفسرون، كان اهتماما إلهياً بيوسف، وكأن العزيز كان يعلم بما سيؤول إليه مستقبل يوسف، لكن الدراسة ترى إن طلب الاهتمام به كان يعود إلى شخصية يوسف نفسه، أي لجمال صورته، واكتمال هيئته أولا. وثانياً، لفقد العزيز للذرية. كما تخبرنا بعض المصادر إن العزيز كان عقيما.

ومهما يكن فقد أصبح يوسف عبداً في بيت العزيز، يخدم أهل البيت، وخاصة زوجة العزيز كأي عبد آخر.

❖❖❖

د - دخوله السجن:

عندما أشيع خبر مراودة زوجة العزيز ليوسف بسبب شغفها حبا به بين نساء الطبقة العليا للمجتمع، في الوقت الذي كان فيه يوسف بريئا، أصابت الحيرة العزيز، فاضطر إلى سجن يوسف - تحت إلحاح زوجته - لكي تثبت تهمة يوسف أمام النساء. وكانت أمنية يوسف هي السجن كي يتخلص من غواية امرأة العزيز.

((قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين *فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم *ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين)). [يوسف: ٣٣ - ٣٥]

إذا كان رمي يوسف في البئر قد فتح له آفاقا جديدة في الحياة – على الرغم من وقوعه في العبودية – فأن دخوله السجن – على الرغم من تقييد حريته – كان أن فتح أمامه أيضاً أفاقا في الحياة، إذ تعرّف داخل السجن على ساقي الملك الذي بتوصية منه أمام الملك إن أطلق سراحه ومن ثم تنصيبه عزيزاً. وهكذا كانت المحن التي يقع فيها يوسف هي التي تفتح له آفاقا جديدة في الحياة.

❖❖❖

٢- الجنس في قصة يوسف:

كثيرا ما تحدث القرآن عن الجنس، واعتبره – في تجلياته غير المحكومة بالشرع الإلهي – شرا وإثما كبيران.

وإذا نظرنا إلى قصة يوسف – بصورة عامة - لوجدناها صراعا بين الخير والشر، وان مسألة الجنس فيها ليست مسألة عابرة، بل هي جزء مهم من هذا الصراع، وثيمة رئيسية فيه، ذلك لأن الجنس في الأدب والأساطير، فضلا على ما جاء في الشرائع الدينية – سماوية أو وضعية، هو صراع مستمر بين الخير والشر. فالتوراة على سبيل المثال كدين سماوي يعكس هذه الثيمة على هذا الشكل. وما قصة شمشون، وقصة داود وأوريا، وقصة لوط مع ابنتيه أو بين قومه، إلّا مثالا حياً عما نقول.

يتجسد الخير في يوسف، فيما يتجسد الشر في زوجة العزيز، ولا شيء بين هذين الوجهين. الخير خير والشر شر. فإما أن ينتصر الشر على الخير كما في قصة شمشون، وهو مثل توراتي، وأما أن ينتصر الخير على الشر، كما في قصة قوم لوط القرآنية، وقصة يوسف كذلك.

ولما كانت قصة يوسف واحدة من قصص القرآن التي جاءت للعبرة، فان الخير هو المنتصر. هذا يعني أن يوسف قد خرج من هذا الصراع – الامتحان – مبرئ، سالماً حسب المفهوم الإسلامي، وان الله هو الذي أراد ذلك، أي أن النصر كان من الخارج، من

قيم غيبية ليس لإرادة الإنسان أي تدخل فيها. أما الداخل فأن (النفس أمارة بالسوء). وهذا يذكّرنا بالبطل الاسطوري – إذا اعتبرنا يوسف بطلاً – الذي تأتيه المساعدة من خارج ذاته، من قوى غيبية. وهذه إحدى أسباب النظر إلى هذه القصة كاسطورة بالمفهوم الأدبي لا الديني.

تروي القصة القرآنية، أن امرأة العزيز قد هامت حباً (بفتاها) يوسف ((ولقد همّت به))، أما يوسف فقد ((همّ بها))، ولكي تسقطه في حبائلها، أعدت لذلك أسباب السقوط، فأغلقت أبواب قصرها، وأعدت مكان الممارسة الجنسية: ((وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك)).

هنا يرد سؤال عن تبادل الـ (هم). فالنص القرآني يذكر صراحة أن الـ (هم) كان متبادلا بين زوجة العزيز وبين يوسف، إلّا أن بعض المفسرين للقرآن – بسبب نظرية تنزيه الأنبياء - يؤكدون على أن يوسف لم يهمّ بها جنسياً، بل كان الهم من باب الصد، أي أنه همّ بصدها، أو همّ بضربها.

يقول الجصاص: ((قوله تعإلى ولقد همت به وهم بها روي عن الحسن به بالعزيمة وهم بها من جهة الشهوة ولم يعزم وقيل هم جميعا بالشهوة ان الهم بالشيء مقاربته من غير مواقعه والدليل على أن هم يوسف بها لم يكن من جهة العزيمة وإنما كان من

جهة دواعي الشهوة قوله الله إنه ربي أحسن مثواي وقوله كذلك لنصرف عنه السوء وألفحشاء إنه من عبادنا المخلصين فكان ذلك إخبارا ببراءة ساحته من العزيمة على المعصية وقيل إن ذلك على التقديم والتأخير ومعناه لولا أن رأى برهان ربه هم بها وذلك لأن جواب لولا لا يجوز أن يتقدمه لأنهم لا يجيزون أن نقول قد أتيتك لولا زيد وجائز أن يكون على تقديره تقديم لولا)).([1])

ويقول الزبيدي عن معنى (همّ): ((الهم (ما هم به في نفسه) أي نواه وأراده وعزم عليه وسئل ثعلب عن قوله تعإلى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه قال همت زليخا بالمعصية مصرة على ذلك وهم يوسف عليه السلام بالمعصية ولم يأت بها ولم يصر عليها فبين الهمين)).[2]

يقول الشريف المرتضى: ((... فإن قيل: فهل يسوغ حمل الهم في الآية على العزم والإرادة؟ ويكون مع ذلك لها وجه صحيح يليق بالنبي (ع)؟. قلنا: نعم، متى حملنا الهم ههنا على العزم، جاز أن نعلقه بغير القبيح ويجعله متناولا لضربها أو دفعها عن نفسه، كما يقول القائل: قد كنت هممت بفلان، أي بأن أوقع به ضربا أو مكروها)).[3]

---

[1] – أحكام القرآن – الجصاص –ج ٣ ص ٢٢٠ .

[2] – تاج العروس – الزبيدي– ج ٩ ص ١٠٩.

[3] – تنزيه الأنبياء – الشريف المرتضى – ص ٧٥ – برنامج المعجم العقائدي . الإصدار الأول.

ومها كان الهمّ، فأن حادثة (هم) زوجة العزيز جنسياً – وهي المبادرة في ذلك – قد حدثت، وليس في ذلك أدنى شك.

ومن خلال الدراسات التي تناولت البطل – الشخصية المركزية – الاسطوري، توصلت هذه الدراسات إلى أن المساعدة تأتيه من الخارج (خاصة من القوى الغيبية)، ولا تنبع من داخله، كالبطل الواقعي. ولهذا نجد أن يوسف يمتنع عن فعل ما أرادت منه زوجة العزيز، لا لأنه رغب في ذلك – كأن يكون لأنه ابن نبي، أو أن تربيته العائلية تأمره بذلك، أو لان والده النبي يعقوب قد ظهر له كما يقول بعض المفسرين، أو لخوفه من سيده - بل نجد أن العون يأتيه من خارج ذاته، من قوة لا يملك دفعاً لها، إنها من الله: ((ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء وألفحشاء إنه من عبادنا المخلصين)). فما هو البرهان الإلهي؟ لم يذكره النص القرآني، إلّا أن المفسرين قد غربوا وشرقوا في ذلك.

يقول الطبري: ((حدثني زياد بن عبد الله قال حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال سألت ابن عباس ما بلغ من هم يوسف قال استلقت له وجلس بين رجليها، حدثنا ابن وكيع قال حدثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة ولقد همت به وهم بها قال استلقت له وحل ثيابه)). [1]

[1] – تفسير الطبري: ١٢ – ١٨٤.

((وأما آخرون ممن خالف أقوال السلف وتأولوا القرآن بآرائهم فأنهم قالوا في ذلك أقوالا مختلفة فقال بعضهم معناه ولقد همت المرأة بيوسف وهم بها يوسف أن يضربها أو ينالها بمكروه ويبن به مما أرادته من المكروه لولا أن يوسف رأى برهان ربه وكفه ذلك عما هم به من أذاها لا أنها محروسة من قبل نفسها، قالوا والشاهد على صحة ذلك قوله كذلك لنصرف عنه السوء وألفحشاء قالوا ينحازوا هو ما كان هم به من إذاها ألفحشاء،وقال آخرون منهم معنى الكلام ولقد همت به، فتناهى الخبر عنها ثم ابتدأ الخبر عن يوسف)). [1]

وجاء في تفسير الثوري: ((عن بن عباس في قوله همت به وهم بها قال أسلمت له وحل التبان وقعد بين فخذيها فنادى مناد يا يوسف لا تكن كالطاير قال إذا دما ذهب ريشه فلم يعظ عن الندى شيا فنودي الثانية فلم يعظ عن الندى شيا فتمثل له يعقوب فضرب صدره فقام فخرجت الشهوة من أنامله)).[2]

نتساءل: من أين جاء ابن عباس بهذا التفسير؟ علما إن كتب الأحاديث لم تذكر أن النبي قد ذكر ذلك. إلّا إذا كانت كل هذه المعلومات قد سمعها من محيطه الاجتماعي، أي ما كان

[1] – المصدر السابق:١٢ – ١٨٥ .

[2] – تفسير الثوري– سفيان الثوري ص ١٤٠.

يتداوله العامة من الناس، أي ما هو أسطوري من النص، أو من أستاذه اليهودي المتأسلم كعب الأحبار.

وكذلك القول عما جاء به ابن جرير في تفسيره: ((حدثنا ابن وكيع، قال: حد ثنا عمرو بن محمد، قال: حد ثنا أسباط، عن السدي: ولقد همت به وهم بها قال: قالت له: يا يوسف ما أحسن شعرك قال: هو أول ما ينتثر من جسدي. قالت: يا يوسف ما أحسن وجهك قال: هو للتراب يأكله. فلم تزل حتى أطمعته، فهمت به وهم بها. فدخلا البيت، وغلقت الأبواب، وذهب ليحل سراويله، فإذا هو بصورة يعقوب قائما في البيت قد عض على أصبعه يقول: يا يوسف تواقعها فإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق، ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات ووقع إلى الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يعمل عليه، ومثلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه. فربط سراويله، وذهب ليخرج يشتد، فأدركته، فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه، فخرقته حتى أخرجته منه، وسقط، وطرحه يوسف، واشتد نحو الباب)). ([1])

وهناك اسطورة مصرية – فرعونية (حكاية الأخوين) تتناول ثيمة المراودة، مراودة زوجة الأخ الأكبر لأخيه الأصغر.

[1] – جامع البيان – ج ٢١ ص ٢٣٩.

وملخص الاسطورة، أن "انوبو" الأخ الأكبر، وشقيقه الأصغر"بايتي"، كانا يعيشان سوية في بيت واحد، يعود "بايتي" إلى البيت من الحقل ليحضر كيس البذور، وكانت زوجة شقيقه الأكبر الذي كان "بايتي" يعيش معهم في بيتهم، تمشط شعرها، وعندما تراه تعجب بقوته وجماله وفتوته، فتغلق أبواب البيت وتراوده عن نفسه، فيرفض ويهرب، وعندما يعود الأخ الأكبر تخبره زوجته زاعمة أن شقيقه حاول أن يعتدي عليها، وأنه ضربها بعد أن رفضت، ثم قالت لزوجها يجب أن تقتله، وعندما عاد "بايتي" بالبقرات من الحقل، كان شقيقه يختبئ بحضيرة الحيوانات ليقتله، إلّا أن البقرات تحذر "بايتي" منه، فيترك البيت هاربا. ([1])

إذا كانت الثيمة الرئيسية للقسم الأول هو الحسد، فأن الثيمة الرئيسية للقسم الثاني من قصة يوسف، هي الجنس. وهذا يؤكد ان التوراة أخذت المسار العام لقصة يوسف مع زوجة العزيز من الاسطورة الفرعونية، حكاية الأخوين.

❖❖❖

[1] – ملخص من– أساطير من الشرق – سليمان مظهر – الكتاب الماسي –الدار القومية للطباعة والنشر – ب. ت.

٣ – الرؤيا وتفسيرها:

في دراستنا هذه سوف لا ندخل في متاهات تفسير الأحلام ألفرويدي، أو كتب تعبير الرؤيا العربية/ الإسلامية مثل كتاب تعبير الرؤيا لابن سيرين، ولكننا سنتابع التفسير الذي جاءت به كتب التفسير التي أخذت من العامة، أو مما كان متداولا بين العامة من تفسير لرؤيا يوسف عن الكواكب. أما الرؤى الأخرى فقد قدم النص تفسيره أو تعبيره لها.

وقد توصلت الدراسات الحديثة إلى أن الأحلام ترجع إلى أحد نوعين، هما: ((أما شعوري، وهو ما يشغل النفس من مشاكل في واقع الحياة، وأما لا شعوري، وهو ما رسب في النفس من رغبات مكبوتة، فيتخذ العقل الباطن من الأحلام متنفساً لهذا الكبت الذي يقع في اليقظة)).[١]

ولما كان النص الذي بين أيدينا نصا مقدسا (من القرآن)([٢])، فأنه أضاف نوعا ثالثا لهما وهي الرؤيا الصادقة، وهي إضافة إسلامية، تتراءى لبعض خلق الله، وهم الأنبياء أو الأولياء الصالحين، كما هي الرؤيا التي رآها النبي إبراهيم في ذبح ابنه.

---

[١] – مجلة المورد – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – الرؤيا في القرآن الكريم – عبد الجبار محمود السامرائي – ١٠.

[٢] – لان النص المتداول قبل الإسلام لم يصل الينا، أي كان هناك نصا متداولا بين العامة، والا كيف يكون نصا توراتيا دون ان يتداوله العامة من الناس؟

والرؤيا التي رآها النبي محمد قبل معركة بدر، وفتح مكة. والرؤيا التي رآها يوسف.

هذا النوع من الرؤى هي قراءة للمستقبل، وكشف للغيب، كما قال المفسرون.

آ – رؤيا القمر والشمس والكواكب:

((إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)).

يمكن القول مع رجال التفسير، إن هذه الكواكب يمكن تفسيرها بـ:

- القمر = الأب.
- الشمس = الأم (إن العرب تؤنث الشمس، وتذكر القمر).
- الكواكب = الأخوة.

وإذا أردنا أن نتمحل كثيرا مع النص كما تمحل الذين تناولوا القصة - المفسرون خاصة - فأن النبي عندما سئل عن أسماء هذه الكواكب من قبل اليهود، أجابهم بأسمائها : ((أتى النبي (ص) رجل من يهود يقال له بستانة اليهودي، فقال له: يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف ساجدة له، ما أسماؤها؟ قال: فسكت رسول الله (ص)، فلم يجبه بشيء، ونزل عليه جبرئيل وأخبره بأسمائها. قال: فبعث رسول الله (ص) إليه، فقال: هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها؟ قال: نعم، فقال:

جربان والطارق، والذيال، وذو الكتفان، وقابس، ووثاب وعمودان، وألفليق، والمصبح، والضروح، وذو القرع، والضياء، والنور. فقال اليهودي: واللّه إنها لأسمائها)).[1]

والكاتب يرى أن هذا الخبر موضوع، لا لأن الكواكب وقتذاك كانت غير معروفة كلها، ولا لأن العرب قد عرف أكثر من كوكب، وان هذا الذي عرفوه ليس من الكواكب المعنية بشيء، لأنهم ذكروا أكثر من هذا العدد، لذا فإنها ليست هي المعنية، وكذلك فأنهم لم يذكروا هكذا أسماء ولا ذكرها كتّابهم .

ومن الطريف أن نذكر إن الكواكب التي تم اكتشافها حتى الآن هي: عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو. وقد اكتشف احد العلماء عام ٢٠٠٥ كوكبا جديدا وهو الكوكب العاشر، إلا أنهم في مؤتمرهم عام ٢٠٠٦ اتفقوا على أن بلوتو ليس بكوكب. ونحن في هذه الدراسة غير معنيين بإثبات صحة عدد الكواكب أو تسمياتها.

إلّا أن ما يعنينا هنا هو أن الكواكب تعني الأخوة.

---

[1] – جامع البيان – إبن جرير الطبري:+ ج ٢١ ص ١٩٧. وكذلك: قصص الأنبياء – الجزائري – ٢٠١.

ونلاحظ أن التوراة تذكر إن يعقوب يزجر ابنه يوسف بسبب هذا الحلم: ((ما هذا الحلم الذي رأيته أترانا نجيء أنا وأمك وإخوتك فنسجد لك إلى الأرض)) (تكوين ٣٧/١٠)

❖❖❖

ب - رؤى السجينين:

((ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الأخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين)). [يوسف: ٣٦]

((يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الأخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان)). [يوسف: ٤١]

ا - عاصر الخمر= متابعته لعمله السابق (سقي الخمر).

ب – حامل الخبز الذي تأكل منه الطير= الصلب.

يهيئ هذا الحلم وتعبير يوسف له، إلى أن يكون يوسف مذكورا أمام الملك، إذ انه كان غير معروف في البلاط الملكي، حتى راح بعض مفسري النص إلى القول إن اللّه – وهو من القوى الغيبية – هو الذي رتب أن يكون مع يوسف هذين السجينين، وأن يكونا من خاصة الملك، وزاد البعض من المفسرين إلى أن هناك اتفاقا بين السجينين لأن يختبرا يوسف بتعبير الرؤى، وإنهما لم يريا أية رؤيا، وإنما احتالا عليه، حتى إذا قام يوسف بتعبير

رؤاهم، اخبروه أنهم لم يريا أية رؤيا، عندها قال لهما: ((قضي الأمر الذي فيه تستفتيان)).

((وقوله قضى الأمر الذي فيه تستفتيان لا يخلو من إشعار بان الصاحبين أو احدهما كذب نفسه في دعواه الرؤيا ولعله الثاني لما سمع تأويل رؤياه بالصلب وأكل الطير من رأسه ويتأيد بهذا ما ورد من الرواية من طرق أئمة أهل البيت (ع) إن الثاني من الصاحبين قال له أنى كذبت فيما قصصت عليك من الرؤيا فقال (ع) قضى الأمر الذي فيه تستفتيان، أي أن التأويل الذي استفتيتما فيه مقضي مقطوع لا مناص عنه)). ([1])

وجاء في تاريخ الطبري: ((عن عبد اللّه في ألفتن اللذين أتيا يوسف في الرؤيا إنما كانا تحالما ليختبراه فلما أوَّلَ رؤياهما قالا: إنما كنا نلعب فقال: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان)). ([2])

((وقال الأخر ((إني أرانى احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه)) ولم يكن رأى ذلك فقال له يوسف أنت يقتلك الملك ويصلبك وتأكل الطير من دماغك، فجحد الرجل وقال إني لم أر ذلك))([3]).

---

[1] – برنامج المعجم العقائدي. الإصدار الأول – مركز المصطفى – (ص) ص ٨.

[2] – تاريخ الطبري– ج ١ ص ٣٤٣ – مركز المصطفى (ص) – ص ٣٧٥.

[3] – تفسير القمي – علي بن إبراهيم القمي: ج ١ ص ٣٤٤.

((وأما الأخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه " فروي أن صاحب الصلب، قال ما رأيت شيئا، فقال له قضي الأمر الذي فيه تستفتيان)).([1])

((وقوله قضى الأمر الذي فيه تستفتيان لا يخلو من إشعار بان الصاحبين أو احدهما كذب نفسه في دعواه الرؤيا ولعله الثاني لما سمع تأويل رؤياه بالصلب وأكل الطير من رأسه ويتأيد بهذا ما ورد من الرواية من طرق أئمة أهل البيت (ع) إن الثاني من الصاحبين قال له أنى كذبت فيما قصصت عليك من الرؤيا فقال (ع) قضى الأمر الذي فيه تستفتيان أي إن التأويل الذي استفتيتما فيه مقضي مقطوع لا مناص عنه)). ([2])

((قالا: ما رأينا شيئا، إنما كنا نلعب قال: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان)). ([3])

((لما قالا ما قالا وأخبرهما قالا ما رأينا شيئا)). ([4])

من المسكوت عنه في النص – اسطوري وقرآني وتوراتي – هو لماذا صلب الخباز؟

---

[1] – التبيان – الشيخ الطوسي: ج ٦ ص ١٤٣.

[2] – تفسير الميزان – السيد الطباطبائي: ج ١١ ص ١٨٠.

[3] – جامع البيان – إبن جرير الطبري: ج ٢١ ص ٢٨٥.

[4] – تفسير ابن كثير – ابن كثير: ج ٢ ص ٤٩٦.

وألا يكفي أن يدخل معه السجن سجين واحد ليعرف قدرة يوسف على التأويل وليخبر الملك؟ إذ ظل السجين الأخر لا فائدة منه، فقد صدق تعبير يوسف لرؤيا هذا السجين.

❖❖❖

ج - رؤيا الملك:

((وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملا أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون❖ قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين * وقال الذي نجا منهما وادَّكر بعد أمةٍ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون *يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون * قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون * ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون * ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)). [يوسف: ٤٣ -٤٩]

وكان تعبير يوسف من خلال فك رموز الرؤيا بعد أن إعتذر مفسروا الأحلام والمنجمين من تعبيرها، كما يلي:

- بقرات سمان = سنين خير.
- بقرات عجاف = سنين مجاعة.

- سنبلات خضر = مؤونة كثيرة.
- سنبلات يابسات = مؤونة قليلة أو معدومة.

ويذكرنا هذا الحلم ألفرعوني بأسطورة جلجامش الرافدينية، حيث تمر سبع سنوات مجاعة تستعد لها الآلهة عشتار.

فضلا عما في الرقم سبعة من رمزية ليست خاصة بالدين الإسلامي، وإنما هي عامة في الأديان المسماة ابراهيمية، وكذلك الأديان الوضعية، منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا.

ولو تصفحنا آيات القرآن لوجدنا ذلك بيّن واضح.

فالرقم سبعة أو مضاعفاته كثيرة الورود في القرآن، إذ جاء فيه:

"والبحر يمده من بعده سبعة أبحر".(لقمان:٢٧)

"سبع سنبلات خضر وآخر يابسات".(يوسف:٤٣)

"ثم استوى إلى السماء، فسواهن سبع سماوات". (البقرة: ٢٩)

"كمثل حبة أنبتت سبع سنابل". (يوسف: ٢٦١)

"ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق". (المؤمنون: ١٧)

"الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن". (الطلاق: ١٢)

"سخرها عليهم سبع ليال". (الحاقة: ٧)

"لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم". (الحجر: ٤٤)

"ولقد أتيناك سبعاً من المثاني". (الحجر: ٨٧)

"في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا". (الحاقة: ٣٢)

"فاختار موسى من قومه سبعين رجلا لميقاتنا". (الأعراف: ١٥٥)

"إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم". (التوبة: ٨٠) ([1])

فالبحور سبعة، وسموات سبع، والأراضي سبعة، أو بسبع طبقات، والسنابل التي تخرج من سنبلة واحدة هي سبعة، وعدد الليالي التي سخرها الله عقوبة لأهل عاد هي سبعة، وجهنم لها سبعة أبواب، والمثاني سبعة، وسلسلة جهنم طولها سبعين ذراع، والعدد الذي اختاره موسى من رجال قومه هو سبعين، وحتى لو استغفر النبي للكفرة سبعين مرة فالله لا يقبل مغفرته.

❖❖❖

٤ - رمزية القميص: ([2])

ما نقصده بالرمز هنا هو ما ترسخ في الوجدان الجمعي من دلالات معرفية عن حدوث شيء ما.

فليس القميص الذي نحن بصدد الحديث عنه هو المعني بالرمزية، وإنما هي العلامات التي يحملها، والتي تحمل معها دلالات تعارف الناس عليها.

---

[1] – مصطلحات النقد العربي السيماءوي – الإشكالية والأصول والامتداد – ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤– الدكتور مولاي على بو خاتم : ص ١٦٩.

[2] – راجع خفايا التوراة – ص١٧٢، وقد قدم الصليبي موجزا عن لون واسم المادة المصنوع منها القميص.

وقد بين أكثر كتاب النقد الحديث أن: العلامة Signal والأمارة Indice والرمز Symbile والمثال Allègorie هي مصطلحات متقاربة. وقد صرّح رولان بارت بأن: (العلامة حدث مدرك مباشرة يعلمنا بشيء ما عن حدث آخر، غير مدرك مباشرة). ([1])

وقد استخدم هذا القميص ثلاث مرات في النص وبرمزية ذات قيمة دلالية عليا، وهو يحمل علامته في كل مرة. وقد تجلت هذه الرمزية بصور ثلاث، و أعطت دلالاتها المرجوة منها، وهي:

آ- القميص الملطخ بدم كذب:

((وجاءوا على قميصه بدم كذب)). (يوسف: ١٨)

فالقميص هنا ليس هو المعني، ولكن ما حدث فيه هو الذي يعنينا هنا، وهو الدم. فالدم هو إشارة ترمز لشيء مذبوح = مقتول. إذن فالقميص يحمل الإشارة الدالة على القتل، وعلى الافتراس بقرينة ما ادعاه الأخوة.

والذي تعارف عليه الوجدان الجمعي هو أن كل: ثوب + دم + أداة القتل، أو آثارها = الافتراس = (الذئب) = الموت.

[1] - للمزيد من المعلومات عن الرقم سبعة راجع دراسة د/ سيد محمود القمني: سر الأسماء المقدسة المنشورة في كتابه: "رب الزمان ودراسات أخرى"، طبعة مدبولي الصغير-١٩٩٦- ص ٢٢٧ - ٢٣٢.

إلّا أن الأب في هذا النص – كما تخبرنا النصوص التي حايثت النص القرآني عند المفسرين – عرف الادعاء الكاذب بأكل الذئب لابنه، بعد أن رأى القميص غير ممزق (افتقاد لأداة القتل). والذئب عندما يفترس ألفريسة - الإنسان خاصة - يتمزق ما يلبسه من ملابس، لهذا نراه يقول لهم: ((قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)).

إذن كان الادعاء كاذبا، وكان ألفعل فعلهم.

((حدثني عبيد الله بن أبي زياد قال حدثنا عثمان بن عمرو قال حدثنا قرة عن الحسن قال جيء بقميص يوسف إلى يعقوب فجعل ينظر إليه فيرى أثر الدم ولا يرى فيه خرقا قال يا بني ما كنت أعهد الذئب حليما)).([1])

أي لو كان الذئب هو المفترس لتمزّق القميص.

وكان هذا القميص هو الذي سبب الحزن والهم ليعقوب، كما كان في مرة أخرى السبب في إعادة ألفرحة له.

❖❖❖

ب - القميص الذي قُدّ من دبر:

((واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوء إلا أن يسجن أو عذاب أليم * قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان

[1] – الطبري:١٢ – ١٦٤.

قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين * وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين *فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم)). [يوسف: ٢٥ - ٢٨]

يعتبر هذا القميص هو الدليل الجرمي الوحيد على جريمة المراودة التي قامت بها امرأة العزيز، وعلى صدق قول يوسف ان الذي قام بالمراودة هي وليس هو.

إذ أن القميص يحمل دلالته، وهذه الدلالة هو ما فيه من آثار التمزق من الخلف، وهذا يعني أن الذي مزق القميص كان يقف خلف مرتديه.

كان القميص في الحادثة الأولى غير ممزق، فكانت براءة الذئب من أكل يوسف. وفي الثانية قميص ممزق من الخلف، فكانت براءة يوسف من المراودة. وهكذا يكون حالة القميص علامة دالة على البراءة.

يرسم لنا ابن كثير في تفسيره أول تحقيق يقوم على أسس علمية قام به شخص ما للوصول إلى الحقيقة التي حاولت المذنبة تغييبها عن زوجها، وصاحبه الشاهد (وجه العدالة):

((وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل أي من قدامه فصدقت أي في قولها إنه راودها على نفسها لأنه يكون لما دعاها وأبت عليه دفعته في صدره فقدت قميصه فيصح ما قالت وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين وذلك

يكون كما وقع لما هرب منها وتطلبته أمسكت بقميصه من ورائه لترده إليها فقدت قميصه من ورائه)). ([1])

❖❖❖

ج - القميص الذي أعاد البصر ليعقوب:

من المعروف أن الرائحة الخاصة بالشخص تبقى في ملابسه، وقميص يوسف على الرغم من تغيره فهو يحمل رائحة جسده طالما كان يلبسه، ولهذا استفاد النص من هذه الثيمة المعرفية في إعادة البصر للأب حسب ما كان يتصوره التفكير الجمعي.([2])

((إذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين)). [يوسف: ٩٣]

والجدير بالذكر أن القميص هو ليوسف رغم تبدله، أي أن هناك ثلاثة قمصان، إلا أنها تعود لشخص واحد. وهذه القمصان حملت علامات مادية: الدم، التمزق، الرائحة، ورمزت إلى ثلاث حوادث، هي:كذب اتهام الأخوة للذئب. وليست المراودة من يوسف. وردّ البصر للأب. ([3])

---

[1] – تفسير ابن كثير – ج٢ ص ٤٧٦ – المكتبة الألفية.

[2] – قال صاحب الكشكول: ((من كلام بعض أصحاب القلوب: إنما بعث يوسف على نبينا وعليه السلام قميصه من مصر إلى أبيه، لأنه كان سبب ابتداء حزنه لما جاءوا به جاءوا به ملطخاً بالدم، فأحب يوسف أن يكون فرحه من حيث كان حزنه)).انظر: الكشكول – بهاء الدين العاملي. قرص الشعر.

[3] – لا ننسى القميص الذي أسس دولة إسلامية فيما بعد، دولة بني أمية، قميص عثمان.

❖❖❖

٥ – الحيلة والمكيدة:

يذكر النص القرآني أربع حيل قامت بها الشخصيات للإيقاع بالأخر، ويمكن إجمالها بـ:

آ - الأخوة يحتالون على أبيهم ليسمح لهم بمرافقة أخيهم يوسف ليكيدوا به.

((قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ❖ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون)).

ب - تحتال زوجة العزيز على يوسف بغلق الأبواب لتكيد به جنسيا:

((وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون)).

ج - حيلة زوجة العزيز لإحضار النساء إلى بيتها لتريهن يوسف، وذلك بإقامة المأدبة لهن:

((وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين❖ فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ❖ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين)).

د - بحيلة أخرى يأمر يوسف جماعته بدس بضاعة الأخوة التي جاؤا بها في حمولتهم ليغريهم بالعودة مرة أخرى:

((وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون)).

هـ - وبحيلة السرقة يحتفظ يوسف بأخيه عنده:

((فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم)).

هكذا نرى أن النص مليء بالحيل والمكائد المسببة للفعل، الكل يكيد ، والكل يحتال.

❖❖❖

تجليات السرد

السرد في أصل اللغة العربية هو: (تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعا. سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه. وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له. وفي صفة كلامه، صلى الله عليه وسلم: لم يكن يسرد الحديث سردا أي يتابعه ويستعجل فيه). ([1])

وهو: (جودة سياق الحديث، يقال سردت الحديث من باب قتل أتيت به على الولاء. ومنه "فلان يسرد الحديث سردا" إذا كان جيد السياق له).([2])

ويقول د. عبد الملك مرتاض: إن السرد في الأدب الحديث هو ((التتابع الماضي على سيرة واحدة وسرد الحديث والقراءة من هذا المنطلق الاشتقاقي، ثم أصبح السرد يطلق في الأعمال القصصية على كل ما خالف الحوار، ثم لم يلبث أن تطور مفهوم السرد على أيامنا هذه في الغرب إلى معنى اصطلاحي أهم وأشمل، بحيث أصبح يطلق على النص الحكائي أو الروائي أو القصصي برمته. فكأنه الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص أو حتى

[1] – لسان العرب – ابن منظور: ج ٣ ص ٢١١ – برنامج المعجم – الإصدار الثالث.

[2] – مجمع البحرين – الشيخ الطريحي: ج ٢ ص ٣٦٠. برنامج المعجم – الإصدار الثالث .

المبدع الشعبي (الحاكي) ليقدم بها الحديث إلى المتلقي. فكان السرد إذن هو نسيج الكلام ولكن في صورة حكي. وبهذا المفهوم يعود السرد إلى معناه القديم حيث تميل معظم المعاجم العربية إلى تقديمه بمعنى النسج أيضاً)).([1])

يعتمد بناء السرد، في نصنا المدروس، على تقنية السرد المتتابع الذي يعتمد على انسيابية الزمن كالنهر جارياً لا يوقفه شيء. وقد اعتمد الزمن الماضي، وصيغته ألفعلية، في أكثر مواضع النص.

إضافة إلى كل هذا، فقد كان من مواصفات هذا النوع من السرد هو التوقف، والانتقال بالمكان مع استمرارية انسياب الزمان.

كذلك، فأن من صفات السرد المتتابع في نصنا المدروس - كالكثير من النصوص الأدبية والحكائية والأسطورية التي سبقته وجايلته والتي جاءت من بعده - هو اشتماله على ما يسمى بالفجوة، أو الإضمار، والاستباق.

[1] – ألف ليلة وليلة –د. عبد الملك مرتاض – دار الشؤون الثقافية العامة – ص١٠٣.

١ - الإضمار:

هو (الجزء المسقط من الحكاية أي المقطع المسقط في النص من زمن الحكاية) [١]. والأمثلة كثيرة على ذلك.

ومن المعروف إن الإضمار الذي يأتي في السرد مرده إلى ان هناك حوادث غير معني بذكرها النص. أما لأسباب آنية، أو لأسباب موضوعية، فيقوم النص بعدم ذكرها.

ويأتي الإضمار داخل السرد كميزة فنية لها غايتها، وهي الاقتصاد بالسرد، ومن ثم يدفع بالقارئ إلى المشاركة في إنتاج نصه من خلال ملء ألفجوات.

وقد استخدم الإضمار كأداة فنية من داخل السرد في الكتابات السردية، وكذلك الإخبارية القديمة، منذ أن كتبت ملحمة جلجامش إلى يومنا هذا، إلا أنها لم تعرف كتقنية فنية في السرد، وان توضع لها مقوماتها إلّا في أواسط القرن العشرين.

وقد انتبه الكتاب العرب القدامى إلى هذه التقنية وجعلوها وجه من وجوه الإيجاز، وميزة عليا للبلاغة العربية.

يقول عبد القاهر الجرجاني: (يكون ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن ألفائدة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا ما لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن).[٢]

---

[١] – مدخل إلى نظرية القصة– ص ٨٩.

[٢] – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق وشرح:محمد عبد المنعم خفجي، . مطبعة ألفجالة الجديدة. القاهرة . ط١. ١٩٦٩. ص ١٧٠.

ومن الأمثلة على ذلك:

آ- ألفترة الزمنية التي فصلت بين نصيحة الأب يعقوب لابنه يوسف، وبين المكيدة التي حاكها له إخوته.

إذ لم يذكر لنا النص، هل أن الأخوة قد طلبوا من أبيهم أن يأخذوا معهم يوسف بعد أن رأى يوسف حلمه، أم أن ذلك قد تم بعد فترة زمنية؟ وهل هذه ألفترة طويلة كانت أم قصيرة؟ وما هي الأحداث التي وقعت خلالها؟ أسئلة كثيرة لم يجب عنها النص، لأنه غير معني بها.

ب – ألفترة الزمنية التي فصلت بين العثور على يوسف في الجب، و بين بيعه بثمن بخس.

في هذه ألفترة يتم فيها انتقال على المستوى الزمان، وعلى مستوى المكان، أي هناك قطع زمني، وهو الزمن الذي قطعته القافلة من مكان البئر إلى مصر، ومن ثم بيعه. فنحن لا نعرف طول تلك ألفترة. وكذلك كان الانتقال في المكان بين مكان البئر ومصر.

ج –ألفترة الزمنية التي فصلت بين شراء يوسف من قبل العزيز، وبين مراودة امرأة العزيز له. ((ولما بلغ أشده.... وراودته)).

كم من الوقت مر حتى بلغ أشده؟ وكم من الوقت حتى راودته امرأة العزيز؟

د - ألفترة الزمنية التي فصلت بين المراودة وبين إعداد المجلس للنسوة.

هـ - ألفترة الزمنية التي فصلت بين خروج ألفتيان من السجن وتذكر احدهما (وادَّكر بعد امة) يوسف في السجن بعد رؤيا الملك.

إذ تعني (بعد امة)، بعد فترة زمنية غير معروفة، ويذكر النص هذه ألفترة بـ (بضع سنين).

و - ألفترة الزمنية التي قضاها يوسف كمسؤول عن خزائن الملك (أكثر من سبع سنوات خيرات) حتى مجيء إخوته للميرة.

ز - ألفترة الزمنية التي فصلت بين تسليم يوسف قميصه لإخوته، وبين ان (ولما فصلت العير).

وهناك الكثير من الإضمارات التي تركنا تسجيلها لعدم الإطالة.

❖❖❖

٢ – الاستباق:

يعرفه (جينات) بأنه: (عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقاً). ([1])

نجد أن النص وهو يتعامل مع الزمن، يستخدم عملية الاستباق أكثر من مرة في نصنا المدروس، منها:

[1] – سمير المرزوقي– ص٧٦.

آ – نصيحة الأب يعقوب لابنه يوسف ان لا يقصص رؤياه خوفا من أن يكيد له إخوته. وهو الكيد الذي بني عليه القسم الأول من القصة.

ب – تأمر الأخوة لقتل يوسف. أي الاتفاق الذي سبق عملية الرمي في البئر. أي أنهم اتفقوا مسبقاً على قتل (أو رمي) يوسف في البئر.

ج– خوف الأب من أكل الذئب ليوسف ((قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون)). أي أنه عرف مسبقا إن هناك ما يدبر ضد يوسف، قد استبق الحدث قبل وقوعه.

د– رؤيا ألفتيان، وما آل تعبير يوسف لها من أمور قد حدثت فعلاً.

هـ - رؤيا الملك،وما آل تعبير يوسف لها من أمور قد حدثت فعلاً.

و - ما قاله الأخوة لأخيهم يوسف، عندما طلب منهم أن يأتوا بأخيهم الصغير، قالوا له: ((سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون)).

وهكذا نرى النص المدروس قد استفاد كثيرا من هذه التقنية السردية التي لم تكن قد قننت سابقا، وإنما وضعت لها مقوماتها في منتصف القرن الماضي.

وهذه التقنية ذات فائدة كبيرة لعملية السرد، وتقديم أحداثه، إذ يمكن من خلالها أن يكسر الراوي (أو منشئ النص) رتابة التتابع الزمني على وتيرة واحدة، مما يصيب القارئ (المستقبل) الملل والكسل في متابعة القراءة. إضافة لكون هذه التقنية السردية حلية جمالية وفنية للنص.

❖❖❖

٣ – الاسترجاع:

الاسترجاع، أو ما يسمى بـ (اللواحق). ([1]) وهو –كما يقول – (جينات) (عملية سردية تمثل بالعكس في إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد)([2]).

وتقسِّم الدراسات الحديثة زمن الاسترجاع إلى ثلاثة أقسام هي:([3])

أ – استرجاع خارجي: يعود إلى ما قبل بداية النص.

ب – استرجاع داخلي: يعود إلى ماض لاحق لبداية حدث ما قد تأخر تقديمه في النص.

ت – استرجاع مزجي: وهو ما يجمع بين النوعين.

الاسترجاع، أو ما يسمى (بالارتداد)، مصطلح يراد به عودة السارد إلى سرد بعض الأحداث الماضية بعد أن يوقف السرد عند نقطة معينة. أي أن زمن السرد هنا يتشظى إلى مجموعة من الشظايا الزمنية تفترق في البداية لتجتمع أخيراً.([4])

ولو عدنا إلى نصنا المدروس لوجدناه يستخدم مرة واحدة النوع الأول من الاسترجاع. إذ يعود إلى حدث قد وقع قبل بداية الحكي

---

[1] – المصدر السابق– ص ٧٦ .

[2] – المصدر السابق – ص ٧٦.

[3] – المصدر السابق – ص ٧٦.

[4] – انظر كتابنا: ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية.

للنص. وهذا الحدث على الرغم من ان النص لم يوضحه بصورة دقيقة إلّا أنه يذكر ما يدل على وقوعه.

((قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون)).

من ضمن الإضافات التي قام بها المفسرون تحت تأثير التوراة، أو ما كان متداولا بين العامة، هو أن يوسف قد تربى في كنف عمته، أو خالته، ولما أراد والده استرجاعه، قامت هذه السيدة بإخفاء منطقتها – حزامها - تحت ثياب يوسف لتتهمه أمام والده إنه قد سرقها منها. وكانت عقوبة السارق في عرف ذلك المجتمع أن يبقى السارق في كنف المسروق منه ليخدمه. وهكذا اتهم يوسف من قبل إخوته بالسرقة. وهو العرف نفسه الذي ابقى سارق!! مكيال الحبوب (أخ يوسف) عند يوسف.

❖❖❖

مورفولوجيا الزمن

للزمن دور كبير في عملية السرد، إذ يمنح النص المدروس طاقة كبيرة لجعل قارئه يشارك في إنتاجه مجدداً.

وقد وصفت الدراسات النقدية الحديثة دور الزمن في عملية السرد، وقننت فاعليته في عملية بناء السرد من خلال عناصر واضحة للقارئ، والدارس على السواء.

إلّا أننا نجد النص خال من بعض عناصر الزمن، من مثل: الوقفة التي ترسم صورة لما يقوم بها الوصف.

١ – صيغ الزمن:

للزمن باللغة العربية صيغ ثلاث هي: الماضي، والمستقبل، وما بينهما الزمن الحاضر.

وقد استعمل النص الذي بين أيدينا صيغة واحدة هي صيغة الماضي. إذ أن أحداث النص تنقل عن الماضي وبصيغة الماضي، عن حدث قد تم وقوعه.

على الرغم من الصيغة التي استخدمها النص (صيغة الماضي)، إلّا أنه كباقي السرديات استخدم بعض العناصر الزمنية التي اخترقت هذه الصيغة لكسر حدة بقاء النص ينقل عن الماضي فقط. وهذه العناصر لا يمكن عدها كصيغ زمنية، وإنما هي

مجموعة من الأحداث الأخرى التي تقطع تسلسل الزمن الماضي لتعود به إلى زمن ماض آخر. أما أن يكون قد وقع قبل أحداث الحكاية نفسها، أو قبل اللحظة التي تصلها الأحداث المروية. بهذا نرى أن الماضي في النص يأخذ له صيغا متعددة، فهو ماض بعيد سحيق يتخلله ماض قريب.

وقد استعمل النص ألفعل الماضي (قال، قالوا. أوجاءوا. أو جاءت. أو راودته...الخ)، ليؤكد على أن النص قد حدث قبل الآن. أما الأفعال التي تنبئ عن صيغ أخرى للفعل، من مثل: (اقتلوا. أو اطرحوه. أو ألقوه. أو أرسله. أو أعرض. أو اجعلني...الخ). اما: (يحزنني، تأكل...الخ)، فإنها جاءت أما لكونها تنقل حوارا كما قيل وقتذاك، أو من باب تقديم التعليمات عما يجب فعله: ((اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ❖ قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين)). أو أنها جاءت لتكسر حدة ألفعل الماضي المهيمن على السرد.

❖❖❖

٢ - التزامن:

وهو: (مصطلح يطلق على وقوع حدثين أو أكثر في آن واحد، وفي أماكن مختلفة، إن وقوع حدثين أو حدوث أشياء ما في وقت واحد يمكن الإقرار به في الواقع، ولكنه يستحيل الأخبار بهما

في وقت واحد إذ لا يمكن للمخبر أياً كان، الأخبار بهما في آن واحد وبلسان واحد، وإنما يعمد إلى الأخبار بهما بالتسلسل مع اختيار الخبر أو الحدث الواجب ذكره أولاً).([1])

وقد جاء التزامن في زمنية النص في عدة مواضع منه، مثل:

١ – في الوقت الذي عاد فيه الأخوة ليخبروا والدهم، أتت القافلة:((وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون)).

٢ – في الوقت الذي كانت زوجة العزيز عاشقة له، هائمة بحبه، كان يوسف في الوقت نفسه يشاطرها هذا (الهم)، إن كان بوعي منه لعشقها إياه، أو لم يكن: ((ولقد همت به وهم بها)).

٣ – وقوع حدث الرؤيا لحلمي السجينين في زمن واحد: ((قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الأخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله)).

٤ – في الوقت الذي كان يوسف يطلب من إخوته أن يأتوا بأخيهم، كان فتيانه يضعون بضاعة الأخوة في رحالهم: ((ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين ❖ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ❖ قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون ❖ وقال

[1] – ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية: ص٢٩.

لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون)).

ورب سائل يسأل: أن النص القرآني يذكر: إنه قال لفتيانه ذلك بعد أن طلب من إخوته أن يأتوا بأخيهم، ولم يكن هناك تزامنا. هذا صحيح لو قبلنا معاني ظاهر النص، ولو تجاوزنا بلاغة النص القرآني، وكيف قدم القصة، وكيف استخدم النص لفظة (قال لفتيانه). وكان يريد أن يقول: ((إنه اتفق مع فتيانه أن يضعوا البضاعة في الرحل، وقال لهم...)). لأنه ليس من المعقول أن ينهي طلبه منهم ليخرجوا، ثم يوصي فتيانه بذلك، بل أن وضع البضاعة قد تم أثناء كلامه مع إخوته، دون أن يعرفوا ذلك.

❖❖❖

٣ - المجمل:

أو ما يسمى بالملخص، حيث تكون فيه مساحة النص، أو زمنه، أصغر من سرعة الحدث، أو زمن (المتن)، (زن < زح) أو (مساحة النص < سرعة الحدث) وهو (سرد أيام عديدة أو شهور أو سنوات من حياة شخصية بدون تفصيل للأفعال أو الأقوال وذلك في بضعة أسطر أو فقرات قليلة) كما يقول سمير المرزوقي، حيث يتم المرور السريع على فترات زمنية لا يرى المؤلف إنها جديرة باهتمام القارئ كما تذكر سيزا قاسم.([1])

[1] – المصدر السابق: ص٧٠.

وهناك الكثير من الأمثلة على المجمل، منها:

١ – بين تآمر الأخوة وبين طلبهم من أبيهم أن يسمح ليوسف بالذهاب معهم: ((قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين ❖ قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون)).

٢ – بين موافقة والدهم على ذهاب يوسف معهم وبين اصطحابه في اليوم الثاني. ((أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون)).

٣ – بين رميه في الجب وعودتهم لإخبار والدهم: ((وجاءوا أباهم عشاء يبكون)).

٤ - بين إخراج يوسف من الجب والوصول إلى سوق النخاسة في مصر وشراء العزيز ليوسف، ومن ثم المجيء به إلى بيته: ((وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ❖ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ❖وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا)).

٥ - بين شراء يوسف وبلوغ أشده فترة زمنية طويلة غير معلومة: ((ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين)).

٦ – بين بلوغ أشده والمراودة: ((ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ❖وراودته التي هو في بيتها عن نفسه

وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون)).

٧ – بين المراودة وشيوع خبرها بين النسوة: ((وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين)).

٨ – بين دعاء ربه أن يزج في السجن هروبا من كيد زوجة العزيز ودخوله السجن: ((قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ❖ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم)).

٩ – بين وصية يوسف لأحد السجناء أن يذكره عند سيده، وتذكّر السجين للوصية بعد حين (بضع سنين): ((وقال للذي ظن أنه ناج منهما إذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين)).

١. – بين طلب الساقي أن يرسلوه إلى يوسف ووصوله السجن لسؤال يوسف: ((وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ❖ يوسف أيها الصديق أفتنا)).

١١ – بين أن كان يعقوب يوصي أبنائه على أن يدخلوا من أبواب متعددة وبين تنفيذهم لتلك الوصية: ((وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنك من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون

❖ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شئ إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون)).

١٢ – بين دخولهم مصر وبين تجهيزهم بالمؤونة: ((ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ❖ فلما جهزهم بجهازهم...)).

١٣ – بين وجودهم مع يوسف ووصولهم إلى أبيهم:((قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ❖ إذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ❖ ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ❖ قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم)).

١٤ – بين وجودهم مع أبيهم ودخولهم على يوسف:((قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ❖ قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم ❖ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ❖ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم)).

❖❖❖

٤ - المشهد:

النص الذي بين أيدينا حاله حال السرديات الأخرى – القديمة منها أو الحديثة - يقوم بناؤه السردي على تقسيم داخلي بيّن، خاصة بما يتعلق بالزمن. أي تتداخل فيه مجموعة من (المشاهد) ذات المساحة النصية الطويلة المعادلة للزمن الداخلي والتي هي بالعكس من (التلخيصات).

والمشهد، هو وحدة سردية رئيسية مهمة في السرد الحكائي. يقول (لوبوك): (يعطي المشهد للقارئ إحساساً بالمشاركة الحارة في ألفعل إذ أنه يسمع عنه معاصراً وقوعه كما يقع بالضبط وفي نفس لحظة وقوعه، لا يفصل بين ألفعل وسماعه، سوى البرهة التي يستغرقها صوت الراوي في قوله لذلك يستخدم المشهد للحظات المشحونة.. ويقدم الراوي دائماً ذروة سياق من الأفعال وتأزمها في مشهد).([1])

إن الأحداث والوقائع الهامة، يصاحبها (تضخم نصي فيقترب حجم النص القصصي من زمن الحكاية ويطابقه تماماً في بعض الأحيان فيقع استعمال الحوار وإيراد جزئيات الحركة والخطاب).([2])

[1] – المرزوقي– ص٨٩. انظر كتابنا ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية.

[2] – سيزا قاسم – ص٦٥. انظر كتابنا ألف ليلة وليلة وسحرالسردية العربية.

وإذ ينطبق هذا القول على السرديات الحديثة، فإنه ينطبق – أيضاً - على السرديات الشفاهية، والشفاهية المدونة، مثل النص الذي نحن بصدد دراسته، إذ يقترب حجم الحكاية (المبنى الحكائي) من حجم (القصة) (المتن الحكائي) في المشاهد خاصة.

وكما الأمثلة التي أوردناها عند دراستنا للحوار، فأن النص في مجمله قد بني على الحوار. على سبيل المثال، ما ذكّر يوسف والده عندما التقى به في مصر برؤياه:

((وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم)).

و:((قال يوسف لأبيه: يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين.

قال الأب محذرا: يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا)).

أو: ((قول زوجة العزيز: ما جزاء من أراد بأهلك سوء؟

قال الزوج: يسجن أو يعذب عذابا أليما.

إلا أن يوسف رد مدافعا عن نفسه: هي راودتني عن نفسي.))...الخ.

❖❖❖

٥ - إيقاع الزمن:

يسمي (جيرار جينات) العلاقة بين الزمن الروائي (داخل المبنى الحكائي) والمقاطع النصية التي تغطي هذه ألفترة بـ (سرعة النص) ([1]) أي أن السرعة هذه هي النسبة بين:

زمن الحدث (ساعة، يوم، سنة)

---------- =

طول النص (أسطر، مقاطع)

ومن الجدير بالذكر أن أهم معوق أمام دارس الزمن هو أن السارد أو الراوي لا يذكر الوقت الطبيعي لبداية ونهاية وقوع الأحداث ليتمكن من تطبيق المعادلة أعلاه تطبيقاً صحيحاً بحيث تأتي النتائج صحيحة، لهذا يعمد الدارسون إلى تقدير الزمن تقديراً نسبياً.

إن الزمن الذي يستغرق لقراءة أحداث النص هو (٩) دقيقة، فيما الزمن الكلي للأحداث كما حدثت في الواقع هي أكثر من (٢٢) سنة كما تذكر بعض المصادر.

[1] – ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية:ص ٦٦.

إن أحداث النص تمتد على مساحة طباعية مقدارها (٩٤) سطراً([1])، وفي الوقت نفسه، فإن الزمن الداخلي للأحداث يساوي (٢٢) سنة تقريباً بكل ما اعتور زمن النص من توقفات، إذا اعتمدنا على ما جاء في النص التوراتي أن عمر يوسف عند بدء الأحداث كان (١٧)عاما، فيما اجتمع يوسف بوالديه – حسب النص الأسطوري - بعمر (٣٩)عاما، فيكون عند ذلك إيقاع الزمن:

زمن الحدث (ساعة، يوم، سنة)

---------- =

طول النص (أسطر، مقاطع)

٢٢ سنةْ × ٣٦٥ يوما

---------- =

٩٤ سطرا

[1] – حذفت من النص الأسطر الطباعية التي تحوي آيات قرآنية لا علاقة لها بأحداث النص من مثل: ((الر تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين))، وغيرها.

٨٠٣٠ يوما

=---------- ٤ر٨٥ يوما لكل سطر

٩٤

هذا يعني أن إيقاع الزمن كان سريعا جدا، وهذا متأت من الغاية من ورود النص في القرآن، أي أن النص لم يكن تاريخا يروي الأحداث كما حدثت في الواقع، وإنما جاء للعبرة من وقوعها، ولتعطي دروسا في الطبائع الإنسانية، إن كان ذلك عند نبي كصبر يعقوب الأب، أو عند ولي صالح. والهم بالمراودة عند يوسف. أو الحسد كما عند الأخوة. أو العشق والمراودة والهم بالوقوع بالفاحشة كما عند زوجة العزيز.

إن مرد هذه السرعة ألفائقة للنص هو كثرة وطول الإضمارات (أي ألفترات الزمنية المحذوفة من النص) من مثل:

آ - ألفترة الزمنية التي فصلت بين إيجاد يوسف في الجب، و بين بيعه بثمن بخس.

ب - ألفترة الزمنية التي فصلت بين شراء يوسف من قبل العزيز، وبين مراودة امرأة العزيز.

ج - ألفترة الزمنية التي فصلت بين خروج ألفتيان من السجن، و تذكّر احدهما يوسف بعد رؤيا الملك.

د - ألفترة الزمنية التي قضاها يوسف كمسؤول عن خزائن الملك (أكثر من سبع سنوات) حتى مجيء إخوته للميرة (جاؤا في السنوات العجاف).

وهكذا نستخلص مما سبق، أن إيقاع الزمن في هذا النص كان سريعا جدا ومتذبذباً. وهذا التذبذب يعود إلى كون النص - كحال الأدب الشفاهي - يطوي الزمن في بعض الأحيان، ويمدده في أحيان كثيرة حسب أهمية ما يريد ذكره من الأحداث أولاً. وثانياً، إن زمن الحوادث التي مرت بيوسف منذ أن كان بعمر سبعة عشر عاما حتى اجتماعه مع أبيه يمتد على فترة زمنية طويلة لا يتحملها السرد مما يجعل السارد يعبر فترات زمنية (شهورا، وسنيناً) بصورة سريعة.

❖❖❖

الحوار

تعتمد كل نصوص قصة يوسف في شتى الأديان على الحوار، إذ هو العمود ألفقري الذي تتبني عليه السردية.

وكما قلنا سابقا، فإن الأحداث والوقائع الهامة، يصاحبها (تضخم نصي فيقترب حجم النص القصصي من زمن الحكاية ويطابقه تماماً في بعض الأحيان فيقع استعمال الحوار وإيراد جزئيات الحركة والخطاب). ([1])

ومن البديهي أن الحوار هو اقرب صيغة أدبية إلى رؤية الشخصية، فيما يكون السرد أبعدها.

ولما كان الحوار كذلك، فأنه يقدم في النص دون وساطة ولا مقدمات.

والحوار بهذه الحالة يكون معطلا لسريان السرد. إذ عند هذه الحالة يمثل مشهدا دراميا كثيرا ما يكون النص بحاجة إليه.

وللحوار دور كبير في تطوير الأحداث، وفي الكشف عن دواخل الشخصية، ونوازعها النفسية، وطبائعها الاجتماعية. إنه بصورة عامة كشف لكل مستويات الشخصية.

في الحوار لا نسمع سوى صوت الشخصية، ومساحة الصوت زمنيا في النص هي نفسها في الواقع. إذا تجاوزنا عادات الشخصية

[1] – المرزوقي– ص٨٩.

بالنطق. ومن هذا المنطلق يكون الحوار على النقيض من السرد، فأينما كان الحوار توقف السرد عن الجريان.

يبدأ نصنا بالحوار الذي يدور بين يوسف وأبيه، وينتهي بالحوار أيضاً بين يوسف وأبيه، إذا تجاوزنا ميتافيزيقيات النص.

ودائما يبدأ الحوار بلفظة قال وتصريفاتها.

❖ بعد أن استقبل يوسف والديه في مصر، ذكّر يوسف والده برؤياه، واخبره إن ما حصل له هو تأويل لتلك الرؤيا:

((وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم)).

يتشكل النص من الحوار في اغلب مواضعه – كما قلنا - فهناك الحوار الذي يدور بين الأخوة وهم يناقشون اهتمام والدهم بيوسف. والحوار الذي دار بينهم وبين والدهم. والحوار بين العزيز وزوجته والشاهد. والحوار الذي يدور بين يوسف والسجينين. وبين الملك وزوجة العزيز والنساء. وبين الملك والمنجمين. وبين يوسف وإخوته...الخ.

❖ ومن كل هذه الحوارات نتعرف على دواخل الشخصية. فالحوار بين يوسف وأبيه يكشف لنا قراءة الأب لمستقبل يوسف من خلال الرؤيا التي رآها:

((قال يوسف لأبيه: يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا

والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين .

قال الأب محذرا: يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا)).

❖ أما الحوار بين الأخوة، فأنه يرسم لنا مشهدا نتعرف فيه على مدى حسد الأخوة ليوسف، وكذلك التآمر عليه:

((قال إخوته من أبيه: ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة.

واتفقوا فيما بينهم:اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين.

قال قائل منهم: لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين)).

❖ والحوار الذي دار بين الأب وأبنائه حول السماح ليوسف أن يذهب معهم إلى الرعي، فأنه يكشف لنا صدق تخوف الأبناء من شدة حب الأب ليوسف واهتمامه به من دون أبنائه الآخرين:

((توجس الأب خيفة من طلبهم، فرد عليهم قائلا:

: إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون.

قالوا: لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون)).

❖ والحوار الذي دار بين النسوة وزوجة العزيز يفضح حب زوجة العزيز ليوسف، وان لم تصل إلى مرادها من هذا الحب فأنها ستقنع زوجها لزجه في السجن:

((فلما سمعت زوجة العزيز كلامهن وكيف أنهن رمينها بالضلال، أرسلت إليهن، وأعدت لهن مجلسا، وآتت كل واحدة منهن سكينا وفاكهة، وقالت ليوسف:(اخرج عليهن).

خرج يوسف أمامهن شابا جميلا مكتمل الرجولة، (فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن)، وقلن: (حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم).

قالت معاتبة: (فذلكن الذي لمتنني فيه). ثم تابعت قولها إليهن:((لقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكون من الصاغرين).)).

❖ ودار أطول حوار بين يوسف وامرأة العزيز وزوجها والشاهد في اكبر مشهد درامي يرسم لنا دواخل كل شخصية شاركت فيه:

ومرت الأيام بيوسف وهو في بيت العزيز، ولما بلغ أشده أعجبت زوجة العزيز بجماله وهيأته الشخصية، فهامت به عشقا (همت به) أما هو فقد قاسمها هذا الهم (وهم بها)، (وراودته التي هو في بيتها) عن نفسه، وغلّقت الأبواب بعد أن هيأت له مضجعا، وقالت: هيت لك.

فرفض بعد أن تنبه إلى ما تريده زوجة العزيز من فاحشة، وبعد ان تذكّر اهتمام سيده له، قال لها: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون.

فهرب منها ناحية باب الدار(واستبقا الباب)، فجذبته من

قميصه من الخلف، (وقدت قميصه من دبر) و بينما هما كذلك فاجأهما العزيز عند الباب.

أسرعت الزوجة بالقول مدارية فعلتها الشنعاء: ما جزاء من أراد بأهلك سوء؟

قال الزوج: يسجن أو يعذب عذابا أليما.

إلا أن يوسف رد مدافعا عن نفسه: هي راودتني عن نفسي.

وبينما هما في جدالهم، (شهد شاهد من أهلها) وقال: ((إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين)).

تفحصوا القميص، فلما رأى العزيز قميصه قد من دبر، قال:(إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم).

ثم قال العزيز ليوسف ناصحا: ((يوسف أعرض عن هذا)).

والتفت إلى زوجته ناصحا، قال: ((استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين)).

وهناك الكثير من الحوارات التي حملت بين كلماتها دلالات ومعان أراد النص أن يوصلها إلى مستمعيه (قبل التدوين) من خلاله.

❖❖❖

تقنيات بناء الشخصية

من اعقد العوالم في حياتنا المعاشة – الآن وفي كل الأزمنة - هو عالم الشخصية الإنسانية. فهو عالم معقد، متنوع الاتجاهات على الصعيد النفسي والاجتماعي والثقافي، حتى تعددت الصفات التي تصف كل اتجاه تتجه إليه هذه الشخصية أو تلك، فنجد الشخصية الإنسانية تحب وتكره، وللحب والكره درجات لها أسماؤها المختلفة، وكذلك فأنها تقوم بالحسد، ...الخ.

ولما كان هذا هو ديدن الشخصية الإنسانية في معترك الحياة، نرى أن فنون الأدب السردي التي تتحدث عن شخصية ما قد نقلت تلك الصفات من واقع الحياة إلى هذا ألفن، فتنوعت عند ذلك صور الشخصية في العالم السردي كتنوعها في عالم الواقع الحقيقي.

إلّا أننا نجد بعض فنون السرد (ألفن القصصي خاصة) قد عقّدت عالم الشخصية أكثر مما هي معقدة في الواقع.

ولا نجانب الصواب إذا قلنا مع القائلين: بأن السرديات – فن القص خاصة – هي فن الشخصية، ذلك لان هذا ألفن يقوم بإبداع شخصية ما. فالملحمة أنتجت لنا شخصية جلجامش. وأنتجت ما وصلتنا من أحداث عن عنترة شخصية عنترة. وكذلك القول عن

الأميرة ذات الهمة. وأساطير كثيرة أنتجت شخصيات في التاريخ الإنساني مثل: شمشون، وهرقل، ...الخ.

وعندما نأتي إلى الكتب السماوية وما تحويه من قصص نجدها قد أنتجت شخصيات من مثل: يوسف، وأيوب، وسليمان، على سبيل المثال.

ويضم نصنا المدروس مجموعة من الشخصيات الرئيسية وأخرى ثانوية، إضافة إلى شخصية حيوانية وهمية هي الذئب، ويمكن توزيعها كالآتي:

آ - الشخصيات الرئيسية، وهي:

يوسف، الأب، الأخوة، العزيز، زوجة العزيز.(شكل – ١ -)

ب - الشخصيات الثانوية، وهي:

رجال القافلة، السجينان،الشاهد، النساء، الملك. (شكل – ٢ -)

ج – الشخصية الحيوانية:

الذئب (وهي شخصية وهمية).

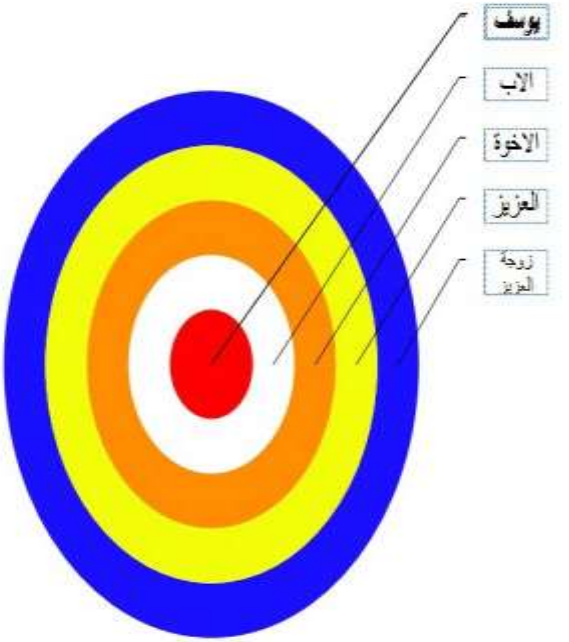

شكل ـ ١ ـ

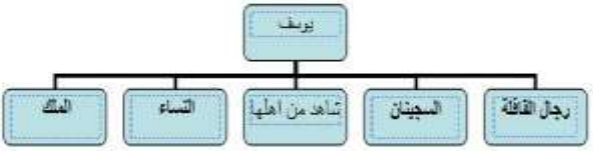

شكل ـ ٢ ـ

يقول الجاحظ في كتاب الحيوان عن الذئب: ((ولذلك قال أبو علقمة: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف رجحون، فقيل له: فإنّ يوسف لم يأكله الذّئب، وإنما كذبوا على الذِّئب؛ ولذلك قال اللّه عزَّ وجلّ: "وَجاؤُوا عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كذبٍ"، قال: فهذا اسمٌ للذئب الذي لم يأكل يوسف)). ([1])

وللشخصية في هذا النص، كما في نصوص كثيرة، سماوية ام وضعية، قديمة أم حديثة، فنية ام غير فنية، دور كبير في اطّراد السرد، فهي المهيئة للأحداث، والمساعدة للشخصية الرئيسية على أن تنمو في الحياة لتبقى حية، وهي تختلف عن الشخصية المانحة في القصص الشعبي ([2])، ذلك لأنها تساعد البطل على استمراريته في الحياة، وفاعليته فيها ،أي أنها شخصية مساعدة.

فالوارد – ساقي القافلة - عندما يُخرج يوسف من البئر فأنه قد ساعده على أن يستمر في الحياة، أي أنه أنقذه من موت محتم.

والسجين قد ساعده في نشر خبرته بتفسير الرؤى أمام الملك، ومن ثم استمراره في الحياة.

---

[1] – الحيوان – الجاحظ – قرص الشعر.

[2] – انظر وظائف بروب. راجع كتابنا: القصص الشعبي العراقي من خلال المنهج الموفولوجي – الموسوعة الصغيرة – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ١٩٨٦.

إن كل الشخصيات الأساسية أو الثانوية لها دورها في بناء سردية النص، أو في بناء شخصية البطل على المستويين الواقعي وألفني.

إن الشخصية الرئيسية لهذا النص (القرآني والتوراتي والأسطوري) هو يوسف، أما الشخصيات الأخرى (رئيسية وثانوية) فأنها تدور حولها لتهيء الأحداث لها من خلال تسبيبها أو المشاركة فيها.

ويمكن ان نصنف الشخصيات حسب المكان في مجموعتين توصل بينهما مجموعة ثالثة تدخل لمرة واحدة ثم تخرج من النص دون العودة له مرة أخرى.

المجموعة الأولى:

الأب، الأخوة.

المجموعة الثانية:

العزيز، زوجة العزيز، السجينان، الملك، الشاهد، النساء.

أما رجال القافلة (السيارة) فهم الأداة التي نقلت يوسف إلى المكان الثاني – إنها شخصية رابطة -، بعيدا عن أهله. انها أداة للحدث والقصة غير معنية بهم.

❖❖❖

الشخصية الرئيسية:

وهو يوسف. إذ يبدأ النص مباشرة به وبرؤياه التي رآها في المنام ووصية أبيه يعقوب له، ألّا يقصص رؤياه لإخوته فيكيدون له حسدا.

مثل هذا البدء من نقطة أساسية ومفصلية في حياة الصبي يوسف دون الرجوع إلى ما سبقها من أمور وأحداث ربما مرت بحياته قبل الرؤيا، قد جعل السرد يتخذ له تقنية كثيرا ما استخدمتها فنون القص الشعبي كـ (السالفة، الحكاية بكل أنواعها، الأسطورة) وكذلك فن القص الحديث، وتسمى هذه التقنية بالسرد الدائري.

يخرج يوسف مع إخوته إلى الرعي، فيرمون به إلى الجب بعد أن بيّتوا ذلك، ويعودون إلى أبيهم ليخبروه أن الذئب قد أكله، بعد أن يضعوا على قميصه دما غير دمه (كذبا) ليحتالوا على والده بذلك، إلّا أنه لم يصدقهم أدعائهم ذاك.

تأتي سيارة (قافلة تجارية) فتخرجه من الجب وتأخذه معها إلى مصر لتبيعه هناك إلى عزيز مصر.

يظل يوسف في قصر العزيز الذي يوصي زوجته أن تكرم مثواه، فتقع زوجة العزيز في حبه، وتحتال على يوسف بتغليق أبواب البيت، وتطلب منه أن يطارحها الغرام، إلا أنه يرفض، ويهرع راكضا نحو الباب، فتجره إليها ممسكة به من قميصه،

فيتمزق القميص، في هذه الأثناء يدخل زوجها وصديق له فتخبره – كاذبة - إن يوسف طلب منها أن يطارحها الغرام إلّا أنها رفضت، فيتحقق صديقه من القضية، ويخبر العزيز إن زوجته هي ألفاعلة، وذلك لو كان قميص يوسف قد تمزق من الأمام لكان هو ألفاعل إلّا أن القميص قد تمزق من الخلف، وهذا يعني أنه كان هاربا منها وهي التي لحقت به. وهذا أول تحقيق جنائي يذكره القرآن في التاريخ (التفاسير تذكر أنه طفل رضيع من أهل البيت، أو ابن عم العزيز).

يشيع الخبر بين نساء الطبقة العليا في المجتمع، ولكي تريهن الشخص الذي يلمنها عليه، تدعوهن إلى بيتها، وتقدم لهن فاكهة مع سكاكين لتقشيرها، وتأمره بالخروج إليهن، وعندما يرينه يجرحن أيديهن لشدة اندهاشهن من جماله.

تحتال زوجة العزيز لتدخله السجن، فيما هو يتمنى ذلك ليبتعد عن غوايتها، ورغم معرفة الزوج بكيد زوجته إلّا أنه يسجن يوسف.

في السجن يدخل معه شابان (من خدام الملك)، وفي يوم ما يطلبا منه ان يقوم بتعبير رؤاهم، فيقوم بذلك، وعندما يخرج الشابان، يطلب يوسف من احدهما أن يخبر سيده الملك عنه.

في يوم ما يرى الملك رؤيا لا يستطيع كل معبري الرؤى أن يفسروها، فيتذكر ساقي الملك يوسف، فيخبر الملك أن في

السجن شخصاً يستطيع أن يعبر له رؤياه، ويقوم يوسف بتعبير رؤيا الملك، فيطلب الملك أن يأتوا بيوسف إليه، فيرفض، لأنه سجن بغير ذنب وطلب أن على الملك أن يتحقق في ذلك، فيرسل الملك إلى زوجة العزيز والنسوة، فتعترف بذنبها، ويخرج يوسف من السجن ويصبح وزيرا للملك. ([1])

---

[1] – كيف نقبل ما قاله الشيخ الصدوق في كتابه (كمال الدين وتمام النعمة– الشيخ الصدوق ص ١٤١) برنامج المعجم – الإصدار الثالث

(وأما غيبة يوسف عليه السلام فإنها كانت عشرين سنة لم يدهن فيها ولم يكتحل ولم يتطيب لم يمس النساء حتى جمع الله ليعقوب شمله وجمع بين يوسف وإخوته وأبيه وخالته).

هل ظل يوسف وهو الوزير بدون تدهن واكتحال و طيب؟ مع العلم أن بعض المصادر تذكر أنه تزوج من امرأة العزيز بعد موت زوجها.

هذه بعض الإضافات التي جعلت من النص أن يكون أسطوريا.

وكذلك ما جاء في الكتاب نفسه ص١٤١ من إضافات:

((قدم أعرابي على يوسف ليشتري منه طعاما فباعه، فلما فرغ قال له يوسف: أين منزلك؟ قال له: بموضع كذا وكذا: فقال له: فإذا مررت بوادي كذا وكذا فقف فناد: يا يعقوب ! يا يعقوب ! فإنه سيخرج إليك رجل عظيم جميل جسيم وسيم، فقل له: لقيت رجلا بمصر وهو يقرؤك السلام ويقول لك: إن وديعتك عند الله عز وجل لن تضيع، قال: فمضى الإعرابي حتى انتهى إلى الموضع فقال لغلمانه: احفظوا على الإبل ثم نادي: يا يعقوب ! يا يعقوب ! فخرج إليه رجل أعمى طويل جسيم جميل يتقى الحائط بيده حتى أقبل فقال له الرجل: أنت يعقوب؟ قال: نعم فأبلغه ما قال له يوسف قال: فسقط مغشيا عليه، ثم أفاق فقال: يا أعرابي ألك حاجة إلى الله عز وجل؟ فقال له: نعم إني رجل كثير المال ولي ابنة عم ليس يولد لى منها وأحب أن تدعو الله أن يرزقني ولدا، قال: فتوضأ يعقوب وصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل، فرزق أربعة أبطن أو قال ستة أبطن في كل بطن اثنان)).

وقد جعل الشيخ الصدوق من يوسف ملكا بينما الذي يظهر من القرآن وبعض الأخبار أنه أصبح وزيرا (عزيزا).

تتحقق رؤيا الملك فتجتاح المنطقة مجاعة، فيحتاج أهل يوسف إلى الحبوب، فيرسل يعقوب أبنائه إلى مصر ليشتروا الحبوب من وزيرها (يوسف)، فيطلب منهم يوسف دون أن يعرفوه أن يأتوا بأخيهم من أبيهم في المرة الثانية وإلا فأنه لم يزودهم بالحبوب.

يطلب الأخوة من أبيهم أن يسمح لهم بإصطحاب أخيهم الصغير (أخ يوسف من أمه وأبيه) ليكتال معهم وإلّا سوف لم يزودهم العزيز بشيء. ويأخذ الأب (يعقوب) منهم ميثاق عهد بأنهم سيحافظون عليه.

وبحيلة السرقة، يبقي يوسف على أخيه، ليذهب الأخوة إلى أبيهم دونه.

لا يصدق الأب (يعقوب) بما قاله الأخوة (النص القرآني يلمح بمعرفة يعقوب بحال يوسف) فيطلب منهم ان يعودوا إلى مصر ليأتوا بأخبار يوسف وأخيه، ((يا بني إذهبوا فتحسسوا من يوسف

وكذلك من الإضافات التي ذكرها الكتاب، وذكرها غيره من كتاب سيرة يوسف وما جاء في بعض التفاسير، إن يعقوب قال لأولاده عندما جاؤا بقميص يوسف وعليه دم كذب: (قال لهم: يا بنى ألستم تزعمون أن الذئب قد أكل حبيبي يوسف؟ قالوا: نعم، قال: مإلى لا أشم ريح لحمه؟ ! ومالي أري قميصه صحيحا؟ هبوا أن القميص انكشف من أسفله أرأيتم ما كان في منكبيه وعنقه كيف خلص إليه الذئب من غير أن يخرقه، إن هذا الذئب لمكذوب عليه، وإن ابني لمظلوم " بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون " وتولى عنهم ليلتهم تلك لا يكلمهم وأقبل يرثى يوسف).

وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)).

عندما يصل الأخوة إلى يوسف يعرّفهم بنفسه، ويطلب منهم أن يأخذوا قميصه إلى أبيه، فيفعلوا ذلك ويجتمع شمل العائلة.

من خلال الأحداث التي مرت بشخصية يوسف، نرى أن هناك أكثر من شخصية ساعدت على بنائها، واقعيا وفنيا، من خلال مشاركتها في صنع الأحداث، أو بتسبب حدوثها، بحيث أصبحت هذه الشخصية أما قوية بها أو من خلالها أو ضعيفة، مما جعل بناءها في اضطراد، وفي حالة نمو بصورة ايجابية.

فيوسف نجده في حالة ضعف معنوي في فترة الصبا (رميه في الجب، وبيعه). وضعيفا أمام المرأة في برهة زمنية قصيرة (ولقد همت به وهم بها)، وهو يستجيب لطلباتها (فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن). وثالثا عندما يأس من ان يعيش بعيدا عن الغواية (قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين).

والنص يبيّن لنا مسار هذه الشخصية في مكانين مختلفين.

ففي المكان الأول (كنف العائلة) يبيّن لنا النص أن هذه الشخصية هي صاحبة رؤى(في النص القرآني رؤيا واحدة وفي النص التوراتي رؤيتان)، فيما تصبح في المكان الثاني معبرة

للرؤى(تعبير رؤى السجينين ورؤيا الملك). إذ من خلال رؤيا يوسف ينشأ فعل كيد الأخوة له ورميه في الجب، أي أن الرؤيا(وهي هنا فعل استشراف للمستقبل) تكون مسببا لفعل هام في النص، أما رؤى السجينين فهي على الرغم من إنها استشراف لمستقبلهم، إلّا أنها تكون سببا لان يعرف الملك به بعد تعبيرها. وتبقى رؤيا الملك هي المسببة لأن يتحول يوسف من حال إلى حال، إذ تكون بسببها براءته، ومن ثم يكون هو العزيز في مصر.

هكذا تكون للرؤى - في هذا النص – فاعلية سردية.

إضافة للرؤى، كانت للحيلة فاعليتها في النص وسرديته، إذ نجد يوسف يحتال لجعل أخيه سارقا للمكيال ليبقيه عنده.

إن النص يقدم لنا إنسانا يعتريه الضعف والقوة، ويهم بالوقوع في الغواية، ويستخدم الحيلة.

يقول النيسابوري: إن الإضافات التي أضيفت إلى اسم يوسف كثيرة، منها:

- رؤيا يوسف.
- ذئب يوسف.
- قميص يوسف.
- حِسن يوسف.

- ريح يوسف. ([1])

❖❖❖

شخصيات المجموعة الأولى:

الأب، الأخوة.

الأب:

وهو«يعقوب» اسم عبري معناه «يعقب» أو «يمسك العقب» أو «يحل محل». ويعقوب هو ثالث آباء اليهود، حسب الاعتقاد اليهودي. وهو ابن إسحق وجَدّ اليهود الأعلى وتوأم عيسو الأصغر. أثناء ولادته أمسك بكعب قدمه (بالعبرية: عقب)، ومن هنا كان اسمه (تكوين ٢٥/٢٦). ([2])

يقدم لنا النص هذه الشخصية كشخصية عارفة بكل شيء (كلي العلم)، مستشرفة للمستقبل، ذلك لأنها شخصية قدسية (نبي)، وعلى الرغم من قدسيتها فأن النص لا يبعدها عن بشريتها، فهي بريئة بحيث تتطلي عليها كل حيلة رغم معرفتها بحدوثها مستقبلا، وهي تحزن، وتمرض حالها حال البشر الآخرين.

---

[1] – ثمار القلوب في المضاف والمنصوب– والمنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري– قرص مكتبة الأدب.

[2] – مأخوذ من مقدمة موسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية".

النص لا يذكر لنا تعبير الأب لرؤيا ابنه، إلا أنه يوحي بوقوع أمر جلل ليوسف، فتتخذ هذه الشخصية دور الناصح، فيطلب من يوسف أن لا يقصص رؤياه لإخوته كي لا يكيدوا له، وعلى الرغم من ذلك تقع المكيدة.

تظهر هذه الشخصية أكثر من مرة، وفي ظهورها هذا تساعد في بناء السردية، عندما تساعد في بناء الشخصية الرئيسية للنص (يوسف).

فهي تبدأ بالنصيحة، ثم بالخوف على حياة البطل، ومن ثم الحزن على فقده، وبعدها الحث على البحث عليه وعلى أخيه، دون أن تفقد الأمل في إيجاده، أو في معرفة حياته المستقبلية.

وهي كذلك المسببة في فعل رحيل الأخوة عدة مرات إلى مصر. أما للميرة، أو للبحث عن يوسف وأخيه، إذ لولاها لما تم الرحيل من قبل الأخوة.

وإذا كان النص يبدأ بيوسف وأبيه (ذكر رؤيا يوسف) فأنه ينتهي بهما، أثناء اللقاء ومجيئها إلى مصر للقاء الإبن، فيكون عند ذلك بناء سردية النص بناء دائرياً.

إن الشخصية هذه شخصية قدرية، تؤمن بما صنع وسيصنع لها القدر(الله في النصوص المقدسة)، مسلمة كل شيء في حياتها له، ولا تقف حائلا لرد ما يصيبها.

فهي تعرف بأن أبناءها سيكيدون لأخيهم الصبي (يوسف) إلّا أنها لا تمنع هذه المكيدة بعدم السماح بمرافقة يوسف لهم، فتقع المكيدة، وتبدأ أحزانها، ولا تنتهي هذه الأحزان إلّا في نهاية النص عندما يلتقي بابنه المفقود. من هذا الجانب فأن النص في هذا المجال معني بحزن الأب على الابن المفقود، ويمكن أن يكون هذا النص نص الأب الحزين، الأب الصابر الذي لا يضيع منه الأمل.

مثل هذه الشخصية وبمعرفتها بما سيأتي، وبصبرها، ساعدت البطل كثيرا في بناء شخصيته على المستويات كافة.

وعلى الرغم من أن شخصية يوسف هي المحورية في النص - وكذلك في النص القرآني حتى سميت السورة باسمه - إلّا أننا وجدنا أن شخصية الأب هي الطاغية أكثر في النص. إذ أن أحداث النص كلها تدور حول يوسف، لكننا نجد أن الكثير من هذه الأحداث قد وقعت بسبب الأب، أو انه يعلم بها أساسا (من خلال نبوءته).

إذ كان يعلم بما سيجري لابنه، وكان يعلم بأن الذئب بريء من دمه، وكان يعلم أن ابنه حي يرزق، وكان يعلم أنه سيلتقي به، وهذا ما يستشف من النص وليس من قدسية يعقوب أو مما قاله المفسرون.

فعندما يخبره يوسف برؤاه يرد عليه قائلا: ((يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين ❖ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم)) رغم إننا لا نستطيع الجزم بقائل العبارة الأخيرة، إلا أنها مترابطة ومكملة للعبارة الأولى.

وعندما يطلب الأخوة من أبيهم أن يسمح ليوسف بالذهاب معهم للمرعى، فأنه يجيبهم قائلا: ((إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون)).

وعندما يعود الأخوة بقميص يوسف ملطخا بالدم ويخبروه بما جرى، يقول لهم: ((بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)).

وعندما يطلب يعقوب من أبنائه أن يدخلوا المدينة من أبواب متفرقة – مع عدم علمنا السبب - : ((إلّا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون)).

وفي نهاية النص يطلب من أبنائه أن يبحثوا عن يوسف وأخيه، لأنه يعلم بوجودهما حيّين: ((يا بني إذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه)).

وهكذا تتبين كلية العلم عند الأب. وإذا كان النص القرآني يعزو ذلك إلى النبوة، فأن اغلب النصوص السردية الوضعية تبعدها من تلك القدسية وتعطي أسبابا أخرى.

❖❖❖

الأخوة:

يتقاسم النص ثيمتان رئيسيتان، هما :الحسد ، والعفّة.

إن ثيمة حسد الأخوة لأخيهم المفضل، دفعت بالنص لان يتحرك بفاعلية إلى أمام في القسم الأول له الذي تدور أحداثه في المكان الأصل للعائلة، وظلت ظلال هذه الثيمة تفعل فعلها في القسم الثاني، بعد أن يصبح يوسف عزيزا(وزيراً). فيما الثيمة الرئيسية الثانية، وهي العفّة، إنبنت عليها أحداث القسم الثاني لتجعل وتيرة السرد تتصاعد ويكتمل بناء الشخصية.

والحسد هنا ليس معناه (ضربة العين) بالمفهوم الشعبي، ولكنه المرض الاجتماعي الذي يصيب أشخاصا ما – لأسباب عديدة - ويدفعهم إلى ارتكاب جريمة ما بحق الشخص المحسود.

كان يوسف الابن المفضل عند أبيه، ولم يذكر النص أسباب هذا التفضيل، إلّا أن ما تناقلته ألسِنة الرواة والمفسرين - وهي حتما تنقل عما تناقلته الذاكرة الشعبية الجمعية، وكذلك الإسرائيليات - هو أن يوسف من زوجة أخرى أكثر شبابا من أم

الأخوة. فيما يذكر النص التوراتي إن السبب هو كثرة رؤاه التي يستشف منها حصوله على الغلبة في قابل الأيام.

ومن الحسد هذا انبنى السرد. ومن الحسد هذا عُرف يوسف.

إذن كان الحسد بداية لوقوع جريمة، وهذه الجريمة هي رمي يوسف في الجب، والجب هذا – على الرغم من أنه على طريق القوافل - يمكن أن يكون قبرا لمن يرمى فيه.

ولو لم يرم يوسف في الجب لبقيت حياته كحياة إخوته، راع ليس إلّا. وما كان هناك السرد، وما كانت هناك شخصية يوسف، وما كان هناك نص أصلا.

من فعل هذه الشخصيات كان السرد.

لهذه الشخصيات (الأخوة) حركة واحدة ذات فعالية عظيمة في القسم الأول من النص، ولكنها تعود بالظهور أكثر من مرة في القسم الثاني، إلّا إن ظهورها يأتي بالدرجة الثانية من حيث ألفاعلية، وإنما تكون ألفاعلية له.

إن هذه الشخصيات، وعلى الرغم من فاعليتها في بناء السرد، إلّا أنها لم تكن ذات تأثير فعال في بناء الشخصية، ولا في نموها، إذ أنها لم تفعل شيئا في ذات الشخصية، لكن فاعليتها كانت في إظهار البطل، وفي السرد، وبناء النص.

ورب ساءل يسأل: إن النص القرآني يذكر أن يوسف قد أسرّ في نفسه ما سمع منهم من اتهام له بالسرقة، وهذا صحيح، إلّا

أننا لم نجد لهذه الثيمة أي تأثير على حياته في مصر، بل أن كل الذي أصابه من تغير ذاتي وموضوعي كان بفعله هو.

❖❖❖

شخصيات المجموعة الثانية:

العزيز:

أول ما قابل يوسف في مصر هو عزيزها (الوزير). وتذكر التوراة إن الذي اشتراه هو مخصي الملك (فُوطِيفَار)، إذ اشتراه بثمن بخس من جماعة القافلة، وهذا له دلالته في أن يوسف أصبح عبدا يشترى ويباع، وهذه احد المحن التي مر بها، إلّا أن العزيز وبحكم حرمانه من الأولاد، أوصى زوجته أن تهتم به، ((وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا)).

وللعزيز دور كبير في حركة السرد، وتوليد الأحداث، فلولاه لما كان ليوسف ذكر في مصر.

إن دخول هذه الشخصية حياة يوسف، وأيضاً دخولها في عملية السرد، جعلت الاثنين – حياة يوسف والسرد – يتقدمان باطراد إلى أمام وبفعل حركي. إذ كان لهذه الشخصية دورا في إنشاء الأحداث .

- قامت بإنقاذ يوسف وتحويله من عبد إلى شخص آخر شبيه بالابن مع مملوكيته.

- سبب غير مباشر في أحداث المراودة.

يوحي النص أن العزيز لم يرزق بأبناء، وهذا معناه أما أن يكون عقيما، أو غير كامل الأهلية الرجولية، ومهما كانت حالته، وكثير من النساء اللاتي وضعهن مثل وضع زوجة العزيز، تشعر نقصا في حياتها، فتعوض عن ذلك النقص بالبحث عنه خارج مخدع الزوجية، ولا نستثني بعض الرجال الذين يمرون بمثل هذه الحالة.

إضافة لذلك، ما تنقله المرويات الاسطورية، أي الإضافات المحايثة للنص الإلهي، من أن يوسف كان جميل زمانه، وهذا معناه وجود حالة هيام، ومن ثم شبق جنسي نحوه من قبل زوجة العزيز التي وجدت فيه المعوض عما تمر به في كنف رجل في مثل حالة العزيز، إضافة إلى أنه ربما كان كبير السن.

فضلا عن ذلك، فأن وجود شاب بجمال يوسف، وامرأة بوضع زوجة العزيز في مكان واحد وحدهما، يدفع كليهما إلى الأخر (ولقد همت به وهم بها)، (ما اجتمع اثنان إلا والشيطان ثالثهم)، كما يقول الموروث الشعبي.

هنا نقف عند كلمة (هم بها)، هل كان هذا الهمّ هو انجذابه نحوها ووقوعه بالغواية، أم كان غير ذلك؟

ولما كانت دراستنا للنص دراسة أدبية، فأننا سنتجاوز ما قيل في بعض التفاسير تحت تأثير معصومية الأنبياء من أن يوسف هم

بأن يضربها، أو يردعها، أو...الخ، إلّا أن النص، وهو يؤكد ذلك، سارع في الوقت نفسه إلى القول: (ولقد همت به وهم بها).

❖❖❖

زوجة العزيز:

لا يقدم لنا النص سوى هيامها بيوسف، والمكيدة له، وما أعدته للنساء من وليمة، لتبيّن لهن صدق مشاعرها تجاه شخص بجمال يوسف، ومن ثم اعترافها أمام الملك بخطئها.

لم يسمها النص القرآني، إلّا أن النص التوراتي يسميها (زليخة)، فأخذت أغلب التفاسير به، فتأثر العامة بذلك. ([1])

[1] – ومن أطرف ما قرأت: قصة يوسف وزليخا في مصارع العشاق للسراج القاري، يقول: (لما خلت زليخا بيوسف، عليه السلام، ارتعد يوسف. فقالت زليخا: من أي شيء ترعد، إنما جئت بك لتأكل وتشرب وتشتم رائحتي، وأشتم رائحتك. قال: يا أمة الله، لست لي بحرمة. قالت: فمن أي شيء تفزع؟ قال: من سيدي. قالت: الساعة، إذا نزل من الركوب،وأخذت بيدي الكأس المذهب والإبريق المفضض، سقيته شربةً من السم، وألقيت لحمه عن عظمه. قال لها: لا تفعلي، فلست ممن يقتل الملوك، وإنما أخاف من إله السماء. قالت له: فعندي من الذهب والفضة والجواهر والعقيق ما أفديك منه. قال: هو لا يقبل الرشا.

قالت: دع عنك هذا! قم اسق أرضي. قال: لا ازرع أرض غيري. قالت: فارفع رأسك انظر إلي! قال: أخاف العمى في آخر عمري. قالت: فمازحني ترجع إلي نفسي. قال: يا أمة الله! لست لي بحرمة فأمازحك. قالت: فلا صبر لي عن هذه الذؤابة التي بلغت إلى قدميك، ليتني وسمتها مرةً واحدةً. قال: أخشى أن تحشى من قطران جهنم، يا هذه، هوذا الشيطان يعينك على فتنتي، لا تشوهي بخلقي ذا الحسن الجميل، فادعى في الخلق زايناً، وفي الوحوش خائناً، وفي السماء عبداً كفوراً.

وتذكر المصادر التي تحدثت عن قصة يوسف من خارج القرآن عن نهاية زليخة: ((مات العزيز وتملك يوسف وافتقرت زليخا وعمي بصرها فجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك ربما يرحمك ويعينك ويغنيك فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه ثم قيل لها لا تفعلى لأنه ربما يتذكر ما كان منك إليه من المراودة والحبس فيسيء إليك)).

قال وهب: ولان من يوسف، عليه السلام، مقدار جناح بعوضة، فارتفعت الشهوة إلى وجهه، واستنارت، وكان سرواله معقوداً تسع عشرة عقدةً، فحل أول عقدة، وإذا قائل يقول من زاوية البيت: إن الله كان عليكم رقيباً! ثم حل العقدة الثانية، فإذا قائل يقول: ولا تقربوا ألفواحش ما ظهر منها وما بطن. فأوحى الله، عز وجل، إلى جبريل: ألحقه، فغنه المعصوم في ديوان الأنبياء! فانفرج السقف في أقل من اللمح فنزل جبريل، عليه السلام، فضرب صدره ضربةً، فخرجت شهوته من أطراف أنامله فنقص منه ولد، فولد لكل رجل من أولاد يعقوب، عليه السلام، اثنا عشر ولداً، ما خلا يوسف، عليه السلام، فإنه ولد له أحد عشر. فقال: يا رب ماذا خبري؟ لم ألحق بأخوتي في الولد، فأوحى الله، عز وجل، إليه: إن الشهوة التي خرجت من أناملك حاسبناك بها.

وبإسناده قال وهب: لما أراد الله بيوسف الخير قامت زليخا إلى طاق لها، فأرخت عليه ستراً، وكان لها في الطاق صنم من خشبٍ تعبده، فقال لها يوسف، عليه السلام: ماذا صنعت؟ قالت: استحييت من إلهي أن يراني أصنع ألفاحشة. قال: فأنت تستحيين من إله من خشب لا يضر ولا ينفع ولا يخلق ولا يسمع ولا يبصر، فأنا أستحيي ممن أكرم مثواي، وأحسن مأواي، واستبقا الباب. قالت زليخا: يا يوسف، بليت منك بخصلتين: ما رأيت بشراً أحسن منك، والثانية زوجي عنين. فلما تزوجها يوسف، عليه السلام، فأبصر بعينيها حولاً قال: يا زليخا! أو حولاء؟ قالت له: ما علمت؟ قال: لا والله! قالت: ما استحللت أن أملأ عيني منك.

قال وهب بن منبه: وكانت زليخا ممنوعة من الشقاء، وكانت أجمل من بطشابع صاحبة داود، عليه السلام). (مصارع العشاق – السراج القاري)- قرص الشعر.

ويرسم ابن كثير مشهد المراودة بإسلوب سردي، إذ يقول:

((... حين خرجا يستبقان إلى الباب يوسف هارب والمرأة تطلبه ليرجع إلى البيت فلحقته في أثناء ذلك فأمسكت بقميصه من ورائه فقدته قدا فظيعا يقال إنه سقط عنه واستمر يوسف هاربا ذاهبا وهي في إثره فألفيا سيدها وهو زوجها ثم الباب فعند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها وقالت لزوجها متصلة وقاذفة يوسف بدائها ما جزاء من أراد بأهلك سوءا أي فاحشة إلا أن يسجن أي يحبس أو عذاب أليم أي يضرب ضربا شديدا موجعا فعند ذلك انتصر يوسف عليه السلام بالحق وتبرأ مما رمته به من الخيانة و قال بارا صادقا هي راودتني عن نفسي وذكر أنها اتبعته تجذبه إليها حتى قدت قميصه)). ([1])

❖❖❖

السجينان:

هما ساقي الملك، وخبازه. يسجنهما الملك في السجن الذي سجن فيه يوسف، ويرى كل واحد منهما رؤيا، ويعبر لهما يوسف تلك الرؤى. إلّا أننا نجد هناك فرقا كبيرا في الرؤيتين بين النص التوراتي والنص القرآني.

الرؤيتان في التوراة:

[1] – تفسير ابن كثير: ج٢ –٤٧٦ .المكتبة الألفية.

رؤيا الساقي: ((رَأَيْتُ فِي حُلْمِي وَإذا كَرْمَةٌ أمامي، فِيهَا ثَلاَثَةُ أَغْصَانٍ أَفْرَخَتْ ثُمَّ أَزْهَرَتْ، وَمَا لَبِثَتْ عَنَاقِيدُهَا أَنْ أَثْمَرَتْ عِنَباً نَاضِجاً. وَكَانَتْ كَأْسُ فِرْعَوْنَ فِي يَدِي، فَتَنَاوَلْتُ الْعِنَبَ وَعَصَرْتُهُ فِي كَأْسِ فِرْعَوْنَ وَوَضَعْتُ الْكَأْسَ فِي يَدِهِ)).

التعبير: ((الثَّلاَثَةُ أَغْصَانٍ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ. بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَرْضَى عَنْكَ فِرْعَوْنُ، وَيَرُدُّكَ إلى مَنْزِلَتِكَ حَيْثُ تُنَاوِلُ فِرْعَوْنَ كَأْسَهُ، تَمَاماً كَمَا كُنْتَ مُعْتَاداً أَنْ تَفْعَلَ عِنْدَمَا كُنْتَ سَاقِيَهُ)).

رؤيا الخباز: ((رَأَيْتُ أَنَا أيضاً حُلْماً، وَإذا بِثَلاَثَةِ سِلاَلٍ بَيْضَاءَ عَلَى رَأْسِي. وَكَانَ السَّلُّ الأَعْلَى مَلِيئاً مِنْ طَعَامِ فِرْعَوْنَ مِمَّا يُعِدُّهُ الْخَبَّازُ، إلا أن الطُّيُورَ كَانَتْ تَلْتَهِمُهُ مِنَ السَّلِّ الَّذِي عَلَى رَأْسِي)).

التعبير: ((إِلَيْكَ تَفْسِيرَهُ: الثَّلاَثَةُ السِّلاَلُ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقْطَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ وَيُعَلِّقُكَ عَلَى خَشَبَةٍ فَتَأكل الطُّيُورُ لَحْمَكَ)).

اما في القرآن، فأن الرؤيتين هما:

رؤيا الساقي:

❖ ((إني أراني أعصر خمرا)).

تعبيرها:

- ((يسقي ربه خمرا)).

رؤيا الخباز:

❖ ((إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه)).

تعبيرها:

- ((يصلب فتأكل الطير من رأسه)).

هكذا يلخص النص القرآني الرؤيتين، لأنه غير معني بتفاصيلهما الدقيقة.

وقد توافق النصان في نهاية السجينين، فأحدهما يقتل والأخر ينجو، والذي ينجو ينسى – لفترة - وصية يوسف له بأن يذكره أمام الملك.

❖❖❖

الملك:

للملك دور كبير في حياة يوسف. فهو الذي مكّن يوسف أن يكون مسؤولا عن الجانب الاقتصادي في المملكة. وهو الذي أخرجه من السجن. وكذلك هو الذي برّأه من مكيدة زوجة العزيز عندما أرسل بطلبها للوقوف على حقيقة المراودة فاعترفت ببراءة يوسف.

في النص القرآني يسمي هذه الشخصية بالملك، فيما النص التوراتي تدعوها الملك مرة، وألفرعون أخرى.

❖❖❖

الشاهد:

هذه الشخصية من أكثر الشخصيات إشكالية عند المؤرخين والمفسرين في النصوص المحايثة للنص المقدس.

فالنص التوراتي لم يذكر ثيمة الشاهد، أما النص القرآني فيقول عنه: ((وشهد شاهد من أهلها))، فمن يكون هذا الشاهد؟

هناك أقوال عدة، وتشخيصات كثيرة لهذه الشخصية، فمنهم من يقول إنها طفل رضيع كان في البيت، ومنهم من يقول إنها ابن عم العزيز أو أخيه. ونحن إذا ابتعدنا عن هذه التكهنات نقول إنه شخص عاقل، حكيم، كان يرافق العزيز عند عودته إلى بيته.

يقول ابن كثير:

((وقد اختلفوا في هذا الشاهد هل هو صغير أو كبير على قولين لعلماء السلف فقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وشهد شاهد من أهلها قال ذو لحية وقال الثوري عن جابر عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس كان من خاصة الملك وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم إنه كان رجلا وقال زيد بن أسلم والسدي كان ابن عمها وقال ابن عباس كان من خاصة الملك وقد ذكر ابن إسحاق أن زليخا كانت بنت أخت الملك الريان بن الوليد وقال العوفي عن ابن عباس في قوله وشهد شاهد من أهلها قال كان صبيا في المهد وكذا روي عن أبي هريرة وهلال بن يساف والحسن وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم أنه كان صبيا في الدار واختاره ابن جرير وقد ورد فيه حديث تزوجها فقال ابن جرير حدثنا الحسن بن محمد حدثنا عفان حدثنا حماد هو

ابن سلمة أخبرني عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار فذكر فيهم شاهد يوسف ورواه غيره عن حماد بن سلمة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج ونصف بن مريم)).([1])

❖❖❖

النساء:

لم يذكرهن النص التوراتي لأنه لم يذكر حادثة الوليمة. إلّا أن النص التلمودي يذكرهن. أما النص القرآني فيدعوهن بـ: ((نسوة في المدينة)) كن قد اشعن خبر مراودة امرأة العزيز لفتاها، فتعد لهن مجلسا، وتسلمهن سكاكين:

((...(قالت): اخرج عليهن. فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن.

وقلن: حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم.

قالت: فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين)).

[1] – المصدر السابق – المكتبة الألفية.هكذا وردت في النص، خطأ مطبعي:(.... وصاحب جريج ونصف بن مريم) و الصحيح هو عيسى بن مريم.

النص لم يبيّن لنا لماذا قدمت لهن السكاكين؟ فراح المفسرون يقدمون أطروحاتهم حول السبب، ولكن اغلبهم يتفق على أن امرأة العزيز قدمت لهن ألفاكهة (قيل تفاح، وقيل اترنج، وقيل غيرهما).

إذن، ترك النص كما في غير موضع من نصوص القرآن، ماذا قدمت لهن؟ أم إنها لم تقدم شيئا لهن سوى السكاكين؟

❖❖❖

أسماء الشخصيات:

من الأمور الهامة في القصص القرآني، وكذلك في القصص الشعبي، والأساطير،هو أن أغلب الشخصيات دون أسماء، وقد ورد هذا النص في القرآن وكل شخصياتها – عدا يوسف وأبيه – لم تسم باسم.

وقد قلنا سابقا إن هذا النص – ربما - عرف بين العرب قبل الإسلام كأسطورة، أو واحدة من القصص الشعبي التي كانت تسلي العرب في لياليهم الطوال، خاصة أن التوراة تذكرها (اقرأ النص التوراتي كما ثبتناه). وسميت بعض شخوص النص بتأثير من التوراة. لهذا نجد أن المفسرين أطلقوا أسماء كثيرة على شخوص النص بتأثير من التوراة، أو مما كان يروى قبل الإسلام.

إن الدراسة ترى إن اهتمام النص (القرآني) لم يكن بالشخص ومن ثم باسمه، وإنما كان الاهتمام منصبا على ألفعل المولد

للحدث [1]. أي أن الشخصية القرآنية هي الحدث نفسه، فما ألفائدة في أن نعرف أسماء الأخوة، أو اسم زوجة العزيز، أو الشخص الذي شهد، أو أسماء السجناء، إذ أكد هذا النص عدم دلالية الأسماء، طالما أنها تدخل النص لتفعل فعل ما وتخرج منه، دون أن يكون لها استمرارية لفعل آخر، لهذا نجد إن أبا يوسف (يعقوب) – رغم أنه نبي معروف – فأن ذكر اسمه جاء بسبب تعدد أفعاله، ومشاركته بطولة النص.

ومن الجدير بالذكر إن القصة القصيرة الحديثة – ومجمل ألفنون السردية – اتبعت هذه الطريقة، وهي الاهتمام بالفعل (الحدث) وليس بفاعله.

وكذلك حدث الشيء نفسه بالنسبة للاماكن، سوى مصر. وترى الدراسة إن السبب في ذكرها في النص كان ليبيّن الانتقال من منطقة غير ذات حضارة، وغير مدنية (حضارة رعوية)، إلى منطقة فيها مدنية وحضارة، وفيها ملك، وعزيز، وسجن... الخ (حضارة زراعية)، لان الاسم هنا لا دلالة له سوى ما كانت تعنيه مصر في ذلك الوقت.

[1] – لم يذكر القرآن أسماء شخوص القصص التي وردت فيه من مثل: أسماء أصحاب الكهف وذي القرنين واسم الرجل الصالح، وصاحبي الجنتين، والشخص الثاني في الغار... الخ.

ومن هذا المنطلق، يعطينا هذا النص صورة عن كيفية الانتقال من المجتمع الرعوى إلى المجتمع الزراعي – الحضاري.

فبينما كان يوسف وأهله يعيشون في مجتمع رعوي، كان هناك مجتمعا زراعيا متقدما في الحضارة، ينتقل إليه يوسف ومن ثم أهله إليه.

ولما كان علماء الاجتماع يضعون المجتمع الرعوي قبل المجتمع الزراعي حضاريا، فأن النص هذا يعد لبنة أساسية في كيفية التطور.

❖❖❖

القراءة السيميولوجية

إذا كانت التأويلية التي راح كتّابنا القدماء يقدمون فيها بعض دراساتهم عن القرآن والتي بنيت أساسا على تأويل للمعنى اللغوي، هي فرع من فروع علم السميائية، فإنها – تلك الدراسات التي تهدف لشرح، أو تفسير، أو تأويل النص – تعتبر تجليات للقراءة وبإختلاف آلياتها، أي إنها نوع من أنواع القراءة للنص القرآني– دون أن نغض الطرف عن التأثير الأيدلوجي - .

وقد تطورت في النصف الثاني من القرن العشرين قراءات نقدية جديدة للنص، وكان من أهمها: القراءة السيميولوجية التي اعتمدت مجموعة من الآليات، كالتشاكل، والتباين، والمماثلة، وكان من أهم انجازات هذه القراءة من خلال آلياتها تلك و بعد فحص النصوص، إنها وجدت– أي تلك النصوص - قد ارتكزت على عناصر من أهمها العلامة (Index) التي تدرس العلاقة بين الدال والمدلول.

والنص المدروس، لكي يوصل دلالاته إلى قارئه، حاول أن يستفيد من هذا العنصر السيميولوجي.

فالقميص الذي تجلّا بثلاث صور في النص، كان علامة للتماثل السيميائي في النص. فالدم الذي وضعه الأبناء على قميص

يوسف - وكان الأب ومن خلال قوى خارجة عن ذاته يعرف ان هذا الدم ليس بدم ابنه يوسف – كان مماثلا لفعل القتل (الأكل - الافتراس)، إذ ان الأبناء كانوا يعرفون من خلال الأعراف الثقافية للبشرية أن الدم يدل على القتل.

((ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب. ثم عادوا إلى أبيهم عشاء وهم يبكون، وبيدهم قميصه ملطخا بدم كذب.

قالوا:يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين.

قال الأب غير مصدق: ((بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)).

حاول بعض المفسرين أن يجدوا تفسيرا لعدم تصديق الأب بأن الذئب هو الذي أكل ابنه (حسب النص القرآني، وافترس، حسب النص التوراتي)، فقال بعضهم إنها معرفة نبوية، قوى من خارج ذاته. فيما قال البعض - وكان أكثر واقعية من أصحاب التفسير الميتافيزيقي - أن الأب عندما رأى قميص يوسف غير ممزق عرف ذلك، لان الذئب لو كان مفترسا لولده لكان القميص قد تمزق من الافتراس، ولهذا نرى النص القرآني أكثر واقعية من

النص التوراتي في اختيار لفظة (أكل) ولم يستخدم لفظة (افترس). ([1])

والنص القرآني، وهو يصحح ما كان متداولا للنص وقتذاك تحت تأثير التوراة، جعل الأخوة هم الذين يخبرون والدهم بأكل الذئب ليوسف، فيما النص التوراتي، أو ما كان متداولا بين العامة، قد جعل الأب هو الذي يستنتج ذلك من خلال رؤيته للدم على قميص يوسف: ((فَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ الْمُلَوَّنَ، وَذَبَحُوا تَيْساً مِنَ الْمِعْزَى وَغَمَسُوا الْقَمِيصَ فِي الدَّمِ، وَأرسلوهُ إلى أبيهم قَائِلِينَ: لَقَدْ وَجَدْنَا هَذَا الْقَمِيصَ، فَتَحَقَّقْ مِنْهُ، أَهُوَ قَمِيصُ ابْنِكَ أَمْ لاَ؟» فَتَعَرَّفَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «هَذَا قَمِيصُ ابْنِي. وَحْشٌ ضَارٍ افْتَرَسَهُ وَمَزَّقَهُ أَشْلاَءً».)).

وكذلك عندما قُد القميص من دُبر، فإن فعل القد من الدبر معناه أن الذي قام بالتمزيق كان خلف لابس

---

[1] – ناقش الخطابي في بيان إعجاز القرآني مسألة الخلاف بين لفظة أكل ولفظة افترس وخرج بنتيجة مفادها: (فأما قوله تعالى: ﴿فأكلهُ الذئب﴾ (يوسف:١٧) فإن الافتراس معناه في فعل السبع القتل حسب، وأصل ألفرس دق العنق، والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلاً وأتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلاً ولا عظماً، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باق من يشهد بصحة ما ذكروه، فدعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطى تمام هذا المعنى، فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل؛ على أن لفظ الأكل شائع الاستعمال في الذئب وغيره من السباع") انظر: النقد والإعجاز – د. محمد تحريشي – ص١٢٧.

القميص، وهذا يعني إن فعل المراودة كان متوجهاً من التابع إلى المتبوع، مما يدل على براءة من قد قميصه من دبر.

والشيء نفسه يقال عن التجلّي الثالث للقميص، فرائحة الشخص كانت بديلا للشخص ذاته، أي لحضوره، على الرغم من غيابه.

ومن بين العلامات التي استخدمها النص، هي: إغلاق أبواب البيت، وتهيئة المضجع.

((وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون)).

فإغلاق الأبواب يرمز إلى الخلوة في حالة وجود أنثى – متيمة حباً - ورجل غريب - ذو جاذبية لجنس النساء - في مكان واحد. والخلوة عرفا وشرعا، معناها تهيئة الأجواء لعمل جنسي.

وقد استخدم النص القرآني لفظة (غلّقت/بتشديد اللام) الأبواب، وذلك للمبالغة في تهيئة الأجواء للممارسة الجنسية بكل حذر، وهذه المبالغة في غلق الأبواب تستدعي خلو المكان من أي شخص مهما كان عمره، ولهذا نستنتج من

كل ذلك أن الشاهد لم يكن طفلا من أهل البيت، وإنما هو شخص من خارجه.

وقول المتيّمة – زوجة العزيز - (هيت لك) هو بيان الاستعداد الكامل للممارسة الجنسية.

و(هيت) (يقال: إنها بالحورانية). ([1])

وعن (هيت لك) يقول الميناجي: (تهيأت لك، أما سمعت قول اصيحة الانصاري:

به أحمي المضاف إذا دعاني إذا ما قيل للإبطال هيتا).([2])

وهناك مجموعة من التشكلات، والتباينات في النص المدروس، منها على سبيل المثال: سنوات الرفاه وسنوات العجاف. والتي أيضاً كانت صورة للتشاكل في النص، من خلال العدد سبعة، سبع سنوات رفاه وسبع سنوات عجاف.

وينبني النص على رمزية العدد ثلاثة دون الإشارة على ذلك، تحت مفهوم أسطورى عام يعشعش في الذاكرة

[1] – مجلة تراثنا ج ٨ – مؤسسة آل البيت – ص ٢٧٧.وفي كتاب (لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم – الأمام أبي عبيد القاسم بن سلام) باللغة النبطية.

[2] – مواقف الشيعة ج ٣ – الأحمدي الميانجي – ص ٣٥٢.

الجمعية، مؤداه أن ألفعل لا يثبت ما لم يتكرر ثلاث مرات ([1]).

فالحب العائلي مبني على شخوص ثلاثة، الأب يعقوب، ويوسف، وأخيه (الذي تسميه االمرويات المحايثة للنص بنيامين).

فيما زيارة أبناء يعقوب مصر تكررت ثلاث مرات. في الأولى تعرّف يوسف عليهم ((وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون))، وفي الثانية عرّف نفسه إلى أخيه وأبقاه معه ((ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون))، وفي الثالثة عرفه الأخوة ((قالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين))، إذن اكتمل فعل التعارف بتكراره ثلاث مرات.

وقد تكررت الرؤى ثلاث مرات. فهناك رؤيا السجينين، والثالثة رؤيا الملك، مما يجعل من يوسف معبر صادق للرؤيا، ((وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من

[1] – يقول المثل الشعبي: الثالثة ثابتة، ومثل آخر يقول: بالثالثة المنية. وهناك وصية احترازية عراقية لمن يبنى له دارا،تقول: الدار الأولى بعها، والدار الثانية أجرها للغير، والثالثة اسكن فيها.

تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)).

وكذلك استخدام النص للقميص ثلاث مرات كما ذكرنا ذلك من قبل، وكل مرة ينتج القميص فعل ما. ففي الأولى علامة على كذب ادعاء الأخوة، ومن ثم حزن يعقوب. وفي الثانية تبرئة يوسف من فعل المراودة. وفي الثالثة عودة البصر إلى يعقوب.

أما عدد السجناء فهو ثلاثة، يوسف، وساقي الملك، وخبازه.

وإذا أردنا أن نتمحل في القول كثيرا، ونسرف في الشرح عن الرقم ثلاثة، نقول: إن مجموع سنوات الرخاء، والقحط، هو خمسة عشر سنة، تقبل القسمة على ثلاث:((قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ❖ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون❖ ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)).

وأخيرا، فإن ما تريد أن توصّله هذه السورة من دروس وعبر للمسلمين هو ثلاثة دروس رئيسية:

الدرس الأول: الحسد.

الدرس الثاني: ألفعل الجنسي غير الشرعي.

الدرس الثالث: الدرس الاقتصادي.

وان كل الدروس والعبر الأخرى متولدة منها.

فصبر يعقوب على ابنه متولد من فعل الحسد وما نتج عنه. والدرس الثاني تولدت منه دروس ثانوية أخرى، خاصة درس ثأر المرأة من الرجل الذي لم يمكّنها من نفسها، فضلا عن درس الاعتماد على الله.

أما الدرس الثالث، فيؤكد على التدبير الجيد للأمور الاقتصادية، التي تؤدي إلى وضع الشخص المناسب في المكان المناسب.

وفي الوقت نفسه، فإن الحالة الاقتصادية لمصر تمر بثلاث حقب: الأولى هي حقبة الرفاه الاقتصادي، والثانية حقبة الجدب، والثالثة هو العام الذي يغاث الناس فيه.

ولو عدنا إلى حلم يوسف ((إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)) لرأينا أن عناصره ثلاثة، هي: الكواكب، والشمس، والقمر.

وهكذا يفعل العدد ثلاثة فعله في هذا النص.

❖❖❖

الفصل الثاني

النصوص

١ – النص القرآني:

❖ الر تلك آيات الكتاب المبين ❖ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ❖ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ❖ إذ قال يوسف لابيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ❖ قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين ❖ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم ❖ لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ❖ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين ❖ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ❖ قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين ❖ قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ❖ ارسله

معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ❖ قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ❖ قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون ❖ فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ❖ وجاءوا أباهم عشاء يبكون ❖ قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ❖ وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ❖ وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ❖ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ❖وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ❖ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ❖وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون❖ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين❖ واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما

جزاء من أراد بأهلك سوء إلا أن يسجن أو عذاب أليم ❖ قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ❖ وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ❖ فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ❖ يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين❖ وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين❖ فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ❖ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ❖ قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ❖ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ❖ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ❖ ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ❖ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة

قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ❖ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ❖ يا صاحبي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ❖ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ❖ يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان ❖ وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين ❖ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملا أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون ❖ قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين ❖ وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ❖ يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ❖ قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ❖ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون❖ ثم يأتي من بعد

ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ❖ وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم ❖ قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ❖ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ❖ وما أبرئ نفسي إن النفس لامارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ❖ وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ❖ قال اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم❖ وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوء منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ❖ ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ❖وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ❖ ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين ❖ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ❖ قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون ❖ وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون ❖ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون❖ قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير

حافظا وهو أرحم الراحمين ❖ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير ❖ قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل ❖ وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنك من الله من شئ إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ❖ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شئ إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ❖ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ❖ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون ❖ قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ❖ قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم ❖ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين❖ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ❖ قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين ❖ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ❖ قالوا إن يسرق فقد

سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون ❖ قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين ❖ قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون ❖ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ❖ ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين ❖ واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون❖ قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم❖ وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ❖ قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين ❖ قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون❖ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ❖ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ❖ قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ❖ قالوا أئنك لانت

يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين❖ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ❖ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ❖ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ❖ ولما فصلت العير قال أبوهم إني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون ❖ قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم ❖ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ❖ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ❖ قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم ❖ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ❖ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ❖ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السماوات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ❖ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ❖ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ❖ وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين ❖ وكأين من آية في

السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ❖ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ❖ أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ❖ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين❖ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون ❖ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ❖ لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون .

❖❖❖

٢ – النص التوراتي:

((وَسَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، حَيْثُ تَغَرَّبَ أَبُوهُ، وَهَذَا سِجِلُّ بِسِيرَةِ يَعْقُوبَ. إِذْ كَانَ يُوسُفُ غُلاَماً فِي السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، رَاحَ يَرْعَى الْغَنَمَ مَعَ إِخْوَتِهِ أَبْنَاءِ بِلْهَةَ وَزِلْفَةَ زَوْجَتَيْ أَبِيهِ، فَأَبْلَغَ يُوسُفُ أَبَاهُ بِنَمِيمَتِهِمِ الرَّدِيئَةِ. وَكَانَ إِسْرَائِيلُ يُحِبُّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ بَقِيَّةِ إِخْوَتِهِ، لأَنَّهُ كَانَ ابْنَ شَيْخُوخَتِهِ، فَصَنَعَ لَهُ قَمِيصاً

مُلَوَّناً. وَلَمَّا رَأَى إِخْوَتُهُ أَنَّ أَبَاهُمْ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ كَرِهُوهُ وَأَسَاءُوا إِلَيْهِ بِكَلاَمِهِمْ.

وَحَلُمَ يُوسُفُ حُلْماً قَصَّهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَازْدَادُوا لَهُ بُغْضاً. قَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا هَذَا الْحُلْمَ الَّذِي حَلُمْتُهُ. رَأَيْتُ وَكَأَنَّنَا نَحْزِمُ حُزَماً فِي الْحَقْلِ، فَإِذَا بِحُزْمَتِي وَقَفَتْ ثُمَّ انْتَصَبَتْ، فَأَحَاطَتْ بِهَا حُزَمُكُمْ وَانْحَنَتْ لَهَا». فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «أَلَعَلَّكَ تَمْلِكُ عَلَيْنَا أَوْ تَحْكُمُنَا؟» وَزَادَ بُغْضُهُمْ لَهُ بِسَبَبِ أَحْلاَمِهِ وَكَلاَمِهِ. ثُمَّ حَلُمَ حُلْماً آخَرَ سَرَدَهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، قَالَ: «حَلُمْتُ حُلْماً آخَرَ، وَإِذَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً سَاجِدَةٌ لِي». وَقَصَّهُ عَلَى أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ، فَأَنَّبَهُ أَبُوهُ وَقَالَ: «أَيُّ حُلْمٍ هَذَا الَّذِي حَلُمْتَهُ؟ أَتَظُنُّ حَقّاً أَنَّنِي وَأُمَّكَ وَإِخْوَتَكَ سَنَأْتِي وَنَنْحَنِي لَكَ إِلى الأَرْضِ؟» فَحَسَدَهُ إِخْوَتُهُ. أَمَّا أَبُوهُ فَأَسَرَّ هَذَا الْكَلاَمَ فِي قَلْبِهِ.

وَانْطَلَقَ إِخْوَتُهُ لِيَرْعَوْا غَنَمَ أَبِيهِمْ عِنْدَ شَكِيمَ، فَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: أَلاَ يَرْعَى إِخْوَتُكَ الْغَنَمَ عِنْدَ شَكِيمَ؟ تَعَالَ لأُرْسِلَكَ إِلَيْهِمْ. اذْهَبْ وَاطْمَئِنَّ عَلَى إِخْوَتِكَ وَعَلَى الْمَوَاشِي، ثُمَّ عُدْ وَأَخْبِرْنِي عَنْ أَحْوَالِهِمْ، فَمَضَى مِنْ وَادِي حَبْرُونَ حَتَّى أَقْبَلَ إِلى شَكِيمَ. وَالْتَقَاهُ رَجُلٌ فَوَجَدَهُ تَائِهاً فِي الْحُقُولِ، فَسَأَلَهُ: «عَمَّنْ تَبْحَثُ؟» فَأَجَابَهُ: «أَبْحَثُ عَنْ إِخْوَتِي. أَرْجُوكَ أَنْ تُخْبِرَنِي أَيْنَ يَرْعَوْنَ مَوَاشِيَهُمْ؟» فَقَالَ الرَّجُلُ: «لَقَدِ انْتَقَلُوا مِنْ هُنَا، وَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: لِنَذْهَبْ إِلى دُوثَانَ». فَانْطَلَقَ يُوسُفُ فِي إِثْرِ إِخْوَتِهِ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ فِي دُوثَانَ.

وَمَـا إِنْ رَآَوْهُ مِـنْ بَعِيـدٍ، وَقَبْـلَ أَنْ يَقْتَـرِبَ مِـنْهُمْ حَتَّـى تَـآمَرُوا عَلَيْـهِ لِيَقْتُلُوهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَـا هُـوَ صَـاحِبُ الأَحْـلاَمِ مُقْبِـلٌ. هَيَّـا نَقْتُلْهُ وَنُلْقِ بِـهِ فِـي إِحْـدَى الآبَـارِ، وَنَدَّعِ أَنَّ وَحْشـاً ضَـارِياً افْتَرَسَـهُ، لِنَرَى مَاذَا تُجْدِيهِ أَحْلاَمُهُ». وَإِذْ سَمِعَ رَأُوبَيْنُ حَدِيثَهُمْ، أَرَادَ أَنْ يُنْقِذَهُ فَقَالَ: «لاَ نَقْتُلُهُ، وَلاَ تَسْفِكُوا دَماً، بَلِ اطْرَحُوهُ فِي هَـذِهِ الْبِئْـرِ فِـي الْبَرِّيَّةِ، وَلاَ تَمُدُّوا إِلَيْهِ يَداً بِأَذًى». وَقَـدْ أَشَـارَ رَأُوبَيْنُ بِهَـذَا لأَنَّـهُ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنْهُمْ وَيَـرُدَّهُ إِلى أَبِيـهِ. وَعِنْـدَمَا قَـدِمَ عَلَـى إِخْوَتِـهِ، نَزَعُـوا عَنْـهُ قَمِيصَـهُ الْمُلَـوَّنَ الَّـذِي كَـانَ يَرْتَدِيـهِ، وَأَخَـذُوهُ وَأَلْقَـوْا بِـهِ فِـي الْبِئْرِ. وَكَانَتِ الْبِئْرُ فَارِغَةً مِنَ الْمَاءِ.

وَحِـينَ جَلَسُـوا لِيَـأْكُلُوا شَـاهَدُوا عَـنْ بُعْـدٍ قَافِلَـةً مِـنَ الإِسْـمَاعِيلِيِّينَ قَادِمِينَ مِنْ جِلْعَادَ فِي طَرِيقِهِمْ إِلى مِصْـرَ، وَجِمَـالُهُمْ مُثْقَلَـةٌ بِالتَّوَابِلِ وَالْبَلَسَانِ وَاللاذَنِ. فَقَالَ يَهُوذَا لإِخْوَتِهِ: «مَا جَدْوَى قَتْلِ أَخِينَا وَإِخْفَاءِ دَمِـهِ؟ تَعَـالَوْا نَبِيعُـهُ إِلى الإِسْـمَاعِيلِيِّينَ وَنُبْـرِئُ أَيْـدِينَا مِـنْ دَمِـهِ لأَنَّـهُ أَخُونَا وَمِنْ لَحْمِنَا». فَوَافَقَ إِخْوَتُهُ عَلَى رَأْيِهِ. وَعِنْدَمَا دَنَا مِنْهُمُ التُّجَّارُ الْمِدْيَانِيُّونَ، سَحَبُوا يُوسُفَ مِنَ الْبِئْـرِ وَبَاعُوهُ لَهُمْ بِعِشْرِينَ قِطْعَةً مِـنَ الْفِضَّةِ، فَحَمَلُوهُ إِلى مِصْرَ. ثُمَّ ذَهَبَ رَأُوبَيْنُ إِلى الْبِئْـرِ لِيُنْقِذَ يُوسُـفَ فَلَـمْ يَجِـدْهُ، فَمَـزَّقَ ثِيَابَـهُ، وَرَجَـعَ إِلى إِخْوَتِـهِ يَقُـولُ: «الْوَلَـدُ لَـيْسَ مَوْجُوداً، وَأَنَا الآنَ إِلى أَيْنَ أَتَوَجَّهُ؟»

فَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ الْمُلَوَّنَ، وَذَبَحُوا تَيْسـاً مِـنَ الْمِعْـزَى وَغَمَسُـوا الْقَمِيصَ فِـي الـدَّمِ، وَأَرْسَـلُوهُ إِلى أَبِـيهِمْ قَـائِلِينَ: لَقَـدْ وَجَـدْنَا هَـذَا

الْقَمِيصَ، فَتَحَقَّقْ مِنْهُ، أَهُوَ قَمِيصُ ابْنِكَ أَمْ لاَ؟» فَتَعَرَّفَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «هَذَا قَمِيصُ ابْنِي. وَحْشٌ ضَارٍ افْتَرَسَهُ وَمَزَّقَهُ أَشْلاَءَ». فَشَقَّ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ، وَارْتَدَى الْمُسُوحَ عَلَى حَقْوَيْهِ، وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّاماً عَدِيدَةً. وَعِنْدَمَا قَامَ جَمِيعُ أَبْنَائِهِ لِيُعَزُّوهُ أَبَى أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: «إِنِّي أَمْضِي إِلى ابْنِي نَائِحاً إِلى الْهَاوِيَةِ». وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ. وَبَاعَ الْمِدْيَانِيُّونَ يُوسُفَ فِي مِصْرَ لِفُوطِيفَارَ خَصِيِّ فِرْعَوْنَ رَئِيسِ الْحَرَسِ.

وَأَخَذَ الإِسْمَاعِيلِيُّونَ يُوسُفَ إِلى مِصْرَ، فَاشْتَرَاهُ مِنْهُمْ مِصْرِيٌّ يُدْعَى فُوطِيفَارَ، كَانَ خَصِيَّ فِرْعَوْنَ وَرَئِيسَ الْحَرَسِ. وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ، فَأَفْلَحَ فِي أَعْمَالِهِ، وَأَقَامَ فِي بَيْتِ سَيِّدِهِ الْمِصْرِيِّ. وَرَأَى مَوْلاَهُ أَنَّ الرَّبَّ مَعَهُ وَأَنَّهُ يُكَلِّلُ كُلَّ مَا تَصْنَعُهُ يَدَاهُ بِالنَّجَاحِ، فَحَظِيَ يُوسُفُ بِرِضَى سَيِّدِهِ، فَجَعَلَهُ وَكِيلاً عَلَى بَيْتِهِ وَوَلاَهُ عَلَى كُلِّ مَالَهُ. وَبَارَكَ الرَّبُّ بَيْتَ الْمِصْرِيِّ وَكُلَّ مَالَهُ مِنْ مُقْتَنَيَاتٍ فِي الْبَيْتِ وَالْحَقْلِ بِفَضْلِ يُوسُفَ. فَعَهِدَ بِكُلِّ مَالَهُ إِلى يُوسُفَ. وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعَهُ شَيْئاً إِلاَّ الْخُبْزَ الَّذِي يَأْكُلُ. وَكَانَ يُوسُفُ جَمِيلَ الْهَيْئَةِ وَسِيمَ الْوَجْهِ.

ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ أُغْرِمَتْ بِهِ زَوْجَةُ مَوْلاَهُ فَقَالَتْ: «اضْطَجِعْ مَعِي». فَأَبَى وَقَالَ لَهَا: «هُوَذَا سَيِّدِي قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ فِي هَذَا الْبَيْتِ وَلَمْ يُشْغِلْ نَفْسَهُ بِأَيِّ شَأْنٍ فِيهِ. وَلَيْسَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنِّي. وَلَمْ يَمْنَعْ عَنِّي شَيْئاً غَيْرَكِ لأَنَّكِ زَوْجَتُهُ. فَكَيْفَ أَقْتَرِفُ

هَذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِيءُ إلى اللّهِ؟» وَلَمْ يُذْعِنْ يُوسُفُ لَهَا مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ تُلِحُّ عَلَيْهِ يَوْماً بَعْدَ آخَرَ.

وَحَدَثَ يَوْماً أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ لِيَقُومَ بِعَمَلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَنْزِلِ أَحَدٌ، فَأَمْسَكَتْهُ مِنْ رِدَائِهِ وَقَالَتْ: «اضْطَجِعْ مَعِي». فَتَرَكَ رِدَاءَهُ بِيَدِهَا وَهَرَبَ خَارِجاً تَارِكاً رِدَاءَهُ بِيَدِهَا وَعِنْدَمَا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ رَفَضَ وَهَرَبَ خَارِجاً تَارِكاً رِدَاءَهُ بِيَدِهَا نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا وَقَالَتْ: «انْظُرُوا مَا جَرَى؟ هَذَا الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جَاءَ بِهِ زَوْجِي إلى الْبَيْتِ. شَرَعَ يُرَاوِدُنِي عَنْ نَفْسِي. دَخَلَ غُرْفَتِي وَحَاوَلَ اغْتِصَابِي، فَصَرَخْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي. وَعِنْدَمَا سَمِعَنِي قَدْ رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، تَرَكَ رِدَاءَهُ مَعِي وَهَرَبَ خَارِجاً».

وَأَلْقَتْ رِدَاءَهُ إلى جَانِبِهَا حَتَّى قَدِمَ مَوْلاَهُ إلى بَيْتِهِ، فَقَصَّتْ عَلَيْهِ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ قَائِلَةً: «دَخَلَ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جِئْتَ بِهِ إِلَيْنَا لِيُرَاوِدَنِي عَنْ نَفْسِي، وَحِينَ رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَفَرَّ خَارِجاً».

فَلَمَّا سَمِعَ سَيِّدُهُ كَلاَمَ زَوْجَتِهِ وَمَا اتَّهَمَتْ بِهِ يُوسُفَ احْتَدَمَ غَضَبُهُ، فَقَبَضَ عَلَى يُوسُفَ وَزَجَّهُ فِي السِّجْنِ، حَيْثُ كَانَ أَسْرَى الْمَلِكِ مُعْتَقَلِينَ، فَمَكَثَ هُنَاكَ.

وَلَكِنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَ يُوسُفَ، فَأَغْدَقَ عَلَيْهِ رَحْمَتَهُ، فَنَالَ رِضَى رَئِيسِ السِّجْنِ، حَتَّى عَهِدَ إلى يُوسُفَ بِكُلِّ الْمَسَاجِينِ الْمُعْتَقَلِينَ، وَجَعَلَهُ مَسْئُولاً عَنْ كُلِّ مَا يَجْرِي هُنَاكَ. وَلَمْ يُحَاسِبْ

رَئِيسُ السِّجْنِ يُوسُفَ بِأَيِّ شَيْءٍ أَوْكَلَهُ إِلَيْهِ، لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ. وَمَهْمَا فَعَلَ كَانَ الرَّبُّ يُكَلِّلُهُ بِالنَّجَاحِ.

وَاتَّفَقَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ سَاقِيَ مَلِكِ مِصْرَ وَالْخَبَّازَ أَذْنَبَا إِلى سَيِّدِهِمَا مَلِكِ مِصْرَ، فَسَخِطَ فِرْعَوْنُ عَلَى خَصِيَّيْهِ: رَئِيسِ السُّقَاةِ وَرَئِيسِ الْخَبَّازِينَ، وَزَجَّهُمَا فِي مُعْتَقَلِ بَيْتِ رَئِيسِ الْحَرَسِ فِي السِّجْنِ، فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُوسُفُ مَحْبُوساً فِيهِ. فَوَلَّى رَئِيسُ الْحَرَسِ يُوسُفَ أَمْرَهُمَا، فَقَامَ عَلَى خِدْمَتِهِمَا، فَمَكَثَا فِي الْمُعْتَقَلِ أَيَّاماً.

وَحَلُمَ كُلٌّ مِنْ سَاقِي مَلِكِ مِصْرَ وَخَبَّازِهِ الْمُعْتَقَلَيْنِ فِي السِّجْنِ حُلْماً فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ. وَكَانَ لِحُلْمِ كُلٍّ مِنْهُمَا مَعْنَاهُ الْخَاصُّ بِصَاحِبِهِ. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمَا يُوسُفُ فِي الصَّبَاحِ فَوَجَدَهُمَا مُكْتَئِبَيْنِ. فَسَأَلَهُمَا: «لِمَاذَا وَجْهَاكُمَا مَكْمَدَّانِ فِي هَذَا الْيَوْمِ؟» فَأَجَابَاهُ: «حَلُمَ كُلٌّ مِنَّا حُلْماً وَلَيْسَ مَنْ يُفَسِّرُهُ». فَقَالَ يُوسُفُ: «أَلَيْسَتْ تَفَاسِيرُ الأَحْلاَمِ لِلهِ؟ حَدِّثَانِي بِهِمَا».

فَسَرَدَ رَئِيسُ السُّقَاةِ حُلْمَهُ عَلَى يُوسُفَ. قَالَ: «رَأَيْتُ فِي حُلْمِي وَإِذَا كَرْمَةٌ أَمَامِي، فِيهَا ثَلاَثَةُ أَغْصَانٍ أَفْرَخَتْ ثُمَّ أَزْهَرَتْ، وَمَا لَبِثَتْ عَنَاقِيدُهَا أَنْ أَثْمَرَتْ عِنَباً نَاضِجاً. وَكَانَتْ كَأْسُ فِرْعَوْنَ فِي يَدِي، فَتَنَاوَلْتُ الْعِنَبَ وَعَصَرْتُهُ فِي كَأْسِ فِرْعَوْنَ وَوَضَعْتُ الْكَأْسَ فِي يَدِهِ». فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: «إِلَيْكَ تَفْسِيرَهُ: الثَّلاَثَةُ أَغْصَانٍ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ. بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَرْضَى عَنْكَ فِرْعَوْنُ، وَيَرُدُّكَ إِلى مَنْزِلَتِكَ حَيْثُ تُنَاوِلُ فِرْعَوْنَ كَأْسَهُ، تَمَاماً كَمَا كُنْتَ مُعْتَاداً أَنْ

تَفْعَلَ عِنْدَمَا كُنْتَ سَاقِيَهُ. إِنَّمَا إِذَا أَصَابَكَ خَيْرٌ فَاذْكُرْنِي وَأَحْسِنْ إِلَيَّ. اذْكُرْنِي لَدَى فِرْعَوْنَ وَأَخْرِجْنِي مِنْ هَذَا السِّجْنِ، لأَنَّنِي حُمِلْتُ عَنْوَةً مِنْ أَرْضِ الْعِبْرَانِيِّينَ، وَهُنَا أَيْضاً لَمْ أَجْنِ شَيْئاً لِيَزُجُّوا بِي فِي هَذَا السِّجْنِ».

وَعِنْدَمَا رَأَى رَئِيسُ الْخَبَّازِينَ أَنَّ يُوسُفَ أَحْسَنَ التَّفْسِيرَ، قَالَ لَهُ: «رَأَيْتُ أَنَا أَيْضاً حُلْماً، وَإِذَا بِثَلاَثَةِ سِلاَلٍ بَيْضَاءَ عَلَى رَأْسِي. وَكَانَ السَّلُّ الأَعْلَى مَلِيئاً مِنْ طَعَامِ فِرْعَوْنَ مِمَّا يُعِدُّهُ الْخَبَّازُ، إِلاَّ أَنَّ الطُّيُورَ كَانَتْ تَلْتَهِمُهُ مِنَ السَّلِّ الَّذِي عَلَى رَأْسِي». فَقَالَ يُوسُفُ: «إِلَيْكَ تَفْسِيرَهُ: الثَّلاَثَةُ السِّلاَلُ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقْطَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ وَيُعَلِّقُكَ عَلَى خَشَبَةٍ فَتَأْكُلُ الطُّيُورُ لَحْمَكَ».

وَكَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ هُوَ يَوْمُ عِيدِ مِيلاَدِ فِرْعَوْنَ، فَأَقَامَ مَأْدُبَةً لِجَمِيعِ رِجَالِهِ، وَأَحْضَرَ مِنَ السِّجْنِ رَئِيسَ السُّقَاةِ وَرَئِيسَ الْخَبَّازِينَ أَمَامَهُمْ. وَرَدَّ رَئِيسَ السُّقَاةِ إِلى عَمَلِهِ، فَصَارَ يُقَدِّمُ الْكَأْسَ لِيَدِ فِرْعَوْنَ. أَمَّا رَئِيسُ الْخَبَّازِينَ فَقَدْ عَلَّقَهُ (عَلَى خَشَبَةٍ) مِثْلَمَا فَسَّرَ لَهُمَا يُوسُفُ حُلْمَيْهِمَا. وَلَكِنَّ رَئِيسَ السُّقَاةِ لَمْ يَذْكُرْ يُوسُفَ بَلْ نَسِيَهُ.

وَبَعْدَ انْقِضَاءِ سَنَتَيْنِ رَأَى فِرْعَوْنُ حُلْماً، وَإِذَا بِهِ وَاقِفٌ بِجُوَارِ نَهْرِ النِّيلِ وَإِذَا بِسَبْعِ بَقَرَاتٍ حِسَانِ الْمَنْظَرِ وَسَمِينَاتِ الأَبْدَانِ، صَاعِدَاتٍ مِنَ النَّهْرِ أَخَذَتْ تَرْعَى فِي الْمَرْجِ، ثُمَّ إِذَا بِسَبْعِ بَقَرَاتٍ أُخْرَى قَبِيحَاتِ الْمَنْظَرِ وَهَزِيلاَتٍ تَصْعَدُ وَرَاءَهَا مِنَ النَّهْرِ وَتَقِفُ إِلى

جُوَارِ الْبَقَرَاتِ الأُولَى عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ. وَالْتَهَمَتِ الْبَقَرَاتُ الْقَبِيحَاتُ الْبَقَرَاتِ السَّبْعَ الْحَسَنَاتِ الْمَنْظَرِ وَالسَّمِينَاتِ. وَأَفَاقَ فِرْعَوْنُ. ثُمَّ نَامَ، فَحَلُمَ ثَانِيَةً، وَإِذَا بِسَبْعِ سَنَابِلَ نَابِتَةٍ مِنْ سَاقٍ وَاحِدَةٍ زَاهِيَةٍ وَمُمْتَلِئَةٍ ثُمَّ رَأَى سَبْعَ سَنَابِلَ عَجْفَاءَ قَدْ لَفَحَتْهَا الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ نَابِتَةً وَرَاءَهَا، فَابْتَلَعَتِ السَّنَابِلُ الْعَجْفَاءُ السَّبْعَ السَّنَابِلَ الزَّاهِيَةَ الْمُمْتَلِئَةَ. وَأَفَاقَ فِرْعَوْنُ، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ حُلُمٌ. وَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ اسْتَوْلَى الانْزِعَاجُ عَلَى فِرْعَونَ فَأَرْسَلَ وَاسْتَدْعَى جَمِيعَ سَحَرَةِ مِصْرَ وَكُلَّ حُكَمَائِهَا، وَسَرَدَ عَلَيْهِمْ حُلْمَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُفَسِّرُهُ لَهُ.

عِنْدَئِذٍ قَالَ رَئِيسُ السُّقَاةِ لِفِرْعَوْنَ: «إِنِّي أَذْكُرُ الْيَوْمَ ذُنُوبِي. لَقَدْ سَخَطَ فِرْعَوْنُ عَلَى عَبْدَيْهِ، فَزَجَّنِي وَرَئِيسَ الْخَبَّازِينَ فِي مُعْتَقَلِ بَيْتِ رَئِيسِ الْحَرَسِ. فَحَلُمَ كُلٌّ مِنَّا حُلْماً فِي نَفْسِ اللَّيْلَةِ، وَكَانَ تَفْسِيرُ كُلِّ حُلْمٍ يَتَّفِقُ مَعَ أَحْوَالِ رَائِيهِ. وَكَانَ مَعَنَا هُنَاكَ غُلاَمٌ عِبْرَانِيٌّ، عَبْدٌ لِرَئِيسِ الْحَرَسِ، فَسَرَدْنَا عَلَيْهِ حُلْمَيْنَا فَفَسَّرَهُمَا لِكُلٍّ مِنَّا حَسَبَ تَعْبِيرِ حُلْمِهِ. وَقَدْ تَمَّ مَا فَسَّرَهُ لَنَا. فَرَدَّنِي فِرْعَوْنُ إِلى وَظِيفَتِي وَأَمَّا ذَاكَ فَعَلَّقَهُ (عَلَى خَشَبَةٍ»).

فَبَعَثَ فِرْعَوْنُ وَاسْتَدْعَى يُوسُفَ، فَأَسْرَعُوا وَأَتَوْا بِهِ مِنَ السِّجْنِ فَحَلَقَ وَاسْتَبْدَلَ ثِيَابَهُ وَمَثَلَ أَمَامَ فِرْعَوْنَ. فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ حُلْماً وَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يُفَسِّرُهُ، وَقَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ حَدِيثاً أَنَّكَ إِنْ سَمِعْتَ حُلْماً تَقْدِرُ أَنْ تُفَسِّرَهُ». فَأَجَابَ يُوسُفُ: «لاَ فَضْلَ لِي فِي ذَلِكَ، بَلْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الَّذِي يُعْطِي فِرْعَوْنَ الْجَوَابَ الصَّائِبَ».

فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «رَأَيْتُ نَفْسِي فِي الْحُلْمِ وَإِذَا بِي أَقِفُ عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ، وَإِذَا بِسَبْعِ بَقَرَاتٍ حِسَانِ الْمَنْظَرِ وَسَمِينَاتِ الأَبْدَانِ صَاعِدَاتٍ مِنَ النَّهْرِ تَرْعَى فِي الْمَرْجِ، ثُمَّ إِذَا بِسَبْعِ بَقَرَاتٍ أُخْرَى قَبِيحَاتِ الْمَنْظَرِ وَهَزِيلاَتٍ تَصْعَدُ وَرَاءَهَا مِنَ النَّهْرِ. لَمْ أَرَ فِي أَرْضِ مِصْرَ كُلِّهَا نَظِيرَهَا فِي الْقَبَاحَةِ. فَالْتَهَمَتِ الْبَقَرَاتُ الْهَزِيلاَتُ الْقَبِيحَاتُ السَّبْعَ الْبَقَرَاتِ الأُولَى السَّمِينَاتِ. وَمَعَ أَنَّهَا ابْتَلَعَتْهَا ظَلَّتْ عَجْفَاءَ وَكَأَنَّهَا لَمْ تَبْتَلِعْهَا وَبَقِيَ مَنْظَرُهَا قَبِيحاً كَمَا كَانَتْ. وَاسْتَيْقَظْتُ. ثُمَّ رَأَيْتُ فِي حُلْمِي وَإِذَا بِسَبْعِ سَنَابِلَ زَاهِيَةٍ وَمُمْتَلِئَةٍ نَابِتَةٍ مِنْ سَاقٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ إِذَا بِسَبْعِ سَنَابِلَ يَابِسَةٍ عَجْفَاءَ قَدْ لَفَحَتْهَا الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ نَابِتَةٍ وَرَاءَهَا، فَابْتَلَعَتِ السَّنَابِلُ الْعَجْفَاءُ السَّبْعَ الزَّاهِيَةَ. وَلَقَدْ سَرَدْتُ عَلَى السَّحَرَةِ هَذَيْنِ الْحُلْمَيْنِ، فَلَمْ أَجِدْ بَيْنَهُمْ مَنْ يُفَسِّرُهُمَا لِي».

فَقَالَ يُوسُفُ لِفِرْعَوْنَ: «حُلْمَا فِرْعَوْنَ هُمَا حُلْمٌ وَاحِدٌ. وَقَدْ أَطْلَعَ اللّهُ فِرْعَوْنَ عَمَّا هُوَ فَاعِلٌ. السَّبْعُ الْبَقَرَاتُ الْحِسَانُ هِيَ سَبْعُ سَنَوَاتٍ. وَالسَّبْعُ السَّنَابِلُ الزَّاهِيَاتُ هِيَ أَيْضاً سَبْعُ سَنَوَاتٍ. فَالْحُلْمَانِ هُمَا حُلْمٌ وَاحِدٌ. وَالسَّبْعُ الْبَقَرَاتُ الْقَبِيحَاتُ الْهَزِيلاَتُ الَّتِي صَعِدَتْ وَرَاءَهَا هِيَ سَبْعُ سَنَوَاتٍ. وَالسَّبْعُ السَّنَابِلُ الْفَارِغَاتُ الْمَلْفُوحَاتُ بِالرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ سَتَكُونُ سَبْعَ سَنَوَاتِ جُوعٍ وَالأَمْرُ هُوَ كَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ فِرْعَوْنَ: فَقَدْ أَطْلَعَ اللّهُ فِرْعَوْنَ عَمَّا هُوَ صَانِعٌ هُوَذَا سَبْعُ سِنِينَ رَخَاءٍ عَظِيمٍ قَادِمَةٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ، تَعْقُبُهَا سَبْعُ

سَنَوَاتِ جُوعٍ، حَتَّى يَنْسَى النَّاسُ كُلَّ الرَّخَاءِ الَّذِي عَمَّ أَرْضَ مِصْرَ، وَيُتْلِفُ الْجُوعُ الأَرْضَ، وَيَخْتَفِي كُلُّ أَثَرٍ لِلرَّخَاءِ فِي الْبِلاَدِ مِنْ جَرَّاءِ الْمَجَاعَةِ الَّتِي تَعْقُبُهُ، لأَنَّهَا سَتَكُونُ قَاسِيَةً جِدّاً أَمَّا تَكْرَارُ الْحُلْمِ عَلَى فِرْعَوْنَ مَرَّتَيْنِ فَلأَنَّ الأَمْرَ قَدْ حَتَمَهُ اللّهُ ، وَلاَبُدَّ أَنْ يُجْرِيَهُ سَرِيعاً.

وَالآنَ لِيَبْحَثْ فِرْعَوْنُ عَنْ رَجُلٍ بَصِيرٍ حَكِيمٍ يُوَلِّيهِ عَلَى الْبِلاَدِ، وَلْيُقِمْ فِرْعَوْنُ نُظَّاراً عَلَى أَرْضِ مِصْرَ يَجْبُونَ خُمْسَ غَلَّتِهَا فِي سَنَوَاتِ الرَّخَاءِ السَّبْعِ. وَلِيَجْمَعُوا كُلَّ طَعَامِ سَنَوَاتِ الْخَيْرِ الْمُقْبِلَةِ، وَيَخْزِنُوا الْقَمْحَ بِتَفْوِيضٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَيَحْفَظُوهُ فِي الْمُدُنِ لِيَكُونَ طَعَاماً ، وَمَؤُونَةً لأَهْلِ الأَرْضِ فِي سَنَوَاتِ الْمَجَاعَةِ السَّبْعِ الَّتِي سَتَسُودُ أَرْضَ مِصْرَ فَلاَ يَهْلِكُونَ جُوعاً».

فَاسْتَحْسَنَ فِرْعَوْنُ وَرِجَالُهُ جَمِيعاً هَذَا الْكَلاَمَ، وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِعَبِيدِهِ: «هَلْ نَجِدُ نَظِيرَ هَذَا رَجُلاً فِيهِ رُوحُ اللّهِ؟» ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «مِنْ حَيْثُ أَنَّ اللّهَ قَدْ أَطْلَعَكَ عَلَى كُلِّ هَذَا ، فَلَيْسَ هُنَاكَ بَصِيرٌ وَحَكِيمٌ نَظِيرَكَ. لِذَلِكَ أُوَلِّيكَ عَلَى بَيْتِي، وَيُذْعِنُ شَعْبِي لِكُلِّ أَمْرٍ تُصْدِرُهُ، وَلَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ مِنْكَ سِوَايَ أَنَا صَاحِبِ الْعَرْشِ». ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «هَا أَنَا قَدْ وَلَّيْتُكَ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ». وَنَزَعَ فِرْعَوْنُ خَاتَمَهُ مِنْ يَدِهِ وَوَضَعَهُ فِي يَدِ يُوسُفَ، وَأَلْبَسَهُ ثِيَابَ كَتَّانٍ فَاخِرَةً وَطَوَّقَ عُنُقَهُ بِطَوْقٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَأَرْكَبَهُ فِي مَرْكَبَتِهِ الثَّانِيَةِ، وَنَادُوا: «ارْكَعُوا أَمَامَهُ». وَأَقَامَهُ وَالِياً عَلَى كُلِّ

أَرْضِ مِصْرَ. وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «أَنَا فِرْعَوْنُ، وَلاَ أَحَدَ يُمْكِنُ أَنْ يُحَرِّكَ سَاكِناً فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ غَيْرِ إِذْنِكَ».

وَدَعَا فِرْعَوْنُ اسْمَ يُوسُفَ صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ (وَمَعْنَاهُ بِالْمِصْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ أَوْ حَافِظُ الْحَيَاةِ). وَزَوَّجَهُ مِنْ أَسْنَاتَ بِنْتِ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ، فَذَاعَ اسْمُ يُوسُفَ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ مِصْرَ. وَكَانَ يُوسُفُ فِي الثَّلاَثِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا مَثَلَ أَمَامَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ. وَبَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْ حَضْرَةِ فِرْعَوْنَ شَرَعَ يَجُولُ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ الْبِلاَدِ.

وَفِي سَنَوَاتِ الْخِصْبِ السَّبْعِ غَلَّتِ الأَرْضُ بِوَفْرَةٍ، فَجَمَعَ كُلَّ طَعَامِ السَّبْعِ سَنَوَاتٍ الْمُتَوَافِرِ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَخَزَنَهُ فِي الْمُدُنِ، فَاخْتَزَنَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ غَلاَتِ مَا حَوْلَهَا مِنْ حُقُولٍ. وَادَّخَرَ يُوسُفُ كَمِّيَّاتٍ هَائِلَةً مِنَ الْقَمْحِ حَتَّى كَفَّ عَنْ إِحْصَائِهَا لِوَفْرَتِهَا الْعَظِيمَةِ.

ثُمَّ انْتَهَتْ سَبْعُ سَنَوَاتِ الرَّخَاءِ الَّذِي عَمَّ أَرْضَ مِصْرَ. وَحَلَّتْ سَبْعُ سَنَوَاتِ الْمَجَاعَةِ كَمَا أَنْبَأَ يُوسُفُ. فَحَدَثَتْ مَجَاعَةٌ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ. أَمَّا أَرْضُ مِصْرَ فَقَدْ تَوَافَرَ فِيهَا الْخُبْزُ. وَعِنْدَمَا عَمَّتِ الْمَجَاعَةُ جَمِيعَ أَرْضِ مِصْرَ صَرَخَ الشَّعْبُ إِلى فِرْعَوْنَ طَالِبِينَ الْخُبْزَ، فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِكُلِّ الْمِصْرِيِّينَ: «اذْهَبُوا إِلى يُوسُفَ وَافْعَلُوا كَمَا يَقُولُ لَكُمْ». وَطَغَتِ الْمَجَاعَةُ عَلَى كُلِّ أَرْجَاءِ الْبِلاَدِ فَفَتَحَ يُوسُفُ الْمَخَازِنَ وَبَاعَ الطَّعَامَ لِلْمِصْرِيِّينَ. وَلَكِنَّ وَطْأَةَ الْجُوعِ

اشْتَدَّتْ فِي أَرْضِ مِصْرَ. وَأَقْبَلَ أَهْلُ الْبُلْدَانِ الأُخْرَى إلى مِصْرَ، إلى يُوسُفَ، لِيَبْتَاعُوا قَمْحاً لأَنَّ الْمَجَاعَةَ كَانَتْ شَدِيدَةً فِي كُلِّ الأَرْضِ.

وَعِنْدَمَا رَأَى يَعْقُوبُ أَنَّ الْقَمْحَ مُتَوَافِرٌ فِي مِصْرَ، قَالَ لأَبْنَائِهِ: «مَا بَالُكُمْ تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إلى بَعْضٍ؟ لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ الْقَمْحَ مُتَوَافِرٌ فِي مِصْرَ. فَانْحَدِرُوا إلى هُنَاكَ وَاشْتَرُوا لَنَا قَمْحاً لِنَبْقَى عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ وَلاَ نَمُوتَ». فَذَهَبَ عَشَرَةٌ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ لِيَشْتَرُوا قَمْحاً مِنْ مِصْرَ، أَمَّا بَنْيَامِينُ أَخُو يُوسُفَ فَلَمْ يُرْسِلْهُ يَعْقُوبُ مَعَ إِخْوَتِهِ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ.

فَقَدِمَ أَبْنَاءُ إِسْرَائِيلَ إلى مِصْرَ مَعَ جُمْلَةِ الْقَادِمِينَ لِيَشْتَرُوا قَمْحاً، لأَنَّ الْمَجَاعَةَ كَانَتْ قَدْ أَصَابَتْ أَرْضَ كَنْعَانَ أَيْضاً. وَكَانَ يُوسُفُ هُوَ الْمُتَسَلِّطُ عَلَى مِصْرَ، وَالْقَائِمُ عَلَى بَيْعِ الْقَمْحِ لأَهْلِهَا جَمِيعاً. فَأَقْبَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ وَسَجَدُوا لَهُ بِوُجُوهِهِمْ إلى الأَرْضِ. فَلَمَّا رَآهُمْ عَرَفَهُمْ، وَلَكِنَّهُ تَنَكَّرَ لَهُمْ وَخَاطَبَهُمْ بِجَفَاءٍ وَسَأَلَهُمْ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟» فَأَجَابُوهُ: «مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ لِنَشْتَرِيَ طَعَاماً». وَمَعَ أَنَّ يُوسُفَ عَرَفَهُمْ، إِلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوهُ.

ثُمَّ تَذَكَّرَ يُوسُفُ أَحْلاَمَهُ الَّتِي حَلُمَهَا بِشَأْنِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ جَوَاسِيسُ، وَقَدْ جِئْتُمْ لاكْتِشَافِ ثُغُورِنَا غَيْرِ الْمَحْمِيَّةِ» فَقَالُوا لَهُ: «لاَ يَاسَيِّدِي إِنَّمَا قَدِمَ عَبِيدُكَ لِشِرَاءِ الطَّعَامِ، فَنَحْنُ كُلُّنَا أَبْنَاءُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، نَحْنُ أُمَنَاءُ وَلَيْسَ عَبِيدُكَ جَوَاسِيسَ». وَلَكِنَّهُ قَالَ لَهُمْ:

«لاَ! أَنْتُمْ قَدْ جِئْتُمْ لاكْتِشَافِ ثُغُورِنَا غَيْرِ الْمَحْمِيَّةِ» فَأَجَابُوهُ: «إِنَّ عَبِيدَكَ اثْنَا عَشَرَ أَخاً، أَبْنَاءُ رَجُلٍ وَاحِدٍ مُقِيمٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. وَقَدْ بَقِيَ أَخُونَا الصَّغِيرُ عِنْدَ أَبِينَا الْيَوْمَ، وَالآخَرُ مَفْقُودٌ». فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ الأَمْرَ كَمَا قُلْتُ لَكُمْ! أَنْتُمْ جَوَاسِيسُ. وَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ إِنَّكُمْ لَنْ تُغَادِرُوا هُنَا حَتَّى تَأْتُوا بِأَخِيكُمُ الأَصْغَرِ، وَبِذَلِكَ تُثْبِتُونَ صِدْقَكُمْ. أَوْفِدُوا وَاحِداً مِنْكُمْ لِيَأْتِيَ بِأَخِيكُمْ، أَمَّا بَقِيَّتُكُمْ فَتَمْكُثُونَ فِي السِّجْنِ حَتَّى تَثْبُتَ صِحَّةُ كَلاَمِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَإِلاَّ فَوَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ أَنْتُمْ لَسْتُمْ سِوَى جَوَاسِيسَ». وَطَرَحَهُمْ فِي السِّجْنِ مَعاً ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ.

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ قَالَ لَهُمْ: «افْعَلُوا مَا أَطْلُبُهُ مِنْكُمْ فَتَحْيَوْا، فَأَنَا رَجُلٌ أَتَّقِي اللّه. إِنْ كُنْتُمْ حَقّاً صَادِقِينَ فَلْيَبْقَ وَاحِدٌ مِنْكُمْ رَهِينَةً، بَيْنَمَا يَأْخُذُ بَقِيَّتُكُمُ الْقَمْحَ وَيَنْطَلِقُونَ إِلى بُيُوتِكُمُ الْجَائِعَةِ. وَلَكِنْ إِيتُونِي بِأَخِيكُمُ الأَصْغَرِ فَأَتَحَقَّقَ بِذَلِكَ مِنْ صِدْقِكُمْ وَلاَ تَمُوتُوا». فَوَافَقُوا عَلَى ذَلِكَ. وَقَالُوا: «حَقّاً إِنَّنَا أَدْنَبْنَا فِي حَقِّ أَخِينَا. لَقَدْ رَأَيْنَا ضِيقَةَ نَفْسِهِ عِنْدَمَا اسْتَرْحَمَنَا فَلَمْ نَسْمَعْ لَهُ. لِذَلِكَ أَصَابَتْنَا هَذِهِ الضِّيقَةُ» فَقَالَ رَأُوبَيْنُ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لاَ تَجْنُوا عَلَيْهِ فَلَمْ تَسْمَعُوا؟ وَالآنَ هَا نَحْنُ مُطَالَبُونَ بِدَمِهِ». وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ يُوسُفَ كَانَ فَاهِماً حَدِيثَهُمْ، لأَنَّهُ كَانَ يُخَاطِبُهُمْ عَنْ طَرِيقِ مُتَرْجِمٍ. فَتَحَوَّلَ عَنْهُمْ وَبَكَى، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ وَخَاطَبَهُمْ، وَأَخَذَ شِمْعُونَ وَقَيَّدَهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ.

ثُمَّ أَمَرَ يُوسُفُ مُوَظَّفِيهِ أَنْ يَمْلَأُوا أَكْيَاسَهُمْ بِالْقَمْحِ، وَأَنْ يَرُدُّوا فِضَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلى عِدْلِهِ، وَأَنْ يُعْطُوهُمْ زَاداً لِلطَّرِيقِ. فَفَعَلُوا ذَلِكَ. فَحَمَّلُوا حَمِيرَهُمُ الْقَمْحَ وَانْطَلَقُوا مِنْ هُنَاكَ. وَحِينَ فَتَحَ أَحَدُهُمْ عِدْلَهُ فِي الْخَانِ لِيَعْلِفَ حِمَارَهُ، لَمَحَ فِضَّتَهُ لأَنَّهَا كَانَتْ مَوْضُوعَةً فِي فَمِ الْعِدْلِ. فَقَالَ لإِخْوَتِهِ: «لَقَدْ رُدَّتْ إِلَيَّ فِضَّتِي، انْظُرُوا هَا هِيَ فِي عِدْلِي». فَغَاصَتْ قُلُوبُهُمْ، وَتَطَلَّعَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ مُرْتَعِدِينَ وَقَالُوا: «مَا هَذَا الَّذِي فَعَلَهُ اللهُ بِنَا؟».

وَعِنْدَمَا قَدِمُوا عَلَى أَبِيهِمْ يَعْقُوبَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ قَصُّوا عَلَيْهِ مَا حَلَّ بِهِمْ، وَقَالُوا: «الرَّجُلُ الْمُتَسَلِّطُ عَلَى مِصْرَ خَاطَبَنَا بِجَفَاءٍ، وَظَنَّ أَنَّنَا جَوَاسِيسُ عَلَى الأَرْضِ، فَقُلْنَا لَهُ: نَحْنُ أُمَنَاءُ وَلَسْنَا جَوَاسِيسَ. نَحْنُ اثْنَا عَشَرَ أَخاً أَبْنَاءُ أَبِينَا. أَحَدُنَا مَفْقُودٌ، وَالأَصْغَرُ بَقِيَ الْيَوْمَ مَعَ أَبِينَا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. فَقَالَ لَنَا الرَّجُلُ سَيِّدُ الْبِلاَدِ: لِكَيْ أَتَحَقَّقَ أَنَّكُمْ أُمَنَاءُ. دَعُوا أَخاً وَاحِداً مِنْكُمْ عِنْدِي رَهِينَةً وَخُذُوا طَعَاماً لِبُيُوتِكُمُ الْجَائِعَةِ وَامْضُوا، ثُمَّ أَحْضِرُوا لِي أَخَاكُمُ الأَصْغَرَ، وَبَذَلِكَ أَعْرِفُ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ جَوَاسِيسَ بَلْ قَوْماً أُمَنَاءَ، فَأُطْلِقَ لَكُمْ أَخَاكُمْ وَتَتَّجِرُونَ فِي الأَرْضِ». وَإِذْ شَرَعُوا فِي تَفْرِيغِ عِدَالِهِمْ وَجَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِضَّتَهُ فِي عِدْلِهِ، وَمَا إِنْ رَأَوْا هُمْ وَأَبُوهُمْ ذَلِكَ حَتَّى اسْتَبَدَّ بِهِمِ الْخَوْفُ.

فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: «لَقَدْ أَثْكَلْتُمُونِي أَوْلاَدِي. يُوسُفُ مَفْقُودٌ، وَشِمْعُونُ مَفْقُودٌ، وَهَا أَنْتُمْ تَأْخُذُونَ بَنْيَامِينَ بَعِيداً! كُلُّ هَذِهِ الدَّوَاهِي حَلَّتْ بِي!» فَقَالَ لَهُ رَأُوبَيْنُ: «اقْتُلِ ابْنَيَّ إِنْ لَمْ أَرْجِعْ بِهِ

إِلَيْكَ. اعْهَدْ بِهِ إِلَيَّ وَأَنَا أَرُدُّهُ إِلَيْكَ». فَقَالَ: «لَنْ يَذْهَبَ ابْنِي مَعَكُمْ، فَقَدْ مَاتَ أَخُوهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ بَاقٍ. فَإِنْ نَالَهُ مَكْرُوهٌ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي تَذْهَبُونَ فِيهَا، فَإِنَّكُمْ تُنْزِلُونَ شَيْبَتِي بِحُزْنٍ إِلى قَبْرِي».

وَتَفَاقَمَتِ الْمَجَاعَةُ فِي الأَرْضِ. وَلَمَّا اسْتَهْلَكُوا الْقَمْحَ الَّذِي أَحْضَرُوهُ مِنْ مِصْرَ، قَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: «ارْجِعُوا وَاشْتَرُوا لَنَا قَلِيلاً مِنَ الطَّعَامِ». فَقَالَ يَهُوذَا: «لَقَدْ حَذَّرَنَا الرَّجُلُ أَشَدَّ تَحْذِيرٍ وَقَالَ: لَنْ تَرَوْا وَجْهِي مَا لَمْ يَكُنْ أَخُوكُمْ مَعَكُمْ. فَإِنْ كُنْتَ تُرْسِلُ أَخَانَا مَعَنَا، نَمْضِي وَنَشْتَرِي لَكَ طَعَاماً وَإِلاَّ فَلَنْ نَذْهَبَ لأَنَّ الرَّجُلَ قَالَ لَنَا: لاَ تَرَوْا وَجْهِي مَا لَمْ يَكُنْ أَخُوكُمْ مَعَكُمْ».

فَقَالَ إِسْرَائِيلُ: «لِمَاذَا أَسَأْتُمْ إِلَيَّ فَأَخْبَرْتُمُ الرَّجُلَ أَنَّ لَكُمْ أَخاً أَيْضاً؟» فَأَجَابُوا: «إِنَّ الرَّجُلَ قَدْ دَقَّقَ فِي اسْتِجْوَابِنَا عَنْ أَنْفُسِنَا وَعَنْ عَشِيرَتِنَا سَائِلاً: هَلْ أَبُوكُمْ حَيٌّ بَعْدُ؟ هَلْ لَكُمْ أَخٌ؟ فَأَجَبْنَاهُ حَسَبَ أَسْئِلَتِهِ. فَمِنْ أَيْنَ لَنَا أَنْ نَعْرِفَ أَنَّهُ سَيَقُولُ: أَحْضِرُوا أَخَاكُمْ إِلى هُنَا؟».

وَقَالَ يَهُوذَا لإِسْرَائِيلَ أَبِيهِ: «أَرْسِلِ الْغُلاَمَ مَعِي فَنَقُومَ وَنَذْهَبَ فَنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ نَحْنُ وَأَنْتَ وَأَوْلاَدُنَا جَمِيعاً. وَأَنَا ضَامِنٌ لَهُ. مِنْ يَدِي تَطْلُبُهُ. فَإِنْ لَمْ أَرُدَّهُ إِلَيْكَ وَأُوقِفْهُ أَمَامَكَ، أَكُنْ مُذْنِباً إِلَيْكَ كُلَّ الأَيَّامِ. فَلَوْ لَمْ نَتَوَانَ فِي السَّفَرِ لَكُنَّا قَدْ رَجَعْنَا مَرَّتَيْنِ».

فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: «إِنْ كَانَ لاَبُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَافْعَلُوا. وَخُذُوا مَعَكُمْ هَدِيَّةً لِلرَّجُلِ: وَامْلأُوا أَوْعِيَتَكُمْ مِنْ خَيْرِ جَنَى الأَرْضِ وَقَلِيلاً مِنَ الْبَلَسَانِ وَالْعَسَلِ وَالْكَثِيرَاءِ وَاللاَّذِنِ وَالْفُسْتُقِ وَاللَّوْزِ. وَخُذُوا مَعَكُمْ

فِضَّةً أُخْرَى، وَالْفِضَّةَ الْمَرْدُودَةَ فِي أَفْوَاهِ عِدَالِكُمْ وَأَعِيدُوهَا. فَلَعَلَّ فِي الأَمْرِ سَهْواً. وَاسْتَصْحِبُوا مَعَكُمْ أَيْضاً أَخَاكُمْ وَقُومُوا ارْجِعُوا إِلى الرَّجُلِ. وَلْيُنْعِمْ عَلَيْكُمُ اللّهُ الْقَدِيرُ بِالرَّحْمَةِ لَدَى الرَّجُلِ، فَيُطْلِقَ لَكُمْ أَخَاكُمُ الآخَرَ وَبَنْيَامِينَ أَيْضاً. وَأَنَا إِنْ ثَكِلْتُهُمَا، أَكُونُ قَدْ ثَكِلْتُهُمَا».

فَأَخَذَ الرِّجَالُ تِلْكَ الْهَدِيَّةَ، وَضِعْفَ الْفِضَّةِ، وَبَنْيَامِينَ، وَسَافَرُوا إِلى مِصْرَ وَمَثَلُوا أَمَامَ يُوسُفَ. وَعِنْدَمَا شَاهَدَ يُوسُفُ بَنْيَامِينَ مَعَهُمْ قَالَ لِمُدَبِّرِ بَيْتِهِ: «أَدْخِلِ الرِّجَالَ إِلى الْبَيْتِ وَاذْبَحْ ذَبِيحَةً وَهَيِّئْهَا، لأَنَّ هَؤُلاَءِ الرِّجَالَ سَيَتَنَاوَلُونَ مَعِي الطَّعَامَ فِي سَاعَةِ الْغَدَاءِ». فَفَعَلَ الرَّجُلُ كَمَا أَمَرَ يُوسُفُ، وَأَدْخَلَ الرِّجَالَ إِلى بَيْتِ يُوسُفَ.

وَلَمَّا أُدْخِلُوا إِلى بَيْتِ يُوسُفَ اعْتَرَاهُمُ الْخَوْفُ وَقَالُوا: «لَقَدْ جِيءَ بِنَا إِلى هُنَا لِيَهْجُمَ عَلَيْنَا وَيَقَعَ بِنَا وَيَسْتَعْبِدَنَا وَيَسْتَوْلِيَ عَلَى حَمِيرِنَا، بِسَبَبِ الْفِضَّةِ الأُولَى الْمَرْدُودَةِ فِي عِدَالِنَا». فَتَقَدَّمُوا إِلى مُدَبِّرِ بَيْتِ يُوسُفَ وَقَالُوا لَهُ عِنْدَ مَدْخَلِ الْبَابِ: «اسْتَمِعْ يَاسَيِّدِي، لَقَدْ قَدِمْنَا إِلى هُنَا فِي الْمَرَّةِ الأُولَى لِنَشْتَرِيَ طَعَاماً، وَلَكِنَّنَا حِينَ نَزَلْنَا فِي الْخَانِ وَفَتَحْنَا عِدَالَنَا عَثَرَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا عَلَى فِضَّتِهِ بِكَامِلِ وَزْنِهَا فِي فَمِ عِدْلِهِ، فَأَحْضَرْنَاهَا مَعَنَا لِنَرُدَّهَا. وَجِئْنَا مَعَنَا بِفِضَّةٍ أُخْرَى لِنَشْتَرِيَ طَعَاماً. وَلَسْنَا نَدْرِي مَنْ وَضَعَ فِضَّتَنَا فِي عِدَالِنَا».

فَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكُمْ، لاَ تَخَافُوا، فَإِنَّ إِلَهَكُمْ وَإِلَهَ أَبِيكُمْ قَدْ وَهَبَكُمْ كَنْزاً فِي عِدَالِكُمْ، أَمَّا فِضَّتُكُمْ فَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيَّ». ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ شِمْعُونَ. وَأَدْخَلَ الرَّجُلُ الْقَوْمَ إِلى بَيْتِ يُوسُفَ وَقَدَّمَ لَهُمْ

مَاءً لِيَغْسِلُوا أَرْجُلَهُمْ، وَعَلِيقاً لِحَمِيرِهِمْ. وَأَعَدُّوا الْهَدِيَّةَ فِي انْتِظَارِ مَجِيءِ يُوسُفَ عِنْدَ الظُّهْرِ، لأَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَّهُمْ سَيَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ هُنَاكَ.

فَلَمَّا أَقْبَلَ يُوسُفُ إِلى الْبَيْتِ أَحْضَرُوا إِلَيْهِ الْهَدِيَّةَ الَّتِي حَمَلُوهَا مَعَهُمْ إِلى الْبَيْتِ، وَانْحَنَوْا أَمَامَهُ إِلى الأَرْضِ. فَسَأَلَهُمْ عَنْ أَحْوَالِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ أَبُوكُمُ الشَّيْخُ الَّذِي أَخْبَرْتُمْ عَنْهُ بِخَيْرٍ؟ أَمَازَالَ حَيّاً؟» فَأَجَابُوا: «عَبْدُكَ أَبُونَا بِخَيْرٍ، وَهُوَ مَازَالَ حَيّاً». وَانْحَنَوْا وَسَجَدُوا.

وَتَلَفَّتَ فَرَأَى أَخَاهُ الشَّقِيقَ بَنْيَامِينَ، فَقَالَ: «أَهَذَا أَخُوكُمُ الأَصْغَرُ الَّذِي أَخْبَرْتُمُونِي عَنْهُ؟» ثُمَّ قَالَ: «لِيُنْعِمِ اللّٰهُ عَلَيْكَ يَاابْنِي». وَانْدَفَعَ يُوسُفُ إِلى مُخْدَعِهِ وَبَكَى هُنَاكَ لأَنَّ عَوَاطِفَهُ حَنَّتْ إِلى أَخِيهِ.

ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَخَرَجَ وَتَجَلَّدَ، وَقَالَ: «قَدِّمُوا الطَّعَامَ». فَقَدَّمُوا لَهُ وَحْدَهُ، وَلَهُمْ وَحْدَهُمْ، وَلِلْمِصْرِيِّينَ الآكِلِينَ مَعَهُ وَحْدَهُمْ، إِذْ أَنَّهُ مَحْظُورٌ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ أَنْ يَأْكُلُوا مَعَ الْعِبْرَانِيِّينَ، لأَنَّ ذَلِكَ رِجْسٌ عِنْدَهُمْ. فَجَلَسُوا فِي مَحْضَرِهِ، كُلٌّ وَفْقاً لِعُمْرِهِ، مِنَ الْبِكْرِ حَتَّى الصَّغِيرِ. فَنَظَرُوا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ مَبْهُوتِينَ. وَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ حِصَصاً مِنْ مَائِدَتِهِ، فَكَانَتْ حِصَّةُ بَنْيَامِينَ خَمْسَةَ أَضْعَافِ حِصَصِ إِخْوَتِهِ. وَاحْتَفُوا وَشَرِبُوا مَعَهُ.

وَأَمَرَ يُوسُفُ مُدَبِّرَ بَيْتِهِ قَائِلاً: «امْلأْ عِدَالَ الرِّجَالِ بِالطَّعَامِ بِقَدْرِ وُسْعِهَا، وَرُدَّ فِضَّةَ كُلِّ رَجُلٍ إِلى فَمِ عِدْلِهِ. وَضَعْ فِي فَمِ عِدْلِ الصَّغِيرِ كَأْسِيَ الْفِضِّيَّةَ وَثَمَنَ قَمْحِهِ». فَنَفَّذَ أَمْرَ يُوسُفَ. وَمَا إِنْ

أَشْرَقَ الصَّبَاحُ حَتَّى انْطَلَقَ الرِّجَالُ، هُمْ وَحَمِيرُهُمْ. وَمَا كَادُوا يَبْتَعِدُونَ عَنِ الْمَدِينَةِ قَلِيلاً حَتَّى قَالَ يُوسُفُ لِمُدَبِّرِ بَيْتِهِ: «اسْعَ خَلْفَ الرِّجَالِ، وَمَا إِنْ تُدْرِكُهُمْ حَتَّى تَقُولَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُكَافِئُونَ الْخَيْرَ بِالشَّرِّ؟ أَلَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ الكَأْسُ الَّتِي يَشْرَبُ فِيهَا سَيِّدِي وَيَتَفَاءَلُ بِالْغَيْبِ؟ لَشَدَّ مَا أَسَأْتُمْ فِي مَا صَنَعْتُمْ».

فَلَمَّا أَدْرَكَهُمْ خَاطَبَهُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ، فَأَجَابُوهُ: «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ سَيِّدِي بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ؟ حَاشَا لِعَبِيدِكَ أَنْ يَرْتَكِبُوا هَذَا الأَمْرَ. هُوَذَا الْفِضَّةُ الَّتِي عَثَرْنَا عَلَيْهَا فِي أَفْوَاهِ عِدَالِنَا رَدَدْنَاهَا لَكَ مَعَنَا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ، فَكَيْفَ نَسْرِقُ فِضَّةً أَوْ ذَهَباً مِنْ بَيْتِ سَيِّدِكَ؟ مَنْ تَجِدْ مَعَهُ الْكَأْسَ مِنْ عَبِيدِكَ يَمُتْ، وَنَكُنْ نَحْنُ أَيْضاً عَبِيداً لِسَيِّدِي». فَقَالَ: «فَلْيَكُنْ كَمَا تَقُولُونَ. فَالَّذِي أَجِدُهَا مَعَهُ يُصْبِحُ عَبْداً لِي، وَالْبَاقُونَ يَكُونُونَ أَبْرِيَاءَ». فَبَادَرَ كُلٌّ مِنْهُمْ إِلى عِدْلِهِ وَحَطَّهُ عَلَى الأَرْضِ وَفَتَحَهُ، فَفَتَّشَ مُبْتَدِئاً مِنْ عِدْلِ الْكَبِيرِ حَتَّى انْتَهَى إِلى عِدْلِ الصَّغِيرِ، فَعَثَرَ عَلَى الْكَأْسِ فِي عِدْلِ بَنْيَامِينَ. فَمَزَّقُوا ثِيَابَهُمْ وَحَمَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ عِدْلَهُ عَلَى حِمَارِهِ وَرَجَعُوا إِلى الْمَدِينَةِ.

وَدَخَلَ يَهُوذَا وَإِخْوَتُهُ إِلى بَيْتِ يُوسُفَ إِذْ كَانَ مَا بَرِحَ هُنَاكَ، فَارْتَمَوا أَمَامَهُ إِلى الأَرْضِ. فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: «أَيُّ جِنَايَةٍ اقْتَرَفْتُمْ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ رَجُلاً مِثْلِي يَسْتَخْدِمُ كَأْسَهُ فِي مَعْرِفَةِ الْغَيْبِ؟» فَقَالَ يَهُوذَا: «مَاذَا نَقُولُ لِسَيِّدِي، وَبِمَاذَا نُخَاطِبُهُ، وَكَيْفَ نُبْرِيءُ أَنْفُسَنَا؟ إِنَّ اللّهَ قَدْ فَضَحَ إِثْمَ عَبِيدِكَ. فَنَحْنُ وَمَنْ عُثِرَ مَعَهُ عَلَى

الْكَأْسِ عَبِيدٌ لِسَيِّدِي». فَقَالَ: «حَاشَا لِي أَنْ أَفْعَلَ هَذَا؛ إِنَّمَا الرَّجُلُ الَّذِي عُثِرَ مَعَهُ عَلَى الْكَأْسِ هُوَ يَكُونُ لِي عَبْداً، أَمَّا أَنْتُمْ فَامْضُوا إِلى أَبِيكُمْ بِأَمَانٍ».

فَتَقَدَّمَ مِنْهُ يَهُوذَا وَقَالَ: «يَاسَيِّدِي، دَعْ عَبْدَكَ يَنْطِقُ بِكَلِمَةٍ فِي مَسْمَعِ سَيِّدِي، وَلاَ يَحْتَدِمْ غَضَبُكَ عَلَى عَبْدِكَ، لأَنَّ سُلْطَتَكَ مُمَاثِلَةٌ لِسُلْطَةِ فِرْعَوْنَ. لَقَدْ سَأَلَ سَيِّدِي عَبِيدَهُ: أَلَكُمْ أَبٌ أَوْ أَخٌ؟ فَأَجَبْنَا سَيِّدِي: لَنَا أَبٌ شَيْخٌ، وَابْنُ شَيْخُوخَةٍ صَغِيرٌ مَاتَ أَخُوهُ الشَّقِيقُ وَبَقِيَ هُوَ وَحْدَهُ مِنْ أُمِّهِ، وَأَبُوهُ يُحِبُّهُ. فَقُلْتَ لِعَبِيدِكَ: أَحْضِرُوهُ إِلَيَّ لأَرَاهُ بِعَيْنَيَّ. فَقُلْنَا لِسَيِّدِي: لاَ يَقْدِرُ الْغُلاَمُ أَنْ يَتْرُكَ أَبَاهُ لِئَلاَّ يَمُوتَ أَبُوهُ إِذَا فَارَقَهُ. فَقُلْتَ لِعَبِيدِكَ: مَا لَمْ تُحْضِرُوا أَخَاكُمْ إِلَيَّ لاَ تَرَوْنَ وَجْهِي بَعْدُ. فَعِنْدَمَا قَدِمْنَا عَلَى عَبْدِكَ أَبِي، أَخْبَرْنَاهُ بِحَدِيثِ سَيِّدِي. فَقَالَ أَبُونَا: ارْجِعُوا وَاشْتَرُوا لَنَا بَعْضَ الطَّعَامِ. فَأَجَبْنَا: لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلى هُنَاكَ مَا لَمْ نَأْخُذْ أَخَانَا مَعَنَا، لأَنَّنَا لاَ نَقْدِرُ أَنْ نُقَابِلَ الرَّجُلَ مَا لَمْ يَكُنْ أَخُونَا الصَّغِيرُ مَعَنَا. فَقَالَ لَنَا عَبْدُكَ أَبُونَا: أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ زَوْجَتِي قَدْ أَنْجَبَتْ لِيَ ابْنَيْنِ، فَقَدْتُ أَحَدَهُمَا وَقُلْتُ: إِنَّمَا هُوَ قَدِ افْتُرِسَ افْتِرَاساً. وَلَمْ أَرَهُ إِلى الآنَ. فَإِنْ أَخَذْتُمْ هَذَا مِنِّي، وَلَحِقَهُ مَكْرُوهٌ، تُنْزِلُونَنِي إِلى الْقَبْرِ بِشَيْبَةٍ شَقِيَّةٍ. فَإِذَا عُدْتُ إِلى عَبْدِكَ أَبِي الَّذِي تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِنَفْسِ الْغُلاَمِ، وَلَمْ يَكُنِ الْغُلاَمُ مَعَنَا، وَرَأَى أَنَّ الْغُلاَمَ مَفْقُودٌ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ، وَيُوَارِي عَبِيدُكَ شَيْبَةَ عَبْدِكَ أَبِيهِمْ بِشَقَاءٍ فِي الْقَبْرِ. لأَنَّ عَبْدَكَ ضَمِنَ الْغُلاَمَ لأَبِي، وَقُلْتُ: إِنْ لَمْ أُرْجِعْهُ إِلَيْكَ أَكُنْ مُذْنِباً إِلَيْكَ مَدَى الْحَيَاةِ. فَأَرْجُو مِنْ

سَيِّدِي أَنْ يَتَّخِذَنِي عَبْداً لَهُ بَدَلاً مِنْ الْغُلاَمِ، وَدَعِ الْغُلاَمَ يَمْضِي مَعَ بَقِيَّةِ إِخْوَتِهِ، إِذْ كَيْفَ يُمْكِنُنِي أَنْ أَرْجِعَ إلى أَبِي وَالْغُلاَمُ لَيْسَ مَعِي وَأَشْهَدَ مَا يَحِلُّ بِهِ مِنَ الشَّرِّ؟».

فَلَمْ يَسْتَطِعْ يُوسُفُ أَنْ يَتَمَالَكَ نَفْسَهُ أَمَامَ الْمَاثِلِينَ أَمَامَهُ، فَصَرَخَ: «لِيَخْرُجِ الْجَمِيعُ مِنْ هُنَا». فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مَعَ يُوسُفَ حِينَ كَشَفَ عَنْ نَفْسِهِ لإِخْوَتِهِ. وَبَكَى بِصَوْتٍ عَالٍ فَسَمِعَ الْمِصْرِيُّونَ كَمَا سَمِعَ بَيْتُ فِرْعَوْنَ. وَقَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: «أَنَا يُوسُفُ. فَهَلْ أَبِي مَازَالَ حَيّاً؟» فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِخْوَتُهُ أَنْ يُجِيبُوهُ لأَنَّهُمُ امْتَلأُوا رُعْباً مِنْهُ.

فَقَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: «اُدْنُوا مِنِّي». فَاقْتَرَبُوا مِنْهُ، فَقَالَ: «أَنَا يُوسُفُ أَخُوكُمُ الَّذِي بِعْتُمُوهُ إلى مِصْرَ. فَلاَ تَتَأَسَّفُوا الآنَ، وَلاَ يَصْعُبْ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ بِعْتُمُونِي إلى هُنَا، لأَنَّ اللّهَ أَرْسَلَنِي أَمَامَكُمْ حِفَاظاً عَلَى حَيَاتِكُمْ. فَقَدْ صَارَ لِلْمَجَاعَةِ فِي هَذِهِ الأَرْضِ سَنَتَانِ، وَبَقِيَتْ خَمْسُ سَنَوَاتٍ لَنْ يَكُونَ فِيهَا فَلاَحَةٌ وَلاَ حَصَادٌ. وَقَدْ أَرْسَلَنِي اللّهُ أَمَامَكُمْ لِيَجْعَلَ لَكُمْ بَقِيَّةً فِي الأَرْضِ وَيُنْقِذَ حَيَاتَكُمْ بِخَلاَصٍ عَظِيمٍ. فَلَسْتُمْ إِذاً أَنْتُمُ الَّذِينَ أَرْسَلْتُمُونِي إلى هُنَا بَلِ اللّهُ، الَّذِي جَعَلَنِي مُسْتَشَاراً لِفِرْعَوْنَ وَسَيِّداً لِكُلِّ بَيْتِهِ، وَمُتَسَلِّطاً عَلَى جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ. فَأَسْرِعُوا وَارْجِعُوا إلى أَبِي وَقُولُوا لَهُ: ابْنُكَ يُوسُفُ يَقُولُ: لَقَدْ أَقَامَنِي اللّهُ سَيِّداً عَلَى كُلِّ مِصْرَ. تَعَالَ وَلاَ تَتَبَاطَأْ. فَتُقِيمَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ لِتَكُونَ قَرِيباً مِنِّي أَنْتَ وَبَنُوكَ وَأَحْفَادُكَ وَغَنَمُكَ وَبَقَرُكَ وَكُلُّ مَالَكَ. وَأَعُولُكَ هُنَاكَ لأَنَّ الْجُوعَ سَيَسْتَمِرُّ خَمْسَ سَنَوَاتٍ أُخْرَى، فَلاَ تَحْتَاجُ أَنْتَ وَعَائِلَتُكَ وَبَهَائِمُكَ.

وَهَـا أَنْـتُمْ وَأَخِـي بِنْيَـامِينُ شُـهُودٌ أَنَّنِـي أَنَـا حَقّـاً الَّـذِي يُخَـاطِبُكُمْ. وَتُحَدِّثُونَ أَبِي عَنْ كُلِّ مَجْدِي فِي مِصْرَ وَعَمَّا شَهِدْتُمُوهُ. وَتُسْرِعُونَ فِي إِحْضَارِ أَبِي إِلى هُنَا».

ثُـمَّ تَعَـانَقَ يُوسُـفُ وَبِنْيَـامِينُ وَبَكَيَـا وَقَبَّـلَ يُوسُـفُ بَـاقِي إِخْوَتِـهِ وَبَكَـى مَعَهُـمْ. وَعِنْدَئِـذٍ فَقَـطْ تَجَـرَّأَ إِخْوَتُـهُ عَلَـى مُخَاطَبَتِـهِ. وَسَـرَى الْخَبَـرُ إِلى بَيْـتِ فِرْعَـوْنَ وَقِيـلَ قَـدْ جَـاءَ إِخْـوَةُ يُوسُـفَ، فَسَـرَّ ذَلِـكَ فِرْعَوْنَ، وَعَبِيدَهُ أَيْضاً. وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «اطْلُبْ مِنْ إِخْوَتِكَ أَنْ يُحَمِّلُوا دَوَابَهُمْ بِالْقَمْحِ وَيَرْجِعُوا إِلى أَرْضِ كَنْعَانَ، لِيُحْضِرُوا أَبَاهُمْ وَأُسَـرَهُمْ وَيَجِيئُـوا إِلَـيَّ، فَـأُعْطِيَهُمْ أَفْضَـلَ أَرْضِ مِصْـرَ لِيَسْـتَمْتِعُوا بِخَيْرَاتِهَـا. وَقَـدْ صَـدَرَ أَمْـرٌ إِلَيْـكَ أَنْ يَأْخُـذُوا لَهُـمْ عَرَبَـاتٍ مِـنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيَنْقُلُوا عَلَيْهَا أَوْلاَدَهُمْ وَزَوْجَاتِهِمْ وَأَبَاهُمْ وَيَحْضُرُوا إِلى هُنَا. لاَ يَكْتَرِثُوا لِمَا يُخَلِّفُونَـهُ مِـنْ مَتَـاعٍ، فَخَيْـرَاتُ أَرْضِ مِصْـرَ كُلُّهَـا هِـيَ لَهُمْ».

❖❖❖

الفصل الرابع

من التلمود

من فتوة يُوسيف إلى بلوغه حُكم مصر

٣ – النص التلمودي: (١)

كان يُوسيف(٢)، ابن يعقوب وراحيل، وأبوه كان يحبه بوجه الخصوص لأنه ابن شيخوخته، وكعربون على هذه المحبة صنع له قميصا جميلا موشى. فأثارت علائم التميّز في نفس يوسيف ميله الفطري إلى التفوق. وكان لما يرى هنات في أفعال إخوته يشي بها إلى ابيه، فسرعان ما كسب على نفسه عداوتهم، ولم يستطيعوا إن يكلّموه بسلام.

ولما غدا يوسيف في السابعة عشرة من عمره، تراءى له منامه المعروف، فرواه لاخوته، فقالوا له: "ألعلك تملُك علينا أو تتسلّط علينا؟". فقص يوسيف على أبيه الذي أصغى إليه باهتمام، ولما علم بقية إخوة يوسيف بهذا التصرف من أبيهم ازدادوا كُرها

---

١ – التلمود كتاب اليهود المقدس– احمد ايبش – قدم له: أ.د.سهيل زكّار – ص١١٧.

٢ – الاسم يُشتهر في العربية، وفي العامية:يوسف. (نقل بتصرف.).

ليوسيف. لكنه عندما قص عليهم حلمه الثاني، فروى أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا رآهم له ساجدين استطار غيظهم إلى أبعد الحدود، حتى أن أباهم يعقوب ذاته لجأ إلى زجر صاحب الأحلام الطموح.([1]) وحدث يوما أن بني يعقوب خرجوا ليرعوا غنم أبيهم، فتأخروا في مسعاهم حتى قلقت نفس ابيهم عليهم. فطلب يعقوب يوسيف وقال له: "هو ذا إخوتك خرجوا يرعون عند شكيم، ولما يرجعوا إلى الحين. فهلم فاخرج في طلبهم، وائتني بأخبار سلامتهم".

فجال يوسيف بعض الوقت في نواحي شكيم، فلم يرَ إخوته أحدا، ولم يدر أين يبحث عنهم، فصادفه رجل وهو تائه، فسأله: "من يطلب؟" ، أجاب يوسيف: "أطلب إخوتي، أتدري أين اتجهوا؟"، فقال الرجل: "إي نعم، رأيت إخوتك، وقد سمعتهم يقولون: نمضي إلى دوتان".

فلما رأى إخوة يوسيف الفتى مقبلا عن بُعد ائتمروا عليه، فقرروا قتله. فقال شمعون: "ها هو صاحب الأحلام مقبل. والآن تعالوا نقتله ونطرحه في أحد أجباب البرية، فلما يسألنا أبونا عنه نقول إن وحشا ضاريا افترسه". فلما سمع رؤبين مقالهم قال: "لا، بل لا نفعل مثل هذا.إن أبانا لن يغفر لنا ما حيينا هذا الجرم. بل

[1] – التوراة – التكوين– ٣٧ :١٠ .

اطرحوه في بئر ودعوه يموت". وهذا الرأي أبداه رؤبين لكي يخلصه من أيديهم، ثم يستنقذه فيرده إلى أبيه.

فلما طُرح يوسيف في البئر، عملا بهذا الرأي، صاح بإخوته بملء صوته: "ما هذا الذي فعلتم. لم تعاملونني هكذا؟ ماذا فعلت وبم أذنبت. ألا تخافون الرب بفعلتكم هذه؟ أولست لحمكم ودمكم أبن يعقوب؟". وراح يصيح:رؤبين، ليوي، شمعون، أخرجوني من هذا البئر.

لكن إخوته ابتعدوا عن البئر لئلا يسمعوا صياحه، كانوا متحيرين بين أن يتركوه حيث كان، أو أن يقتلوه، أو يردوه إلى أبيه. ابصروا قافلة مقبلة، في طريقها إلى مصر، وباعوا أخاهم إلى المدينيين، وهؤلاء باعوه على القافلة. أما أخوته فقد أخذوا قميص يوسف وخَرقّوه في مواضع عدة، وذبحوا جديا من المعز وغمسوا القميص في دمه. وبعثوا بالقميص على يد نفتالي فأنفذوه إلى ابيهم، وكلفوه أن يسلمه له قائلا:"هذا القميص وجدناه في طريقنا بالبرية ممزقا وملطخا بالدم ومعفرا بالتراب. فنلتمس منك أن تفحصه وأن تُثبته، أقميص ابنك هو أم لا؟".

فأثبت يعقوب قميص يوسيف على الفور، ثم قام ينتحب بملء صوته: "قميص ابني هو" وناح على يوسيف سنين كثيرة.

وحمل اليشمعيليون يوسيف إلى مصر، فباعوه على المدانيون.

فحمل المدانيون يوسيف إلى فوطيفر، قال فوطيفر: "أشتريه إذا، شريطة أن تأتوني بالرجل الذي ابتعتوه منه. فهو لا يبدو عليه سيماء العبيد، وأخشى أن يكون مسروقا".

ووجد يوسيف نعمة في عيني فوطيفر، فكُلف بقوامة بيته وممتلكاته كلها. وعند ذلك كان يوسف في حوالي الثامنة عشرة من العمر، وكان فتى حسن الهيئة وجميل المنظر لا نظير لحسنه في مصر. لفت أنظار زليخا، امرأة فوطيفر.فافتتنت به، وراحت تبوح له يوما بعد يوم بحبها له وترجوه أن يبادلها ما تكنه له من شعور. فأحجم يوسيف عن الاستماع إليها، ولما قالت له: "ما أجملك من فتى، إنه لا نظير لحسنك في هذه الدنيا"، اجاب: من خلقني خلق العالمين أجمع".

ولما ألفت زليخا يوسيف غير آبه ولا مكترث بكلامها المعسول ولا يذعن إلى تدنيس بيت سيده، راحت تهدده بالموت والسجن، لكن يوسيف رد عليها: "من خلق الانسان يفك قيد المأسور، وهو الذي ينجيني من عقابك".

وكانت صاحباتها اللواتي يزرنها يأخذهن الإعجاب أيضا بيوسيف. وفي احدى المرات لما وضعت الفواكه أمام الزائرات، راحت إحداهن تقشّر فاكهة فجرحت إصبعها دون أن تشعر بما جرى، إلى أن لفت نظرها تقاطر الدم على ثوبها، إذ كانت

عيناها زائغتين بيوسيف، وخيالها مأخوذا برونق حُسنه وبهائه".([1])

لبست زليخا أفخر أثوابها، وراحت تغوي يوسيف بتحرق أكثر من ذي قبل، فلكي يفلت من أهوائها استدار وانسل على حين غرة من بين يديها. فلما فعلت ذلك أمسكت بثوبه لتبقيه أمامها، فانشطر الثوب وبقيت منه قطعة في يدها. فلما أبصرتها، ووقر في مخيلتها مقدار المذلة التي قوبلت بها، حل في قلبها كره عظيم، كما انها خافت أن ينمي خبر القصة إلى زوجها. فسارعت إلى استبدال ثوبها الفخم بلباسها المعتاد، ونادت بفتى ليحضر رجال البيت. فلما وصلوا لاقتهم بالصياح والنواح، وقصت عليهم حكاية عن وقاحة يوسيف، فنسبت اليه باطلا فرية التحرش والمراودة عن النفس، مما صدر عنها هي في الواقع، وزادت على ذلك تهمة الإرغام بالقوة، فقالت: "أمسكت بثيابه ورفعت صوتي وصرخت، فخاف وانهزم عني، فبقيت هذه المزقة من ثيابه بيدي".

فروى الرجال هذه الافتراءات لفوطيفر، فأتى، وأمر بجلده، بكى يوسيف ورفع رأسه إلى السماء متضرعا.

وقدم فوطيفر يوسيف أمام القضاة ، فادعى عليه قائلا: "هذا العبد فعل كذا وكذا". قال يوسيف: "انما حصل كذا وكذا". فأمر القضاة عندها بجلب الثوب المزق إليهم، وحكموا ببراءة

[1] – هذه الحكاية لا ترد في التوراة، انما هي أيضا مثال على الحواشي التفسيرية الاجدائية"من الاجّداء" الوارد في التوراة.

يوسيف. لكنهم اشخصوه إلى السجن، درءا من مغبة التشهير بامرأة شخص من مستوى فوطيفر. وأودع السجن لاثتي عشرة سنة.

وأقام الفرعون عيدا لوزراء مملكته، وكان رئيس السقاة ورئيس الخبازين قائمين على خدمة المدعوين. فوجد الامراء في الخبز نُحاته حجر الطحن، ولقي أحدهم في الخمرة ذبابة. فسخط فرعون عليهم وأمر بسجنهم.

ثم ولد لفرعون ابن، فأمر باقامة وليمة، وباخراج رئيس السقاة، لكن الساقي نسي وعده ليوسيف بأن يذكره إن ردّه فرعون إلى مكانه كما عبر له، فكان أن مكث في سجنه عامين آخرين.

دعا فرعون جميع الحكماء وقال لهم:"مَن أمكنه أن يعبر لي معنى هذه الرؤيا لشكل صحيح أعطيه كل ما تشتهي نفسه.

فاجتمعوا فمنهم من قال:"البقرات السبع السمان سبعة ملوك يحكمون عرش مصر من نسل الملوك، والبقرات العجاف سبعة أمراء يولدون لهم، ثم يهلك الملوك السبعة. أما السنابل السبع الجياد فهي سبعة أمراء عظام من هذه البلاد، يقعون في الأيام التالية بالحرب في أسر سبعة أمراء هم الآن ضعاف ولا يؤبه لهم".

وتعددت التأويلات ولم يعجب الملك ذلك. فلما سمع بذلك رئيس السقاة التمس المثول بين يدي الملك، وتكلم أمامه بعين الخضوع قائلا:

"ايها الملك كان معنا في السجن شخص عبّر لنا حلمينا فأرسل اليه وأخبره حلمك". فأمر باحضار يوسيف اليه.

قال يوسيف للملك:"ليشرّع الملك لأهل البلاد بأن على كل واحد فيهم أن يجمع من نتاج الأرض ويخزنه في سني الخير، لكي يكون ذخيرة له عندما تنضب الزروع وتمحل الأرض".

فأجاب الملك: "وكيف جزمت أن تعبيرك للحلم صحيح؟"، فأجاب يوسيف: "ثمة علامة على صدق كلامي. سيولد للملك ابن، وفي يوم ولادته يموت ابنك البكر، الذي عمره الآن سنتان". وعُقب أن أتم يوسيف خطابه، ركع للملك وانصرف من حضرته.

وحدث أن الواقعة التي تنبأ بها يوسيف جرت بالفعل. فلقد ولدت الملكة ابنا، وفي اليوم الذي حُملت به البشارة إلى الملك أصابه سرور بالغ. ولكن ما إن خرج البشير بها، حتى ألفى خدام الملك ابنه البكر ميتا. وكان هناك بكاء في قصر الملك. فلما سأل الملك عن سبب البكاء قيل له عن الفاجعة، فتذكر كلام يوسيف وأقر به مصدقا ما فيه". ([1])

طلب الملك من الوزراء والامراء ان يختاروا رجلا ذا حكمة ليقيمه حاكما على البلاد. فإختاروا يوسيف.

❖❖❖

[1] – هذه الرواية عن صدق يوسيف وموت ابن فرعون البكر ليست في التوراة، بل ينفرد بها التلمود. راجع نص التوراة: تكوين– الاصحاح ٤١.

الفصل الخامس

مجد يوسيف ودخول يعقوب مصر

تزوج يوسيف بعد ان تولى المنصب وقد تجاوز الثلاثين من عمره. وأصبح له ولدان. وضاعف الرب غلال مصر سبع مرات.

وعندما تفاقمت المجاعة في سنوات الجدب، وانتشرت خارج مصر، وسمع ناس هذه المناطق بأن القمح متوفر في مصر، أتوا بأجمعهم إليها ليمتاروا، طلب يعقوب من أبنائه أن يذهبوا إلى مصر ليمتاروا، وأوصاهم أن يدخلوا المدينة من عدة أبواب حتى لا يقابلوا بالرفض بكمية الشراء التي يبغونها، ففعلوا ما أمرهم به.([1]) ولما وصلوا ودخلوا من الابواب العشرة سجلت أسماءهم فعرفهم يوسيف، وأغلق الأهراء إلا واحدا وقال للحراس ان يقبضوا على اخوته. إلا ان أخوته تأخروا عليه فأرسل خدمه للبحث عنهم وألقوا القبض عليهم، وجاؤا بهم وركعوا أمام يوسيف، فسألهم عمن جاء بهم فقالوا له جاؤوا ليمتاروا فقال هذا كذب انتم جواسيس. إلا انهم أتكروا التهمة، وذكروا ان لهم أخ في مصر.

سأل يوسيف: "وما تراه يفعل ابن يعقوب؟". أجابوا: بيع في مصر.. وبعد حديث طويل اتهمهم بالتجسس أبقى يوسيف معه شمعون كرهينة في السجن، وقال لهم: ان أحضرتم أخالكم علمت إنكم سليمو القلب.

---

[1] – في القرآن لا يذكر السبب وانما يقول : (شئ إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها).

عندما عادوا وجدوا فضتهم في حبوبهم. وبعد أن عادوا إلى ابيهم وقصوا له قصتهم، ولامهم ابيهم على فعلتهم. وعندما انتهت مؤنتهم طالبوا ابيهم يعقوب أن يرسل معهم بنامين ليوسيف، وبعد جهد وافق الأب بإرسال بنيامين معهم إلى مصر. وأرسل رسالة بيد أبنائه إلى يوسيف يخبره ان أبنائه ليسوا بجواسيس، ويطلب منه أن يحافظ على بنيامين. وبعد أن وصلوا عمل وليمة لهم وتركهم يرحلون إلى ابيهم، وارسل خدمه في طلبهم، وقال لهم خدم يوسيف لِما سرقتم قدح سيدنا؟ وعندما بحثوا عنه وجدوه في كيس بنيامين، عندها ظل بنيامين في السجن لانه يعد سارق، وفي عرف تلك الفترة من يوجد في كيسه الشيء المسروق يسجن. تجري مناقشة بين يوسيف واخيه يهودا عن قوة يهودا وانه لا يعود الا واخيه معه، وهذه المناقشة غير موجودة في التوراة

قال لهم يوسيف: "لكنكم تخليتم عن أخيكم، وبعتوه". أصر يهوداعلى أخذ أخيه. قال يوسيف:"قولوا له ان الحبل لاحقٌ بالدلو".([1]) ويجري نقاش طويل يختمه يوسيف بأن يصيح: اظهر يا يوسيف. ويقول لاخوته: ها أنا يوسيف بينكم. فيتعرفون عليه. وأعاد يوسيف أخوته إلى أبيهم بعربات ملوكية، وألبسهم فاخر الثياب، وجهزهم بجهاز ثمين

يلتقي يعقوب بيوسيف.

❖❖❖

[1] – الحبل يشير إلى يوسيف والدلو إلى بنيامين.

٤ – النص كما ذكر في كتب التاريخ الاسلامي:

يجمع هذا النص المأخوذ من تاريخ الطبري بين النص الاسلامي والنص اليهودي وما اضيف لهما مما تداولته السنة القصاصين المسلمين الذين سمع عنهم الطبري ، والذين كانوا قد سمعوا كل تلك الاضافات – ان كان ذلك في فترة النبوة او قبلها – مما كان يدور بين الناس، اقصد الاسرائيليات .

((كان يعقوب حين ولدله يوسف قد كان حضنه عمته فكان معها واليها فلم يحب أحد شيئا من الاشياء حبها إياه حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات ووقعت نفس يعقوب عليه أتاها فقال يا أخية سلمى إلى يوسف فو الله ما أقدر على أن يغيب عنى ساعة، قالت فو الله ما أنا بتاركته قال فوالله ما أنا بتاركه قالت فدعه عندي أياما انظر إليه وأسكن عنه لعل ذلك يسلينى عنه أو كما قالت فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة اسحق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها ومن أصابها فالتمست ثم قالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف فقالت والله انه لى لسلم أصنع فيه ما شئت قال وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر فقال لها أنت وذاك ان كان فعل ذلك فهو سلم لك ما أستطيع غير ذلك فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت قال فهو الذى يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه (إن يسرق

فقد سرق أخ له من قبل) فلما رأت اخوة يوسف شدة حب والدهم يعقوب إياه في صباه وطفولته وقلة صبره عنه حسدوه على مكانه منه وقال بعضهم لبعض (ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة) يعنون بالعصبة الجماعة وكانوا عشرة (إن أبانا لفى ضلال مبين) ثم كان من أمره وأمر يعقوب ما قد قص الله تبارك وتعإلى في كتابه من مسألتهم إياه إرساله إلى الصحراء معهم ليعى وينشط ويلعب وضمانهم له حفظه وإعلام يعقوب إياهم حزنه بمغيبه عنه وخوفه عليه من الذئب وخداعهم والدهم بالكذب من القول والزور عن يوسف ثم ارساله معهم وخروجهم به وعزمهم حين برزوا به إلى الصحراء على إلقائه في غيابة الجب فكان من أمره أرسله يعنى يعقوب يوسف معهم فأخرجوه وبه عليهم كرامة فلما برزوا إلى البرية أظهروا له العداوة وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لم تعلم ما يصنع بابنك بنو الاماء فلما كادوا يقتلونه فجعل يصيح قال يهوذا أليس قد أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي أتوارى به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك قال إنى لم أر شيئا فدلوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها القوة إرادة

أن يموت فكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها فلما ألقوه في الجب جعل يبكى فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فارادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه فقام يهوذا فمنعهم وقال قد أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه وكان يهوذا يأتيه بالطعام ثم أخبر تبارك وتعإلى عن وحيه إلى يوسف عليه الصلاة والسلام وهو في الجب لينبئن اخوته الذين فعلوا به ما فعلوا بفعلهم ذلك وهم لا يشعرون بالوحى الذى أوحى إلى يوسف وأوحينا إليه لتنبئنهم بامرهم هذا قال أوحى إلى يوسف وهو في الجب أن ينبئهم بما صنعوا به وهم لا يشعرون بذلك الوحى .

خبره تعإلى عن اخوة يوسف ومجيئهم إلى أبيه عشاء يبكون يذكرون له أن يوسف أكله الذئب وقول والدهم (بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) ثم خبره جل جلاله عن مجئ السيارة وإرسالهم واردهم وإخراج الوارد يوسف وإعلامه أصحابه به بقوله (يا بشراى هذا غلام) يبشرهم ❖ يا بشراى هذا غلام تباشروا به حين أخرجوه وهى بئر بأرض بيت المقدس معلوم مكانها ❖ وقد قيل إنما نادى الذى أخرج يوسف من البئر صاحبا له يسمى بشرى فناداه ❖ باسمه الذى هو اسمه كذلك ذكر عن السدى ❖ في قوله يا بشراى هذا غلام قال اسم الغلام بشرى كما تقول يا زيد ❖ ثم خبره عزوجل عن السيارة وواردهم الذى استخرج يوسف من الجب إذ اشتروه من اخوته (بثمن بخس دراهم

معدودة) على زهد فيه واسرارهم إياه بضاعة خيفة ممن معهم من التجار مسئلتهم الشركة فيه إن هم علموا أنهم اشتروه كذلك قال في ذلك أهل التأويل ❖ (وأسروه بضاعة) قال صاحب الدلو ومن معه قالوا لاصحابهم إنا استبضعناه خيفة أن يستشركوهم فيه إن علموا بثمنه وتبعهم اخوته يقولون للمدلى وأصحابه استوثقوا منه لا يأبق حتى وقفوه بمصر فقال من يبتاعني وببشر فاشتراه الملك والملك مسلم ❖ لما اشتراه الرجلان فرقوا من الرفقة أن يقولوا اشتريناه فيسئلوهم الشركة فيه فقالوا إن سألونا ما هذا قلنا بضاعة اسبضعناها أهل الماء فذلك قوله وأسروه بضاعة ❖ فكان بيعهم إياه ممن باعوه منه بثمن بخس وذلك الناقص القليل من الثمن الحرام وقيل أنهم باعوه بعشرين درهما ثم اقتسموها وهم عشرة درهمين درهمين وأخذوا العشرين معدودة بغير وزن لان الدراهم حينئذ فيما قيل إذا كانت أقل من أوقية وزنها أربعون درهما لم تكن توزن لان أقل أوزانهم يومئذ كانت أوقية وقد قيل إنهم باعوه بأربعين درهما وقيل باعوه باثنين وعشرين درهما وذكر أن بائعه الذى باعه بمصر كان مالك بن دعر ابن بويب بن عفقان بن مديان بن ابراهيم الخليل عليه السلام ، وأما الذى اشتراه بها وقال لامرأته أكرمي مثواه فإن اسمه فيما ذكر عن ابن عباس قطين ، عن ابن عباس قال كان اسم الذى اشتراه قطفير وقيل إن اسمه أطفير ابن روحيب وهو العزيز وكان

على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق كذلك.

فاما غيره فإنه قال كان يومئذ الملك بمصر وفرعونها الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة ابن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح وقد قال بعضهم إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ❖ ثم مات ويوسف بعد حى ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق ابن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان كافرا فدعاه يوسف إلى الاسلام فأبى أن يقبل وذكر بعض أهل التوراة أن في التوراة أن الذى كان من أمر يوسف واخوته والمصير به إلى مصر وهو ابن سبع عشرة سنة يومئذ وأنه أقام في منزل العزيز الذى اشتراه ثلاث عشرة سنة وأنه لما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر الوليد بن الريان وأنه مات يوم مات وهو ابن مائة سنة وعشر سنينوأوصى إلى أخيه يهوذا وأنه كان بين فراقه يعقوب واجتماعه معه بمصر اثنتان وعشرون سنة وان مقام يعقوب معه بمصر بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة وأن يعقوب صلى الله عليه وسلم أوصى إلى يوسف عليه السلام وكان دخول يعقوب مصر في سبعين انسانا من أهله فلما اشترى أطفير يوسف وأتى به منزله قال لاهله واسمها راعيل (أكرمي مثوا ، عسى أن ينفعنا) فيكفينا إذا هو بلغ وفهم الامور بعض ما نحن بسبيله من أمورنا (أو نتخذه ولدا) وذلك أنه كان فيما حدثنا به ابن حميد

قال حدثنا سلمة عن ابن اسحاق رجلا لا يأتي النساء وكانت امرأنه راعيل حسناء ناعمة في ملك ودنيا فلما خلا من عمر يوسف عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة أعطاه الله عزوجل الحكم والعلم ، (آتيناه حكما وعلما) قال العقل والعلم قبل النبوة (وراودته) حين بلغ من السن أشده (التى هو في بيتها عن نفسه) وهى راعيل امرأة العزيز أطفير (وغلقت الابواب) عليه وعليها الذى أرادت منه وجعلت فيما ذكر تذكر ليوسف محاسنه تشوقه بذلك إلى نفسها ذكر من قال ذلك ، (ولقد همت به وهم بها) قال قالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتثر من جسدي قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هي أول ما يسيل إلى إلى الارض من جسدي قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله فلم تزل حتى أطمعته فهمت به وهم بها فدخلا البيت وغلقت الابواب وذهب ليحل سراويله فإذا هو بصورة يعقوب قائما في البيت قد عض على أصبعه يقول يا يوسف لا تواقعها فإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ومثلك إن واقعتها مثله إذا مات وقع في الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ومثلك ما لم يواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ومثلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه فربط سراويله وذهب ليخرج يشتد فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه فخرقته حتى أخرجته منه وسقط وطرحه يوسف واشتد نحو الباب . عن ابن عباس سئل

عن هم يوسف ما بلغ قال حل الهميان وجلس منها مجلس الحائز ❖ ما بلغ من هم يوسف قال استلقت له وجلس بين رجليها ينزع ثيابه فصرف الله تعالى عنه ما كان هم به من السوء بما رأى من البرهان الذى أراه الله فذلك فيما قال بعضهم صورة يعقوب عاضا على أصبعه وقال بعضهم بل نودى من جانب البيت أتزني فتكون كالطير وقع ريشه فذهب يطير ولا ريش له وقال بعضهم رأى في الحائط مكتوبا (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) فقام حين رأى برهان ربه هاربا يريد باب البيت فرارا مما أرادته منه وأتبعته راعيل فأدركته قبل خروجه من الباب فجذبته بقميصه من قبل ظهره فقدت قميصه وألفى يوسف وراعيل سيدها وهو زوجها أطفير جالسا عند الباب مع ابن عم لراعيل ، وألفيا سيدها لدا الباب قال كان جالسا عند الباب وابن عمها معه فلما رأته قالت (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم) إنه راودني عن نفسي فدفعته عن نفسي فأبيت فشققت قميصه قال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فأبيت وفررت منها فأدركتني فشقت قميصي فقال ابن عمها تبيان هذا في القميص فإن كان القميص قدمن قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان القميص قدمن دبر فكذبت وهو من الصادقين فأتى بالقميص فوجده قدمن دبر قال (إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين) قال ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى قالت ما

جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم قال فغضب وقال هي راودتني عن نفسي ❖ وقد اختلف في الشاهد الذى شهد من أهلها إن كان قميصه قدمن قبل فصدقت وهو من الكاذبين فقال بعضهم ما ذكرت عن السدى وقال بعضهم كان صبيا في المهد وقد روى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار فذكر فيهم شاهد يوسف ❖ عن ابن عباس قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم ، وقد قيل إن الشاهد كان هو القميص وقده من دبره ذكر بعض من قال ذلك ❖ (وشهد شاهد من أهلها) قال قميصه مشقوق من دبره فتلك الشهادة فلما رأى زوج المرأة قميص يوسف قد من دبر قال لراعيل زوجته إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ثم قال ليوسف أعرض عن ذكر ما كان منها من مراودتها إياك عن نفسها فلا تذكره لاحد ثم قال لزوجته استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز بمصر ومراودتها إياه على نفسها فلم ينكتم وقلن (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا) قد وصل حب يوسف إلى شغف قلبها فدخل تحته حتى غلب على قلبها وشغاف القلب غلافه وحجابه ، (قد شغفها حبا) قال فالشغاف جلدة على القلب يقال لها لسان القلب يقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب فلما سمعت امرأة العزيز بمكرهن وتحدثهن بينهن بشأنها وشأن

يوسف وبلغها ذلك أرسلت اليهن واعتدت لهن متكأ يتكئن عليه إذا حضرنها من وسائد وحضرنها فقدمت اليهن طعاما وشرابا وأترجا وأعطت كل واحدة منهن سكينا تقطع به الاترج ، (وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا) قال اعطتهن أترجا واعطت كل واحدة منهن سكينا فلما فعلت امرأة العزيز ذلك بهن وقد أجلست يوسف في بيت ومجلس غير المجلس الذى هن فيه جلوس قالت ليوسف (أخرج عليهن) فخرج يوسف عليهن فلما رأينه أجللنه وأكبرنه وأعظمنه وقطعن أيديهن بالسكاكين التى في أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن بها الاترج وقلن معاذ الله ما هذا إنس (إن هذا إلا ملك كريم) فلما حل بهن ما حل من قطع أيديهن من أجل نظرة نظرنها إلى يوسف وذهاب عقولهن وعرفتهن خطأ قيلهن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه وانكارهن ما أنكرن من أمرها أقرت عند ذلك لهن بما كان من مراودتها اياه على نفسها فقالت (فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) بعد ما حل سراويله ❖ قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ، تقول بعد ما حل السراويل استعصم لا أدرى ما بدا له ثم قالت لهن (ولئن لم يفعل ما آمره) من إتيانها (ليسجنن وليكونا من الصاغرين) فاختار صلى الله عليه وسلم السجن على الزنا ومعصية ربه فقال (رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه) . السدى قال رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه من الزنا واستغاث بربه عزوجل فقال (

وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين) فاخبر الله عزوجل انه استجاب له دعاءه فصرف عنه كيدهن ونجاه من ركوب الفاحشة ثم بدا للعزيز من بعد ما رأى من الآيات ما رأى من قد القميص من الدبر وخمش في الوجه وقطع النسوة ايديهن وعلمه ببراءة يوسف مما قرف به في ترك يوسف مطلقا وقد قيل ان السبب الذى من أجله بدا له في ذلك (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين قال قالت المرأة لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر إليهم ويخبرهم انى راودته عن نفسه ولست أطيق ان أعتذر بعذري فاما ان تأذن لى فاخرج فاعتذر وإما ان تحبسه كما حبستنى فذلك قول الله عزوجل " ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين " فذكر أنهم حبسوه سبع سنين ذكر من قال ذلك، ليسجننه حتى حين قال سبع سنين فلما حبس يوسف في السجن صاحبه العزيز أدخل معه السجن الذى حبس فيه فتيان من فتيان الملك صاحب مصر الاكبر وهو الوليد بن الريان أحدهما كان صاحب طعامه والآخر كان صاحب شرابه ، حبسه الملك وغضب على خبازه بلغه انه يريد أن يسمه فحبسه وحبس صاحب شرابه ظن انه مالاه على ذلك فحبسهما جميعا فذلك قول الله عزوجل ودخل معه السجن فتيان فلما دخل يوسف قال لما دخل يوسف السجن قال انى اعبر الاحلام فقال احد الفتيين لصاحبه هلم فلنجرب هذا العبد العبراني فتراءيا له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا فقال

الخباز (إنى أرانى أحمل فوق رأسي خبزا ياكل الطير منه) (وقال الآخر إنى أرانى أعصر خمرا) (نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين) فقيل كان إحسانه ما حدثنا به اسحاق بن أبى اسرائيل قال حدثنا خلف بن خليفة عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال سأل رجل الضحاك عن قوله " انا نراك من المحسنين " ما كان احسانه قال كان إذا مرض انسان في السجن قام عليه وإذا احتاج جمع له وإذا ضاق عليه المكان وسع له فقال لهما يوسف (لا يأتيكما طعام ترزقانه - في يومكما هذا - إلا نبأتكما بتأويله) في اليقظة وكره صلى الله عليه وسلم ان يعبر لهما ما سألاه عنه وأخذ في غير الذى سألا عنه لما في عبارة ما سألا عنه من المكروه على أحدهما فقال (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) فكان اسم أحد الفتيين اللذين أدخلا السجن محلب وهو الذى ذكر أنه رأى فوق رأسه خبزا واسم الآخر نبو وهو الذى ذكر أنه رأى كأنه يعصر خمرا فلم يدعاه والعدول عن الجواب عما سألاه عنه حتى أخبرهما بتأويل ما سألا عنه فقال (أما أحدكما فيسقى ربه خمرا) وهو الذى ذكر انه رأى كأنه يعصر خمرا (وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) فلما عبر لهما سألاه تعبيره قالا ما رأينا شيئا ❖ في الفتيين اللذين أتيا يوسف في الرؤيا إنما كانا تحالما ليختبراه فلما أول رؤياهما قالا انما كنا نلعب قال قضى الامر الذى فيه تستفتيان ثم قال لنبو وهو الذى ظن يوسف أنه ناج

منهما اذكرني عند ربك يعنى عند الملك فأخبره أنى محبوس ظلما فأنساه الشيطان ذكر ربه غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان ❖ قال قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك قال قيل يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لا طيلن حبسك قال فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبى كثرة البلوى فقلت كلمة فويل لاخوتي ❖ عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يقل يوسف يعنى الكلمة التى قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغى الفرج من عند غير الله عزوجل فلبث في السجن فيما حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عمران أبو الهذيل الصنعانى قال سمعت وهبا يقول أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وعذب بختنصر فحول في السباع سبع سنين . ثم إن ملك مصر رأى رؤيا هالته ❖ إن الله عزوجل أرى الملك في منامه رؤيا هالته فرأى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات فجمع السحرة والكهنة والحازة والقافة فقصها عليهم فقالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الا حلا بعالمين فقال الذى نجا من الفتيين وهو نبو ادكر حاجة يوسف بعد أمة يعنى بعد نسيان أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يقول فأطلقون فأرسلوه فأتى يوسف فقال أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خصر وأخر يابسات فان الملك رأى ذلك في نومه ❖ لم يكن السجن في المدينة فانطلق الساقى إلى يوسف

فقال أفتنا في سبع بقرات سمان الآيات ❖ أفتنا في سبع بقرات سمان فالسمان المخاصيب والبقرات العجاف هن السنون المحول الجدوب قوله (وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) أما الخضر فهن السنون المخاصيب وأما اليابسات فهن الجدوب المحول فلما أخبر يوسف نبو بتأويل ذلك أتى نبو الملك فأخبره بما قال له يوسف فعلم الملك أن الذى قال يوسف من ذلك حق قال ائتونى به لما أتى الملك رسوله فأخبره قال ائتونى به فلما أتاه الرسول ودعاه إلى الملك أبى يوسف الخروج معه وقال (ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم) لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ما زالت في نفس العزيز منه حاجة يقول هذا الذى راود امرأتي فلما رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف جمع الملك أولئك النسوة فقال لهن ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن لما قال الملك لهن ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه ودخل معها البيت فقالت امرأة العزيز حينئذ الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين فقال يوسف ذلك هذا الفعل الذى فعلت من ترديدي رسول الملك بالرسالات التى أرسلت في شأن النسوة ليعلم اطفير سيدى أنى لم أخنه بالغيب في زوجته راعيل وأن الله لا يهدى كيد الخائنين فلما قال ذلك يوسف قال له لما جمع الملك النسوة فسألهن هل راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش

لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين قال يوسف ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين قال فقال له حبرائيل ولا يوم هممت بها فقال وما أبرئ نفسي إن النفس لامارة بالسوء فلما تبين للملك عذر يوسف وأمانته قال ائتونى به أستخلصه لنفسي فلما أتى به وكلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين فقال يوسف للملك اجعلني على خزائن الارض ❖ اجعلني على خزائن الارض قال كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام فسلم سلطانه كله إليه وجعل القضاء إليه أمره وقضاؤه نافذ ❖ قوله اجعلني على خزائن الارض قال على حفظ الطعام إنى حفيظ عليم يقول إنى حفيظ لما استودعتني عليم بسنى المجاعة فولاه الملك ذلك ❖ لما قال يوسف للملك اجعلني على خزائن الارض إنى حفيظ عليم قال الملك قد فعلت فولاه فيما يذكرون عمل اطفير وعزل اطفير عما كان عليه يقول الله تبارك وتعالى (وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحنسين) قال فذكر لى والله أعلم ان اطفير هلك في تلك الليالى وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة اطفير راعيل وأنها حين دخلت عليه قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قال فيزعمون أنها قالت أيها الصديق لا تلمني فانى كنت امرأة كما ترى حسناء جميلة ناعمة في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك

وهيئتك فغلبتني نفسي على ما رأيت فيزعمون أنه وجدها عذراء وأصابها فولدت له رجلين افرابيم بن يوسف وميشا بن يوسف ❖ " وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء " قال استعمله الملك على مصر وكان صاحب أمرها وكان يلى البيع والتجارة وأمرها كله فذلك قوله " وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء " فلما ولى يوسف للملك خزائن أرضه فاستقر به القرار في عمله ومضت السنون السبع المخصبة التى كان يوسف أمر بترك ما في سنبل ما حصدوا من الزرع فيها فيه ودخلت السنون المجذبة وقحط الناس أجدبت بلاد فلسطين فيما أجدب من البلاد ولحق مكروه ذلك آل يعقوب في موضعهم الذى كانوا فيه فوجه يعقوب بنيه ❖ أصاب الناس الجوع حتى أصاب بلاد يعقوب التى هو بها فبعث بنيه إلى مصر وأمسك أخا يوسف بنيامين فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون فلما نظر إليهم قال اخبروني ما أمركم فإنى أنكر شأنكم قالوا نحن قوم من أرض الشأم قال فما جاء بكم قالوا جئنا نمتار طعاما قال كذبتم أنتم عيون كم أنتم قالوا عشرة قال أنتم عشرة آلاف كل رجل منكم ألف فأخبروني خبركم قالوا إنا إخوة بنو رجل صديق وإنا كنا اثنى عشر وكان أبو نا يحب أخا لنا وإنه ذهب معنا البرية فهلك فيها وكان أحبنا إلى أبينا قال فإلى من سكن أبو كم بعده قالوا إلى أخ لنا أصغر منه قال فكيف تخبروننى أن أباكم صديق وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ائتونى

بأخيكم هذا حتى أنظر إليه فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ، قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون ❖ قال فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا فوضعوا شمعون ❖ كان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد قد آسى بينهم فكان لا يحمل للرجل إلا بعيرا واحدا ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم فقدم عليه إخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر فعرفهم وهم له منكرون لما أراد الله تعالى أن يبلغ بيوسف مما أراد ثم أمر يوسف بأن يوقر لكل رجل من إخوته بعيره فقال لهم ائتونى بأخيكم من أبيكم لا حمل لكم بعيرا آخر فتزدادوا به حمل بعير ألا ترون أنى أوف الكيل فلا أبخسسه أحدا وأنا خير المنزلين وأنا خير من أنزل ضيفا على نفسه من الناس بهذه البلدة فأنا أضيفكم فإن لم تأتوني بأخيكم من أبيكم فلا طعام لكم عندي أكيله ولا تقربوا بلادي وقال لفتيانه الذين يكيلون الطعام لهم اجعلوا بضاعتهم وهى ثمن الطعام الذى اشتروه به في رحالهم ❖ اجعلوا بضاعتهم في رحالهم أي ورقهم فجعلوا ذلك في رحالهم وهم لا يعلمون فلما رجع بنو يعقوب إلى أبيهم قالوا يا أبانا إن ملك مصر أكرمنا كرامة لو كان رجلا من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته وإنه ارتهن شمعون وقال ائتونى بأخيكم هذا الذى عطف عليه أبو كم بعد أخيكم الذى هلك فإن لم تأتوني به فلاكيل لكم عندي ولا تقربوني أبدا قال يعقوب هل آمنكم

عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين قال فقال لهم يعقوب إذا أتيتم ملك مصر فأقرؤه منى السلام وقولوا له إن أبانا يصلى عليك ويدعو لك بما أوليتنا ❖ خرجوا حتى إذا قدموا على أبيهم وكان منزلهم فيما ذكرني بعض أهل العلم بالعربات من أرض فلسطين بغور الشأم وبعضهم يقول بالاولاج من ناحية الشغب أسفل من حسمى فلسطين وكان صاحب بادية له ابل وشاء فلما رجع إخوة يوسف إلى والدهم يعقوب قالوا له أبانا منع منا الكيل فوق حمل أباعرنا ولم يكل لكل واحد منا إلاكيل بعير فأرسل معنا أخانا بنيامين يكتل لنفسه وإنا له لحافظون فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين ولما فتح ولد يعقوب الذين كانوا خرجوا إلى مصر للميرة متاعهم الذى قدموا به من مصر وجدوا ثمن طعامهم الذى اشتروه به رد إليهم فقالوا الوالدهم (يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير) آخر على أحمال إبلنا ❖ ونزداد كيل بعير قال كان لكل رجل منهم حمل بعير فقالوا أرسل معنا أخانا نزدد حمل بعير ❖ فقال يعقوب (لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم) يقول إلا أن تهلكوا جميعا فيكون حينئذ ذلك لكم عذرا عندي فلما وثقوا له بالايمان قال يعقوب (الله على ما نقول وكيل) ثم أوصاهم بعد ما أذن لاخيهم من أبيهم بالرحيل معهم

أن لا تدخلوا من باب واحد من أبو اب المدينة خوفا عليهم من العين وكانوا ذوى صورة حسنة وجمال وهيئة وأمرهم أن يدخلوا من أبو اب متفرقة (وادخلوا من أبو اب متفرقة) قال كانوا قد أوتوا صورة وجمالا فخشى عليهم أنفس الناس فقال الله تعإلى (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبو هم ما كان يغنى عنهم من الله من شئ إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها) ما تخوف على أولاده اعين الناس لهيئتهم وجمالهم ❖ ولما دخل إخوة يوسف على يوسف ضم إليه أخاه لابيه وأمه (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه) قال عرف أخاه وأنزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب فلما كان الليل جاءهم بمثل فقال لينم كل أخوين منكم على مثال فلما بقى الغلام وحده قال يوسف هذا ينام معى على فراشي فبات معه فجعل يوسف يشم ريحه ويضمه إليه حتى أصبح وجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا إن نجونا منه ❖ لما دخلوا يعنى ولد يعقوب على يوسف قالوا هذا أخونا الذى أمرتنا أن نأتيك به قد جئناك فذكر لى أنه قال لهم قد أحسنتم وأصبتم وستجدون جزاء ذلك عندي أو كما قال ثم قال إنى أراكم رجالا وقد أردت أن أكرمكم فدعا صاحب ضيافته فقال أنزل كل رجلين على حدة ثم أكرمهما وأحسن ضيافتهما ثم قال إنى أرى هذا الرجل الذى جئتم به ليس معه ثان فسأضمه إلى فيكون منزله معى فأنزلهم رجلين رجلين في منازل شتى وأنزل أخاه معه فآواه إليه فلما خلا به قال إنى أنا أخوك أنا يوسف لا تبتئس بشئ فعلوه بنا فيما مضى

فإن الله قد أحسن الينا فلا تعلمهم شيئا مما أعلمتك قول الله عزوجل (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون) يقول له فلا تبتئس فلا تحزن فلما حمل يوسف ابن اخوته ما حملها من الميرة وقضى حاجتهم ووفاهم كيلهم جعل الاناء الذى كان يكيل به الطعام وهو الصواع في رحل أخيه بنيامين ❖ (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أحيه) والاخ لا يشعر فلما ارتحلوا أذن مؤذن قبل أن ترتحل العير إنكم لسارقون ❖ حمل لهم بعيرا بعيرا وحمل لاخيه بنيامين بعيرا باسمه كما حمل لهم ثم أمر بسقاية الملك وهو الصواع وزعموا أنها كانت من فضة فجعلت في رحل أخيه بنيامين ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا فأمعنوا من القرية أمر بهم فأدركوا واحتبسوا ثم نادى مناد أيتها العير إنكم لسارقون وانتهى إليهم رسوله فقال لهم فيما يذكرون ألم نكرم ضيافتكم ونوفكم كيلكم ونحسن منزلكم ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم وأدخلناكم علينا في بيوتنا وصار لنا علكيم حرمة أو كما قال لهم قالوا بلى وما ذاك قال سقاية الملك فقدناها ولايتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين وكان مجاهد يقول كانت العير حميرا ❖ وكان فيما نادى به منادى يوسف من جاء بصواع الملك فله حمل بعير من الطعام وأنا بإيفائه ذلك زعيم يعنى كفيل وإنما قال القوم لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين لانهم ردوا ثمن

الطعام الذى كان كيل لهم المرة الاولى في رحالهم فردوه إلى يوسف فقالوا لو كنا سارقين لم نردد ذلك اليكم وقيل إنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم فلذلك قالوا ذلك ❖ فقيل لهم فما جزاء من كان سرق ذلك فقالوا جزاؤه في حكمنا بأن يسلم لفعله ذلك إلى من سرقه حتى يسترقه ❖ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه تأخذونه فهو لكم فبدأ يوسف بأوعية القوم قبل وعاء أخيه بنيامين ففتشها ثم استخرجها من وعاء أخيه لانه أخر تفتيشه ❖ ذكر لنا أنه كان لا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأثما مما قرفهم به حتى بقى أخوه وكان أصغر القوم قال ما أرى هذا أخذ شيئا قالوا بلى فاستبرئه إلا وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك يعنى في حكم الملك ملك مصر وقضائه لانه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يسترق السارق بما سرق ولكنه أخذه بكيد الله له حتى اسلمه رفقاؤه وإخوته بحكمهم عليه وطيب أنفسهم بالتسليم ❖ ما كان ليأخذ أخاه في دين إلا بعلة كادها الله له فاعتل بها يوسف فقال أخوة يوسف حينئذ إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون بذلك يوسف ❖ وقد قيل إن يوسف كان سرق صنما لجده أبى أمه فكسره فعيروه بذلك ذكر من قال ذلك ❖ إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال سرق يوسف صنما لجده أبى أمه فكسره وألقاه في الطريق فكان

اخوته يعيبونه بذلك ❖ وقد حدثنا أبو كريب قال حدثنا ابن إدريس قال سمعت أبى قال كان بنو يعقوب على طعامه إذ نظر يوسف إلى عرق فحبأه فعيروه بذلك إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسر في نفسه يوسف حين سمع ذلك منه فقال (أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) به أخا بنيامين من الكذب ولم يبد ذلك لهم قولا ❖ لما استخرجت السرقة من رحل الغلام انقطعت ظهورهم وقالوا يا بنى راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه في البرية وضع هذا الصواع في رحلى الذى وضع الدراهم في رحالهم فقالوا لا تذكر الدراهم فنؤخذ بها فلما دخلوا على يوسف دعا بالصواع فنقر فيه ثم أدناه من أذنه ثم قال إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثنى عشر رجلا وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه فلما سمعها بنيامين قال فسجد ليوسف ثم قال ايها الملك سل صواعك هذا عن اخى اين هو فنقره ثم قال هو حى وسوف تراه قال فاصنع بى ما شئت فإنه ان علم بى فسوف يستنقذنى قال فدخل يوسف فبكى ثم توضأ ثم خرج فقال بنيامين ايها الملك إنى اريد ان تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذى سرقه فجعله في رحلى ؟ فنقره فقال ان صواعي هذا غضبان وهو يقول كيف تسألني من صاحبي فقد رأيت مع من كنت قالوا وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال أيها الملك والله لتتركنا أو لاصيحن صيحة لا

تبقى بمصر حامل إلا ألقت ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسد روبيل فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه ثم إلى جنب روبيل فمسه وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا إن في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب فقال يوسف من يعقوب ؟ فغضب روبيل وقال أيها الملك لا تذكر يعقوب فإنه إسرائيل الله بن ذبيح الله بن خليل الله قال يوسف أنت إذن إن كنت صادقا قال ولما احتبس يوسف أخاه بنيامين فصار بحكم إخوته أولى به منهم ورأوا أنه لا سبيل لهم إلى تخليصه صاروا إلى مسئلته تخليته ببذل منهم يعطونه إياه فقالوا (يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين) في أفعالك فقال لهم يوسف (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا الظالمون) أن نأخذ بريئا بسقيم فلما يئس إخوة يوسف من إجابة يوسف إياهم إلى ما سألوا من إطلاق أخيه بنيامين وأخذ بعضهم مكانه خلصوا نجيا لا يفترق منهم أحد ولا يختلط بهم غيرهم فقال كبيرهم وهو روبيل وقد قيل إنه شمعون ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله أن نأتيه بأخينا بنيامين الا أن يحاط بنا أجمعين ومن قبل هذه المرة ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الارض التى أنابها حتى ياذن لى أبى في الخروج منها وترك أخى بنيامين بها أو يحكم الله لى بذلك وهو خير الحاكمين وقد قيل معنى ذلك أو يحكم الله لى بحرب من منعنى من الانصراف بأخى (ارجعوا إلى أبيكم

فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق) فأسلمناه بجريرته (وما شهدنا إلا بما علمنا) لان صواع الملك لم يوجد إلا في رحله (وما كنا للغيب حافظين) يعنون بذلك أنا انما ضمنا لك أن نحفظه مما لنا إلى حفظه سبيل ولم نكن نعلم أنه يسرق فيسترق بسرقته واسأل أهل القرية التى كنا فيها فسرق ابنك فيها والقافلة التى كنا فيها مقبلة من مصر معنا عن خبر ابنك فانك تخبر بحقيقة ذلك فلما رجعوا إلى أبيهم فأخبروه خبر بنيامين وتخلف روبيل قال لهم بل سولت لكم أنفسكم أمرا أردتموه فصبر جميل لا جزع فيه على ما نالنى من فقد ولدى عسى الله أن يأتيني بهم جميعا بيوسف وأخيه وروبيل ثم أعرض عنهم يعقوب وقال يا أسفا على يوسف ❖ يقول الله عزوجل " وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم " مملوء من الحزن والغيظ فقال له بنوه الذين انصرفوا إليه من مصر حين سمعوا قول ذلك تالله لا تزال تذكر يوسف فلا تفتؤ من حبه وذكره حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل من حبه وذكره هرما باليا أو تموت فأجابهم يعقوب فقال إنما أشكو بثى وحزني إلى الله لا اليكم وأعلم من الله ما لا تعلمون من صدق رؤيا يوسف أن تأويلها كائن وأنى وأنتم سنسجد له ❖ قيل ما بلغ وجد يعقوب على ابنه قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال أجر مائة شهيد قال وما ساء ظنه بالله ساعة قط من ليل ولانهار ❖ أن يعقوب بن إسحاق دخل عليه جار له فقال يا يعقوب مإلى أراك قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن

ما بلغ أبو ك قال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف وذكره فأوحى الله عزوجل إليه يا يعقوب اتشكوني إلى خلقي قال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفرها لى قال فانى قد غفرت لك فكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكو بثى وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ❖ كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى أن رجع ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ولم يزل يبكى حتى ذهب بصره قال الحسن والله ما على الارض خليفة أكرم على الله من يعقوب ❖ ثم أمر يعقوب بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع إليها وتحسس الخبر عن يوسف وأخيه فقال لهم اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله يفرج به عنا وعنكم الغم الذى نحن فيه فرجعوا إلى مصر فدخلوا على يوسف فقالوا له حين دخلوا عليه أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين وكانت بضاعتهم المزجاة التى جاؤا بها معهم فيما ذكر دراهم ردية زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة وكان بعضهم يقول كانت حلق الغرائر والحبال ونحو ذلك وقال بعضهم كانت سمنا وصوفا وقال بعضهم كانت صنوبرا وحبة الخضراء وقال بعضهم كانت قليلة دون ما كانوا يشترون به قبل فسألوا يوسف أن يتجاوز لهم ويوفيهم بذلك من كيل الطعام مثل الذى كان يعطيهم في المرتين قبل ذلك ولا ينقصهم فقالوا له فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين ❖ وتصدق علينا

قال بفضل ما بين الجياد والردية وقد قيل إن معنى ذلك وتصدق علينا برد أخينا إلينا إن الله يجزى المتصدقين ❖ ذكر أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذى كان يكتم منهم فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه ولكن التفريق بينه وبين أخيه إذ صنعوا بيوسف ما صنعوا فلما قال لهم يوسف ذلك قالوا له ها أنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا بأن جميع بيننا بعد تفريقكم بيننا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ❖ لما قال لهم يوسف أنا يوسف وهذا أخى اعتذروا وقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لهم يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فلما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه ❖ قال يوسف ما فعل أبى بعدى قالوا لما فاته بنيامين عمى من الحزن فقال اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير عير بنى يعقوب قال يعقوب إنى لاجد ريح يوسف ❖ استأذنت بأن تأتى يعقوب بريح يوسف حين بعث بالقميص إلى أبيه قبل أن يأتيه البشير ففعلت فقال يعقوب إنى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون ❖ " ولما فصلت العير قال أبو هم إنى لاجد ربح يوسف " قال هاجت ريح فجاءت بريح يوسف من مسيرة ثمان ليال فقال إنى لاجد ريح يوسف لو لا أن تفندونى ❖ قوله إنى لاجد ريح يوسف قد بلغنا أنه كان بينهم

يومئذ ثمانون فرسخا وقال إنى لاجد ريح يوسف وقد كان فارقه قبل ذلك سبعا وسبعين سنة ويعنى بقوله لولا أن تفندونى لولا أن تسفهونى فتنبسونى إلى الهرم وذهاب العقل فقال له من حضره من ولده حينئذ تالله إنك من ذكر يوسف وحبه لفى ضلالك القديم يعنون في خطئك القديم ❖ فلما أن جاء البشير يعنى البريد الذى أبرده يوسف إلى يعقوب يبشره بحياة يوسف وخبره وذكر أن البشير كان يهوذا بن يعقوب ❖ قال يوسف اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين قال يهوذا أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب وأنا أذهب اليوم بالقميص فاخبره بانه حى فأقر عينه كما أحزنته فهو كان البشير فلما أن جاء البشير يعقوب بقميص يوسف ألقاه على وجهه فعاد بصيرا بعد العمى فقال لاولاده ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون وذلك أنه كان قد علم من صدق تأويل رؤيا يوسف التى رآها أن الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدون ما لم يكونوا يعلمون فقالوا ليعقوب يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين فقال لهم يعقوب سوف أستغفر لكم ربى قيل إنه أخر الدعاء لهم إلى السحر وقيل انه أخر ذلك إلى ليلة الجمعة ❖ قال حملوا إليه أهليهم وعيالهم فلما بلغوا مصر كلم يوسف الملك الذى فوقه فخرج هو والملك يتلقونهم فلما بلغوا مصر قال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين . فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبو يه ❖ لما ألقى

القميص على وجهه ارتد بصيرا وقال ائتونى باهلكم أجمعين فحمل يعقوب وإخوة يوسف فلما دنا يعقوب أخبر يوسف انه قد دنا منه فخرج يتلقاه قال وركب معه أهل مصر وكانوا يعظمونه فلما دنا أحدهما من صاحبه وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا قال فنظر يعقوب إلى الخيل والناس قال يا يهوذا هذا فرعون مصر فقال لا ، هذا ابنك يوسف قال فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدأه بالسلام فمنع ذلك وكان يعقوب أحق بذلك منه وأفضل فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فلما أن دخلوا مصر رفع أبو يه على السرير وأجلسهما عليه وقد اختلف في اللذين رفعهما يوسف على العرش وأجلسهما عليه فقال بعضهم كان أحدهما أبو ه يعقوب والآخر أمه راحيل وآخرون بل كان الآخر خالته ليا وكانت أمه راحيل قد كانت ماتت قبل ذلك وخر له يعقوب وأمه وولد يعقوب سجدا ❖ وخروا له سجدا قال كانت تحية الناس أن يسجد بعضهم لبعض وقال يوسف لابيه يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربى حقا يعنى بذلك هذا السجود منكم يدل على تأويل رؤياي التى رأيتها من قبل صنع إخوتى بى ما صنعوا وتلك الكواكب الاحدى عشرة والشمس والقمر قد جعلها ربى حقا يقول قد حقق الرؤيا بمجئ تأويلها وقيل بين ان أرى يوسف رؤياه هذه ومجئ تأويلها أربعون سنة ذكر بعض من قال ذلك ❖ كان بين رؤيا يوسف إلى أن رأى تأويلها أربعون سنة ❖ وقال بعضهم

كان بين ذلك ثمانون سنة ذكر بعض من قال ذلك حدثنا عمرو بن على قال حدثنا عبد الوهاب الثقفى قال حدثنا هشام عن الحسن قال كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجرى على خديه وما على الارض يومئذ احب إلى الله عزوجل من يعقوب ❖ ألقى يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة)) . ([1])

❖❖❖

٥ – النص بإسلوب سردي ورؤى صوفية:

ترك لنا الابداع العربي القديم نصا لقصة يوسف بأسلوب صوفي، خاصة اللغة المركزة والكثيفة التي استخدمت في توصيل النص للقاريء المسلم.

ان الآلية التي كتبت فيه هذا النص هي آلية التناص ، اذ نرى ان النص يتناص مع مرجعه وهو النص القرآني ، دون الاخذ بالزيادات التي رافقته بعد نزول القرآن .

[1] – تاريخ الطبري – الطبري ج ١ ص ٢٣١– ٢٥٥ .

فضلا عن ذلك كان للشعر دور كبير في اعطاء النص ظلاله الدلالية الواسعة .

((لما تمكن الحسد من قلوب أخوة يوسف - ارى الظالم مال الظالم - في مرآة: - إني رأيت أحد عشر كوكبا - فتلطفوا بخداع - ما لك لا تأمنا - وشوقوا يوسف إلى رياض - نرتع ونلعب - فلما أصحروا أظهروا المقت له ورموا بسهم العدوان مقتله ففسخ نهار رفقهم به ليل انتهارهم له فصاح يهودا في بقايا شفق الشفقة واغباش غيابة الحب : -لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب - فلما ألقوه وقالوا هلك جاء ملك من عند ملك يقول : ستبلغ أملك لتنبئهم، فعادوا عمن عادوا كالأعشى عشاء يبكون ولطخوا قميصه الصحيح - بدم كذب - فلاحت علامة سلامة القميص كي يظهر كيدهم ، فقال حاكم الفراسة: - بل سولت - فلما ورد وارد السيارة باعوا الصدفة ولم يتلمحوا الدرة واعجبا لقمر قومر به، فلما وصل إلى مصر تفرس فيه العزيز فأجلسه على اعزاز - أكرمي - فشغف قلب سيدته وفرى — فراودته - فسار بأقدام الطبع في فلاة غفلات - همت به وهم بها - رد - لولا أن رأى - فانقذ قوى الفرار وما استبقى فاستبقا ، فانبسطت يد العدوان وامتدت وقدت، فلما بانت حجته في ابان - وشهد شاهد - أخذت تزكي مصراة الإصرار بيمين يمين، ولئن لم يفعل ، فاختارت درة فهمه صدفة

الحبس لجهل الناقد - رب السجن أحب إلي - فلما ضاق قفص الحصر على بلبل الطبع ترنم بصوت اذكرني، فعوقب بإيثاق باب، فلبث في السجن فلما آن أوان الفرج خرج إلى الملك .هذا ويعقوب مفترش فراش الأسى على حزن الحزن لا يستلذ نوما ولا سنة ثمانين سنة حتى نحل البدن وذهب البصر.

لم يبق لي بعدكم رسم ولا طلل إلا وللشوق في حافاته عمل

إذا شممت نسيما من بلادكم فقدت عقلي كأني شارب ثمل

فلما عم عام القحط أرض كنعان خرج أخوته لطلب الميرة فدخلوا عليه في ظلام ظلمهم فرآهم المظلوم بعين - لتتبئنهم - وخفى عليهم نعمة - اقتلوا يوسف - فاقبل عليهم سائلا ، واقبل الدمع سايلا وتقلقل تقلقل الواجد ليسمع أخبار الوالد

أيه أحاديث نعمان وساكنه إن الحديث عن الأحباب أسمار

أفتش الريح عنكم كلما نفحت من نحو أرضكم نكباء معطار

فقالوا: جئنا من أرض كنعان ولنا شيخ يقال له يعقوب وهو يقرأ عليه السلام.

فلما سمع رسالة أبيه انتفض طائر الوجد لذكر الحبيب

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أحزان الفؤاد وما يدري

فرد السلام قلبه قبل لسانه وشغله وكف شانه عن شانه وقال مقول إبدائه بعبارة صعدائه:

خذي نفسي يا ريح من جانب الحمى فلاقي به ليلا نسيم ربى نجـد

فإن بذاك الجو حبـــــأا عهدته وبالرغم مني أن يطول به عهدي

ثم انه طلب آخاه فاحتالوا بحجة - منع منا الكيل - فلما حملوا حال بينهم وبينه بحيلة جعل السقاية ، فلما دخل وقت التهمة أذن مؤذن فعادوا إلى أبيهم بشجى على شجن وقرح على جرح وعقر على عقر في عقر فقام وقد تقوس وعسى على باب عسى ثم بعثه لطف -لا تقنطوا - على أن بعثهم برسالة – فتحسسوا - فلما رجعوا دخلوا من قفر الفقر فاستلقوا في ساحة الضر ينادون على غليل عليل الذل وتصدق علينا تالله لقد جوزيت أيد مدها تغشرم وشروه أن مدت في طريق ذل وتصدق علينا فلما عرفوه اعترفوا ، فمحى ما اقترفوا بكف - لا تثريب - فرفع من موائد تلك الفوائد نصيب الوالد - اذهبوا بقميصي - فهبت نسايم الفرح فتوغلت في خياشيم مريض كالفرخ من فرج الفرج فخر ركام الزكام عن منخر الضر فنادى مدنف الوجد إني لأجد

نشدتك الله يا نسيم ما فعلت بعدنا الرسوم

هل استهلت بها الغوادي ونمقت روضها الغيوم

وهل بها من عهدت فيها بعد على حاله مقيم

علل بروح الوصال صبا أنفاسه للجري سموم
وعد فسلم على أناس ما أنا من بعدهم سليم
واشرح لهم حال مستهام أنت بأشواقه عليم
وقل غريب ثوى بأرض في غيرها قلبه يهيم
يكابد الشوق حين يمسي وتعتري قلبه الهموم
أحبابنا تنقضي الليالي وما انقضت تلكم الكلوم
ذاك اللديغ الذي عهدتم بعد على حاله سقيم
أصبح من فقركم وحيدا فلا خليل ولا حميم
لم تجر ذكر الفراق إلا حن كما حنت الرزوم

فلما كشف يعقوب فدام الوجد بكف - إني لأجد - احدقت به عواذل - تالله تفتؤ -
تالله لو وجدوا ما وجد ما انكروا ما عرف :
للمهيار :

هل لكما من علم بالطارق الملم
سرى على الدياجي سرى أخيه النجم
يشق نجدا عرضا من شخصه بسهم
فنور الليل وليست من ليالي التم
خذ يا نسيم عني تحيتي ولثمي
وهنهم بوجدهم من الكرى وعدمي
قالوا هجرت أرضهم أهجرها برغمي

قد وصلت إلى الحشا رسلكم بالسقم
فلم تدع واسطة بين دمي ولحمي
عج كي ترى رسوما ثلاثة في رسم
سوى النحول بيننا تعرفنا بالوهم
خط هلال ليلة ودارهم وجسمي)).([1])

❖❖❖

[1] – ثمار القلوب في المضاف والمنصوب– والمنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري– قرص مكتبة الادب.

٦ – النص الاسطوري : (١)

أبرز ما تعرض له المؤرخون من حياة النبي يوسف ما يلي:

١ - هو يوسف بن يعقوب من زوجته راحيل، ولد في "فدان آرام" بالعراق حينما كان أبوه عند خاله (لابان)، ولما عاد أبوه إلى الشام - مهجر الأسرة الإبراهيمية - كان معه حدثاً صغيراً. قالوا: وكان عمر يعقوب لما ولد له يوسف (٩١) سنة، وإن مولد يوسف كان لمضي (٢٥١) سنة من مولد إبراهيم.

٢ - توفيت أمه وهو صغير، فكفلته عمته وتعلقت نفسها به، فلما اشتد قليلاً أراد أبوه أن يأخذه منها، فضنَّت به وألبسته منطقة لإبراهيم كانت عندها وجعلتها تحت ثيابه، ثم أظهرت أنها سُرقت منها، وبحثت عنها حتى أخرجتها من تحت ثياب يوسف، وطلبت بقاءه عندها يخدمها مدةً جزاءً له بما صنع، وبهذه الحيلة استبْقَتْه عندها، وكف أبوه عن مطالبتها به.

٣ - كان يوسف أثيراً عند أبيه من بين إخوته، وقد رأى يوسف -وهو غلام صغير - رؤيا قصها على أبيه، فقال له أبوه: {لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ} [يوسف: ٥]، وذلك خشية عليه من حسدهم. وخلاصة الرؤيا: أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس

---

[١] – ماخوذ بتصرف من شبكة الانترنيت .

والقمر يسجدون له، فعرف يعقوب أنها تتضمن مجداً ليوسف يجعل إخوته وأبويه يخضعون لسلطانه.

٤ - حسده إخوته على ولوع أبيهم به وإيثاره عليهم، فدبروا له مكيدة إلقائه في الجب، فمرت قافلة فأرسلت واردها إلى البئر فأدلى دلوه، فتعلق يوسف به، فأخذوه عبداً رقيقاً وانتهى أمره إلى مصر فاشتراه رئيس الشرطة فيها، واحتل عنده مكاناً حسناً اكتسبه بحسن خلقه وصدقه، وأمانته وعبقريته. قالوا: ودخول يوسف إلى مصر يمكن تحديده قريباً من سنة (١٦٠٠) ق.م في عهد الملك أبابي.

٥ - عشقته زوجة سيده وشغفت به، فراودته عن نفسه فاستعصم، فدبرت له مكيدة سجنه إذا لم يُلَبّ رغبتها منه، فقال: {رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} [يوسف: ٣٣].

٦ - أعطاه الله علم تعبير الرؤى، وكشف بعض المغيبات، فاستخدم ذلك في دعوة السجناء معه إلى توحيد الله، وإلى دينه الحق.

٧ - كان معه في السجن فتيان: رئيسُ سُقاةِ الملك، ورئيس الخبازين، فرأى كل منهما في منامه رؤيا وعرضها على يوسف. أما رئيس سقاة الملك: فقد رأى أنه يعصر خمراً، فقال يوسف: ستخرج من السجن وتعود إلى عملك فتسقي الملك خمراً.

وأما رئيس الخبازين: فقد رأى أنه يحمل فوق رأسه طبقاً من الخبز، والطير تأكل من ذلك الخبر، فأخبره يوسف: أنه سيصلب وتأكل الطير من رأسه.

وأوصى يوسف رئيس السقاة أن يذكره عند الملك.

وقد تحقق ما عبر به يوسف لكل من الرجلين، إلا أن ساقي الملك نسي وصية يوسف.

٨ - لبث يوسف في السجن بضع سنين، حتى رأى الملك رؤيا البقرات السمان والبقرات العجاف، والسنابل الخضر والأخر اليابسات، فعرض رؤياه على السحرة والكهنة فلم يجد عندهم جواباً، عند ذلك تذكر ساقي الملك ما أوصاه به يوسف في السجن فأخبر الملك بأمره، فأرسله إلى يوسف يستفتيه في الرؤيا، فكان جواب يوسف بأن البلاد سيأتيها سبع سنوات مخصبات ثم يأتي بعدها سبع سنوات قحط وجدب. ثم يأتي بعد ذلك عام يغاث فيه الناس وتعم فيه البركة.

٩ - أُعجب الملك بما عبر به يوسف، فدعاه للخروج من السجن، ولكن يوسف أراد أن يعاد التحقيق في تهمته قبل خروجه، حتى إذا خرج خرج ببراءة تامة، فأعاد الملك التحقيق، فاعترفت المرأة بأنها هي التي راودته عن نفسه. عند ذلك خرج يوسف من السجن، وقربه الملك واستخلصه لنفسه، وجعله على خزائن الأرض، ويشبه هذا المنصب منصب (وزارة التموين والتجارة)،

وسماه الملك اسماً يألفونه في مصر بحسب لغتهم (صفنات فعنيح)، وجعله بمثابة الملك مسلّطاً على كلّ مصر، باستثناء الكرسيّ الأول الذي هو للملك.

١٠ - نظم يوسف أمر البلاد، وأدار دفة المنصب الذي وُكل إليه إدارة رائعة، وادَّخر في سنوات الخصب الحب في سنابله، لمواجهة الشدة في سنوات القحط، وجاءت سنوات القحط التي عمت مصر وبلاد الشام، فقام بتوزيع القوت ضمن تنظيم حكيم عادل.

١١ - علمت أسرته في أرض الكنعانيين بأمر في مصر، فوفد إخوته إلاّ شقيقه بنيامين إلى مصر طالبين الميرة، لأن أباه - سيدنا يعقوب - صار حريصاً عليه بعد أن فقد ولده يوسف، فلما رآهم يوسف عليه السلام عرفهم، وأخذ يحقق معهم عن أسرتهم وعن أبيهم، واستجرَّ منهم الحديث فأخبروه عن بنيامين، فأعطاهم ميرتهم ورد لهم فضتهم في أوعيتهم، وكلفهم أن يأتوا بأخيهم بنيامين في المرة الأخرى، وإلا فليس لهم عنده ميرة، فوعدوه بذلك.

١٢ - ذكروا لأبيهم ما جرى لهم في مصر، والشرط الذي شرطه عليهم العزيز، وبعد إلحاح شديد ومواثيق أعطوها من الله على أنفسهم، أذن لهم يعقوب عليه السلام بأن يأخذوا معهم أخاهم بنيامين.

١٣ - ولما وفدوا على يوسف عليه السلام دبَّر لهم أمراً يستبقي فيه أخاه بنيامين عنده، فكلف غلمانه أن يدسوا الإناء الفضيّ الذي يشرب به في رحل أخيه بنيامين. ولما حملوا ميرتهم عائدين إلى بلادهم أرسل الجنود للبحث عن سقاية الملك، فوجدوها في رحل بنيامين فأخذوه، وكان أمراً شديد الوقع على قلوبهم، وعادوا إلى يوسف يرجونه ويتوسلون إليه أن يخلي سبيل أخيهم، وعرضوا عليه أن يأخذ واحدا منهم مكانه، إلا أنه رفض. فرجعوا إلى أبيهم إلا كبيرهم رأوبين، وأخبروه الخبر فظن بهم سوءاً، وحزن حزناً أفقده بصره. ثم أمرهم بالعودة إلى مصر والتحسس عن يوسف وأخيه، فعادوا إلى مصر وألحّوا بالرجاء أن يمنَّ العزيز عليهم بالإفراج عن أخيهم، وخلال محادثتهم معه بدرت منها بادرة أسرها يوسف في نفسه، إذ قالوا: {إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل}، يشيرون إلى الحادثة التي اصطنعتها عمته حينما كان صغيراً لتستبقيه عندها.

١٤ - وبأسلوب بارع عرّفهم يوسف بنفسه، فقالوا: {أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ؟!} قال: {أَنَا يُوسُفُ وَهذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا!} [يوسف: ٩٠] قالوا: {تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا!} [يوسف: ٩١] والتمسوا منه العفو والصفح عما كان منهم، فقال: {لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ} [يوسف: ٩٢]. وطلب منهم أن يأتوا بأهلهم

أجمعين، وبذلك انتقل بنو إسرائيل إلى مصر، وأقاموا فيها وتوالدوا حتى زمن خروجهم مع موسى عليه السلام.

١٥ - قالوا: ولما اجتمع يوسف بأبيه - بعد الفراق - كان عمر يعقوب (١٣٠) سنة، فيكون عمر يوسف يومئذ (٣٩) سنة، ثم توفي يعقوب بعدها بـ (١٧)سنة. وعاش يوسف عليه السلام من السنين (١١٠)، ومات في مصر وهو في الحكم ودفن فيها، ثم نقل رفاته إلى الشام أيام موسى عليهما السلام، ودفن بنابلس على الأرجح.

قالوا: وكانت وفاة يوسف عليه السلام قبل مولد موسى عليه السلام بأربع وستين سنة، وبعد مولد إبراهيم بـ (٣٦١) سنة. ولكن مثل هذه المدة لا تكفي مطلقاً لأن يتكاثر فيها بنوا إسرائيل إلى المقدار الذي ذكر مؤرخوهم أنهم قد وصلوا إليه أيّام موسى عليه السلام.

❖❖❖

المصادر

- القرآن.
- التوراة – سفر التكوين.
١ - تفسير الطبري.قرص المكتبة الالفية للسنة النبوية.
٢ - تفسير الثوري - سفيان الثوري . قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
٣ - جامع البيان - إبن جرير الطبري . قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
٤ - تفسير القمي - علي بن ابراهيم القمي . قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
٥ - التبيان - الشيخ الطوسي . قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
٦ - تفسير الميزان - السيد الطباطبائي . قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
٧ - تفسير ابن كثير. قرص المكتبة الالفية.
٨ - أحكام القرآن – الجصاص. قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
٩ - علوم القران الكريم – د . غانم قدوري حمد – ط٣ – المطابع المركزية - ١٩٩٩ .
١٠– عصمة الانبياء – الفخر الرازي – انظر :قرص المعجم العقائدي – الاصدار الاول.

١١ - أضواء على الإسرائيليات في مصادر السنة والشيعة. قرص المعجم العقائدي – الاصدار الاول .

١٢ - القول العطر في نبوة سيدنا الخضر - حسن بن علي السقاف. قرص المعجم العقائدي – الاصدار الاول.

١٣ - تنزيه الانبياء - الشريف المرتضى – قرص المعجم العقائدي ـ الاصدار الأول.

١٤ - قصص الانبياء – الجزائري . قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.

١٥ - الكشكول - بهاء الدين العاملي. قرص الشعرديوان العرب .

١٦ - ثمار القلوب في المضاف والمنصوب - والمنسوب لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابوري - قرص مكتبة الادب.

١٧ - مصارع العشاق السراج القاري. قرص الشعرديوان العرب .

١٨– الحيوان – الجاحظ . قرص الشعرديوان العرب .

١٩ - الرسائل - الجاحظ.قرص الشعرديوان العرب .

٢٠ - تاج العروس - الزبيدي . قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.

٢١ - لسان العرب - ابن منظور. قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.

٢٢ - مجمع البحرين - الشيخ الطريحي. برنامج المعجم - الاصدار الثالث .

٢٣ - تاريخ الطبري. قرص المعجم العقائدي – الاصدار الاول.

٢٤ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق وشرح:محمد عبد المنعم خفجي، ـ مطبعة الفجالة الجديدة ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٩٦٩ .

٢٥ - مصطلحات النقد العربي السيماءوي - الإشكالية والأصول والامتداد - ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ - الدكتور مولاي على بوخاتم - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق -٢٠٠٥ .

٢٦ - الشعر الجاهلي – د. سيد حنفي حسنين – الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ١٩٧١ .

٢٧ - النص ، السلطة ، الحقيقة – د . نصر حامد ابو زيد.

٢٨ - الاسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم – د . محمد خليفه حسن احمد - دار الشؤون الثقافية العامة – ١٩٨٨ .

٢٩ - ملخص من أساطير من الشرق – سليمان مظهر – الكتاب الماسي –الدار القومية للطباعة والنشر – ب . ت .

٣٠ - ألف ليلة وليلة –د. عبد الملك مرتاض – دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد.

٣١– الف ليلة وليلة وسحر السردية العربية - داود سلمان الشويلي - اتحاد الكتاب العرب – دمشق - ٢٠٠١ .

٣٢ - مدخل إلى نظرية القصة - سمير المرزوقي وجميل شاكر - دار الشؤون الثقافية العامة -١٩٨٦ بغداد .

٣٣ - بناء الرواية - د. سيزا أحمد قاسم - الهيئة المصرية العامة للكتاب -١٩٨٤.

٣٤ - مجلة المورد – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – الرؤيا في القران الكريم – عبد الجبار محمود السامرائي - ١٠ .

٣٥ - إشكاليَّة تأويل القرآن - قديمًا وحديثًا – د. نصر حامد ابو زيد – الشبكة العنكبوتية.

٣٦ - الفن القصصي في القرآن الكريم - محمد احمد خلف الله – مع شرح وتعليق خليل عبد الكريم – سينا للنشر – الانتشار العربي – لندن – بيروت – القاهرة – ط٤ – ١٩٩٩ .

٣٧ - النقد والإعجاز – د. محمد تحريشي –اتحاد الكتاب العرب - دمشق – ٢٠٠٤ .

٣٨ - لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم - الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام – الشبكة العنكبوتية.

٣٩ - مدخل إلى فهم دور الميثولوجيا التوراتية – سيد محمود القمني – شبكة اللادينيين العرب.

٤٠ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - د. جواد علي - الجزء الثالث – شبكة الانترنيت.

٤١ – التلمود – كتاب اليهود المقدس – ت: احمد ايبيش – دار قتيبة – ب.ت.

٤٢ - الغفران – ثروت أباضة – دار مصر للطباعة – نشر مكتبة مصر – ١٩٨٨.

٤٣ - خفايا التوراة وأسرار شعب اسرائيل - كمال الصليبي - دار الساقي – طبعة ٢٠٠٦.

٤٤ - اليمن وأنبياء التوراة – فرج الله صالح ديب – رياض الريس للكتب وللنشر – ٢٠١٣ .

٤٥ - فلسطين المتخيلة – فاضل الربيعي – المجلد الاول – دار الرافدين - ٢٠٢١.

❖❖❖

الاقراص الليزرية :

١ - قرص مكتبة الادب.

٢ – المكتبة الالفية للسنة النبوية – ٥ .١ – ١٩٩٩ - مركز التراث لابحاث الحاسب الآلي - الاردن ص .ب ٤١٠٣٥٤ .

٣ - قرص المعجم العقائدي – الاصدار الاول.

٤– المعجم الفقهي - الاصدار الثالث – ١٤٢١ – مركز المعجم الفقهي – الحوزة العلمية بقم المقدسة .

٥ - موسوعة التاريخ والحضارة الاسلامية – ٥ر١ - مركز التراث لابحاث الحاسب الآلي - الاردن ص .ب ٤١٠٣٥٤.

٦– الشعر ديوان العرب – المجمع الثقافي – .٢٠٠٣

٧ - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية - الأستاذ الدكتور :عبد الوهاب المسيرى - بيت العرب للتوثيق العصرى والنظم.

محتويات الكتاب

مقدمة ٧

تمهيد ١١

وحدة الثقافة ١١

هل يوسف نبي؟ ٢٩

الفصل الأوّل ٤٥

القصة بين النص القرآني والنص الاسطوري ٤٥

النص الأدبي ٥٥

تفكيك النص ٦٥

موضوعات النص ٧٩

١ - المحن التي مر بها يوسف: ٨٠

٢- الجنس في قصة يوسف: ٩٠

٣ – الرؤيا وتفسيرها: ٩٧

تجليات السرد ١١٢

مورفولوجيا الزمن ١٢٠

الحوار ١٣٣

تقنيات بناء الشخصية ١٣٨

القراءة السيميولوجية ١٦٧

الفصل الثاني ١٧٦

النصوص ١٧٦

١ – النص القرآني: ١٧٦

٢ – النص التوراتي: ١٨٤

الفصل الرابع ٢٠٦

من التلمود ٢٠٦

من فتوة يُوسيف إلى بلوغه حُكم مصر ٢٠٦
٣ – النص التلمودي: ٢٠٦
مجد يوسيف ودخول يعقوب مصر ٢١٤
٤ – النص كما ذكر في كتب التاريخ الاسلامي: ٢١٦
٥ – النص بإسلوب سردي ورؤى صوفية: ٢٤٣
٦ – النص الاسطوري : ٢٤٩
المصادر ٢٥٥